الناسخ والمنسوخ

بين الحقيقة

وآراء المحققين والمفسرين

تأليف

السيد صباح مهدي الحسيني

الجزء الخامس

الرد على ما تقدم

دار الباقر

بيروت - لبنان

03-733519

الناسخ والمنسوخ

بين الحقيقة

وآراء المحققين والمفسرين

تأليف

السيد صباح مهدي الحسيني

الجزء الخامس

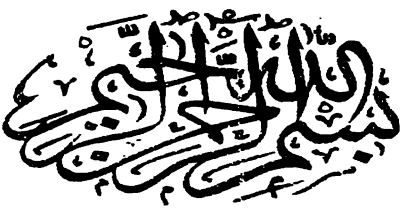
الرد على ما تقدم



دار الباقر

بيروت - لبنان

03-733519



﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

﴿الحجر: ٩﴾

هوية الكتاب

اسم الكتاب	الناسخ والمنسوخ بين الحقيقة وآراء المحققين والمفسرين
اسم المؤلف	السيد صباح الحسيني
الطبعة	الأولى ١٤٣٤ هجرية / ٢٠١٣ ميلادية.
الكمية	١٠٠٠

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م

دار الباقر ع - أضواء الحوزة الشريفة

العراق - النجف الأشرف

00964-07801263579

الإهـــداء

إلى بقية الله في أرضه المدخر لإقامة العدل الإلهي الإمام قائم آل محمد الحجة بن الحسن عجل الله فرجه الشريف وجعلنا الله من المنتظرين لظهوره الشريف المبارك. . .

والى كل من شجعني لكتابة هذا البحث من أساتذة وطلبة الحوزة الدينية في النجف الأشرف. . .

والى أبنائي وأهل حزانتي نسأل من الله العلي القدير أن يمن علينا بقبول هذا الجهد المتواضع ليكون حافزاً من أجل إعطاء المزيد . . .

أفقر من شرقت عليه الشمس وغربت

السيد صباح مهدي الحسيني

الأحد ١ جمادى الآخرة سنة

١٤٣٤هـ **٢٠١٣ م**

الرد على

بعض ما تقدم

توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

الله ثقتي ورجائي

الحمد لله رب العالمين خالق السماوات السبع والأرض ، الذي جعل الظلمات والنور للمهتدين ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، وله الحمد حيث اصطفى لرسالته محمداً وارتضاه لنفسه خليلاً ، وأودعه سر وحيه ليكون أميناً على رسالته ، ثم بعثه نبياً إلى خلقه رحمةً للعالمين ، وبشيراً ونذيراً وأنزل عليه كتاباً عزيزاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، احتجاجاً على خلقه بتبليغ حجته وأداء رسالته ، وإنفاذ حكمه وإقامة حدوده وتحليل حلاله وتحريم حرامه ، آمراً بطاعته ناهياً عن معصيته وقد أكمل له دينه ليكون راشداً لعباده إلى قيام يوم الدين. اللهم العن من ظلمه ونصب العداوة له ولآل بيته المعصومين لعناً إلى أبد الآبدين.

فصلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وبلّغه أشرف محل المكرمين آمين رب العالمين.

لقد تم والحمد لله ما جاء من أبواب البحث ، حيث باب المعنى عن أهل اللغة وباب المعنى في المصطلح الأصولي والفقهي وباب ما كتبه أصحاب التحقيق في موضوع الناسخ والمنسوخ وباب الآيات لثمانية من المحققين.

ورأيتم كم هو التباين واضح فيما طرحوه في هذا الموضوع بدءاً من أهل اللغة في معاجمهم وانتهاءاً إلى الاختلاف الكبير في عدد الآيات ، مع أن المسلمين لا ينكرون وجود النسخ في القرآن الكريم ، فالظاهر أن الاختلاف جاء من خلال متابعة البعض للبعض الآخر ، سواء كان اتباعاً لأهل المعاجم في إعطاء المعنى للفظة ((النسخ)) أو

للأصولي والفقيه ، وهذا بحد ذاته لم يكن شافياً في بيان المراد من النسخ ، صحيح القرآن نزل بلغة العرب وفصاحتهم وبلاغة معانيهم لكن هذا لا يمنع من أن يكون المراد القرآني غير ما قالوه ، لأن العرب مع بلاغتهم وفصاحتهم لم يستطيعوا أن يصلوا إلى المراد الحقيقي من اللفظة القرآنية وهذا لم يكن غريباً علماً أنهم مع بلاغتهم لم يصلوا إلى تفسير معلقاتهم وما المراد منها وهذا دليل واضح على عجزهم من أن يحيطوا بالمعنى المراد ، لا أريد أن أطيل لكن لو ضَمّنوا معاجمهم معاني خاصة للفظة القرآنية بعيداً عن الأعراف السائدة في إيراد المعاني ، وما يسمى بالكلمة معناها لأن اللفظة القرآنية أوسع من هذا بكثير لذا لا يمكن تقييدها بالمعنى الذي لا تكون فيه شمولية والملاحظ من المعاني إنها تدور مداراً ضيقاً يتناغم مع المدارك المتباينة في خزينها المعرفي إلا أنهم غَلّبوا الشمول العرفي لا المعرفي. وهذا لا يوصلنا إلى المراد حقيقةً ، فإذن نحتاج إلى تكثيف الجهود حول المرادات القرآنية للفظ مع أنه لا يسعنا ادراك المراد أبداً ، فإذاً يكون المطلوب أن نفرغ ساحة اللفظة القرآنية من التأويلات الباطلة لأن الله سبحانه جعل ذلك محالاً حيث قال ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ﴿آل عمران:٧﴾ فإذاً علينا أن ننتظر قيام قائم آل محمد ((عج)) ليكون هو المبين لما أُبهم علينا من حقيقة لفظه ، على أن تكون هناك محاولات لا على أساس التأويل بل على أساس إيضاح المعنى دون أن نجزم بأنه هو هو المعنى المراد من اللفظ القرآني فبها. وإلا نتعرض لأمور لا يحمد عقباها وهو أننا نمهد لأنفسنا لنتبوأ مقعداً في النار أعاذنا الله منها ، فاللازم أن نتحرى أقوال أئمة الهدى في تفسيراتهم للآيات القرآنية كي نكون على بينة ، لأن كل التفسيرات تتابعت أي أن أهل التفسير اقتفوا أثر أهل اللغة في الكلمة معناها ، وهذا لا يراد إلا أنه جهد مبارك منهم من تحفيز الآخرين للبحث والتحقيق في الكلمة القرآنية ومن هنا لابد لي من أن أذكر قاعدة اتخذها أصحاب التفسير جزاهم الله خيراً ألا وهي قاعدة الجري والانطباق وهذه القاعدة من المهم أن اجعلها في هذه التوطئة الموجزة.

الجري والانطباق معناه وضوابطه

ما هو المعنى للجري والانطباق في علم التفسير؟ وكيف يمكن تطبيقها والحال أنّ القرآن نزل في فترة معينة وبعض الآيات نزلت في أشخاص أو فئةٍ معينة؟.

وللإجابة : هو أن المراد من الجري والانطباق هو إسقاطٌ وتطبيقٌ مفادُ آية من آيات القرآن نزلت في شأن من الشؤون على شأن آخر لم يكن قد وقع في عصر النص أو لم يكن منشأ للنزول ولكنه واجدٌ لذات الخصوصيات التي اقتضت نزول الآية في ذلك الشأن.

وكذلك يكون الجري والانطباق في إسراء الآيات النازلة في أمةٍ من الأمم أو فرد أو فئةٍ إلى أمةٍ أو فرد أو فئة أخرى تحمل ذات الخصوصيات التي كان يتصف بها مَنْ نزلت فيهم تلك الآيات وكانت منشأً لمدحها أو ذمها إياهم.

المصحح لعملية الجري والانطباق

هو أن القرآن الكريم كتابُ هدايةٍ وليس كتاباً تأريخياً غرضه التوثيق لبعض الأحداث والوقائع أو التوصيف لسلوكٍ اجتماعي أو الحكم على فردٍ أو فئةٍ بالكفر والفسوق أو النفاق أو الإيمان ، وإذا كان ذلك واحداً من أغراضه فلا يتعدى كونه غرضاً ثانوياً ، وأما الغرض الجوهري فهو اعتماد ذلك الحكم أو التوصيف أو تلك الوقائع وسائل للتبصير والهداية.

فحينما يوصّف القرآن الكريم في بعض آياتهِ لسلوك اجتماعي كانت تسلكه أمةٌ من الأمم ثم يخبر عن المصير الذي آل إليه أمرها نتيجة ذلك السلوك فإنّ غرضه تطبيق مفاد هذه الآيات على واقع أيّ أمةٍ تقفُ على هذه الآيات ، فإن وجدت نفسها منطبقاً لذلك التوصيف فهي معنيّة من تلك الآيات ، وعليه يكون مآلها ذات المصير الذي وقع لتلك الأمة إلا أن تثوب إلى رشدها وتسعى من أجل التغيير لواقعها.

ومن هنا كان منشأ للتبصير والهداية ، ولو كان الغرض من نزول تلك الآيات هو مجرّد التوصيف والتوثيق لما صح إسقاطها على واقع تلك الأمة ، وبهذا لا يكون القرآن من هذه الحيثية منشأ للهداية.

وهكذا حينما يُحذّر القرآن مثلاً من المنافقين المعاصرين لزمن النص بعد التوصيف لخصوصياتهم النفسية والسلوكية فإن غرضه هو التحذير من كل فئة واجدة لذات الخصوصيات وعليه فإنّ كلّ فئة متصفة بتلك السمات والخصال فهي مقصودة في ذلك الخطاب ونستطيع أن نُسقط عليها عنوان المنافقين.

ضرورة الجري والانطباق

كون القرآن الكريم كتاب هداية وتبصير ، ولهذا جاءت الروايات الواردة عن أهل البيت(عليهم السلام) مؤكدة على ضرورة التعاطي مع القرآن الكريم على أساس الجري والانطباق وإلا مات القرآن بموت من نزلت فيهم الآيات.

رُويَ عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: ((إن القرآن حيٌّ لم يمت ، وأنه يجري كما يجري الليل والنهار وكما تجري الشمس والقمر ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا))[1].

ومنها: ما ورد في تفسير العياشي بإسناده عن أبي جعفر(عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ﴿الرعد:٧﴾:

قال(عليه السلام):

((عليٌّ الهادي ، ومنا الهادي)) فقلت: فأنت جعلت فداك الهادي؟ قال(عليه السلام): ((صدقت إنّ القرآن حيٌّ لا يموت ، والآية حيّةٌ لا تموت ، فلو كانت الآية إذا نزلت

---

١) بحار الأنوار ، ج٢. الكافي ، ج١. بصائر الدرجات.

في الأقوام وماتوا ماتت الآية لَمات القرآن ، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين))[١].

ومنها: ما ورد في تفسير العياشي أيضاً بإسناده عن أبي جعفر(عليه السلام):

((ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ولكن القرآن يجري أولهُ على آخره ما دامت السماوات والأرض ، ولكل قوم يتلوها هم منها من خيرٍ أو شر))[٢].

ومنها: ما ورد عن فضيل بن يسار قال سألت أبا جعفر(عليه السلام) عن هذه الرواية ما من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن فقال(عليه السلام):

((ظهرهُ تنزيلهُ وبطنه تأويلهُ ، منه ما قد مضى ومنه ما لم يكن ، يجري كما يجري الشمس والقمر كلّما جاء تأويلُ شيء منه يكون على الأموات كما يكون على الأحياء ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ﴿آل عمران:٧﴾ ، نحن نعلمه))[٣].

فمفاد هذه الآيات هو أنّ فاعليّة القرآن وحيويّته تكمن في التعاطي معه على أساس الجري والانطباق ، ومنها اقتبس مصطلح الجري والذي يستبطن معنى الحركة والتجددُ والديمومة ، فكما أنّ الليل والنهار والشمس والقمر في تجدُّدٍ دائم فكذلك هو القرآن لا يختص به مكان دون مكان ، فالمراد من الجري هو اسراء أحكام القرآن وتوصيفاته على كل من كان واجداً لخصوصياتها بقطع النظر عن الزمان والمكان ، وهذا هو معنى الانطباق والذي هو تطبيق أحكام القرآن وتوصيفاته على كل من كان منطبقاً لخصوصيات أحكامه وتوصيفاته.

---

١) تفسير العياشي ، ج٢.

٢) بصائر الدرجات. تفسير العياشي ، ج١.

٣) بصائر الدرجات. تفسير العياشي ، ج١.

ما هو ضابط الجري والانطباق

هنا يجدر التنبيه على أمر وهو أن إجراء آيات القرآن وتطبيقها على فردٍ أو فئة أو أمة من الأمم لا يكون جزافياً ولا يتيسر لكل أحد ما لم تكن له إحاطة بمعاني آيات القرآن ومراداته ، فقد يكون مقتضى الظهور البدوي إنطباق آية على أمة من الأمم إلا أنّ ذلك لا يُصحّح إجراء الآية وتطبيقها على تلك الأمة ، وذلك لأن المصحّح للجري والانطباق إنما هو الظهور الجدّي ، إذ هو الكاشف العقلائي عن المراد الواقعي للمتكلم وهو لا يتيّسر إلا بعد الملاحظة لتمام القرائن والخصوصيات المكتنفة بالآية أو المستفادة من مجموع الآيات ذات الصلة.

ورغم أنّ اعتماد الظهور الجدّي مصحّحٌ للجري والانطباق نظراً لكونه الوسيلة عقلائياً لاستكشاف المرادات الواقعية إلا أنّ ذلك لا يُصحّح الجزم بالانطباق ، وذلك لأن هذه الوسيلة العقلائية لم تُعتمد على أساس أنها كاشف قطعي عن المرادات الواقعية للمتكلم وإنما اعتمدت على أساس أنها غالباً ما تكون كاشفة عن المرادات الواقعية ، فهي إذن وسيلة ظنية ، غايته أنها معتمدة لدى العقلاء ، إذ لا سبيل عندهم غالباً للكشف عن مرادات المتكلّم إلا الظهورات الجدّية ، وهذا هو ما صحّح اعتمادها وسيلةً للتعرُّف على مرادات المتكلمين.

فالمصحّح إذن لاعتمادها عند العقلاء هو مطابقة كاشفيتها غالباً للمرادات الواقعية ، وتعذُّر الوسائل الكاشفة قطعاً عن المراد الواقعي غالباً.

فالجري والانطباق اعتماداً على الظهورات الجدّية وان كان معتبراً وصحيحاً ولكن ذلك لا يعني الجزم بالانطباق ، لأن الوسيلة المعتمدة لا تنتج الجزم وهو ما يُحتم إعطاء النفس مساحة من احتمال الخطأ وأنّ المورد الذي تمّ إجراء الآية عليه لم يكن مطابقاً للمراد الواقعي من الآية.

فلابد من عنصر آخر يتحتم التثبت منه في عمليّة الجري والانطباق وهو الدراسة الوافية لخصوصيات المورد الذي يراد تطبيق الآية عليه ، فما لم يُستوفَ التشخيص الموضوعي للمورد لا يكون الجري والتطبيق للآية عليه مما يصحح التعويل عليه عقلائياً.

ما الفائدة إذن من الجري والانطباق

إن عدم الجزم بالتطابق مع المراد الواقعي للقرآن لا يلغي الفائدة المنتظرة من عملية الجري والانطباق وهي التبصير والهداية ، وذلك لأن الجري اعتماداً على الظهور الجدي وان لم يكن تطابقهُ مع الواقع دائمياً إلا إنه غالباً ما يكون مطابقاً للواقع.

وهذه الخصوصية أي غالبية المطابقة للواقع هي الركيزة التي يعتمد العقلاء في مقام التعاطي مع عموم الشؤونات الحياتية والاجتماعية بل الثقافية.

فأخبار الثقاة المتثبتين مثلاً وان لم تكن منتجة للقطع واليقين غالباً إلا إن ذلك لا يسلب عنها القيمة العلمية بعد أن كانت نتائجها مطابقة للواقع غالباً بنحو يكون اتفاق عدم المطابقة نادراً جداً ، وهذه الندرة هي منشأ الإلغاء عقلائياً لاحتمال عدم المطابقة على أساس حساب الاحتمالات ومن هذه القيمة العلمية يكون الطريق على مرادات القرآن من ظواهر آياته منسدّاً وهو ما يفضي إلى انتفاء صفة الهداية للناس عن القرآن.

فالوسيلة المعتمدة للمتلقي للخطاب القرآني هو الاستظهار ، ولو كان الظهور الجدّي فاقداً للقيمة العلمية لأفضى إلى عدم إمكانية الوقوف على مرادات المتكلمين.

هذا على فرض أن المتلقي غير المعصوم للخطاب القرآني ، أما فرض صدور الجري والانطباق عن أحد المعصومين(عليهم السلام) فهو منتج لليقين دون ريب لأنهم عارفون بتمام مرادات القرآن.

لنأخذ نموذجاً واحداً في الجري والانطباق في روايات أهل البيت(عليهم السلام):

- قوله تعالى:

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ❖ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ ﴿القصص:٥-٦﴾.

سياق الآيتين كان حديثاً عن موسى وفرعون وهامان والمستضعفين من بني إسرائيل واشتملت كلٌ منهما على وعدٍ إلهي بهلاك فرعون وهامان وجنودهما والتمكين للمستضعفين من بني إسرائيل في الأرض وجعلهم الوارثين لها واصطفاء أئمةٍ لهم يكونون منهم. وظاهر الآية الأولى أن الوعد الإلهي لا يختص بأمة دون أخرى ، وانَّ إرادة الله قد تعلقت بالتمكين للمستضعفين في الأرض واصطفاء أئمة منهم.

وبالرجوع للروايات عن أهل البيت(عليهم السلام) والتي تصدت لبيان معنى الآيتين نجد عدداً منها قد طَبَّق مثل قوله تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾﴿القصص:٥﴾ على الإمام المهدي ((عج)) وبعضها أفاد أن المعني من قوله:

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿القصص:٥﴾ هم أئمة أهل البيت(عليهم السلام) فهم المستضعفون الذين مَنَّ الله عليهم وجعلهم أئمة ومنحهم الوراثة للأرض.

روى الصدوق في معاني الأخبار بسنده عن مفضل بن عمر قال:

سمعت أبا عبد الله(عليه السلام) يقول:

((إنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) نظر إلى علي والحسن والحسين(عليهم السلام) وبكى وقال: أنتم المستضعفون بعدي)) قال المفضل: فقلت: ما معنى ذلك يا ابن رسول الله؟. قال(عليه السلام): ((معناه إنكم الأئمة بعدي إن الله عز وجل يقول:

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾﴿القصص:٥﴾. فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة))[1][2].

وهناك روايات كثيرة أعرضنا عنها لأنها تدور نفس المدار.

عزيزي القارئ أرجو أن لا يأخذ منك الملل مأخذه حين أذكر لك الآيات التي ورد فيها لفظة آية بمشتقاتها حيث وردت بـ (١١) لفظاً وتكررت (٣٨٢) مرة في (٢٨٠) آية مكية و (١٠٠) آية مدنية في (٥٨) سورة ، (٤٢) مكي و(١٦) مدني.

وعدد الآيات التي وردت فيها (٣٧٨) آية وهناك ثلاث آيات تكررت فيها لفظة آية حيث **وردت في القرآن :**

- ☒ **بصيغة المفرد : (٨٦) مرة.**
- ☒ **وبصيغة المثنى : (١).**
- ☒ **وبصيغة الجمع : (٢٩٥) مرة.**

ولم تتصل بأل التعريف إلا في مواضع قليلة جداً حين تعرف بالإضافة وهذا جدول للألفاظ الإحدى عشر مكيها ومدنيها المفرد منها والمثنى والجمع:

---

١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق.

٢) شؤون قرآنية ، ج١.

ت	الصيغة	مكي	مدني	المجموع	
١	آية	٦٥	١٨	٨٣	صيغة المفرد ٨٦ مرة
٢	الآية	١	-	١	
٣	آيتك	١	١	٢	
٤	آيتين	١	-	١	صيغة المثنى ١ مرة
٥	آيات	٧٤	٤١	١١٥	صيغة الجمع ٢٩٥
٦	الآيات	٢١	١٢	٣٣	
٧	آياته	٢٤	١٣	٣٧	
٨	آياتها	١	-	١	
٩	آياتك	٢	١	٣	
١٠	آياتي	١٢	٢	١٤	
١١	آياتنا	٨٠	١٢	٩٢	
المجموع ٣٨٢					

وتوزعت على (٣٧٨) آية. والمعرف بأل (٣٤) مرة واحدة بالمفرد و (٣٣) بالجمع وإليك هذه الآيات حسب تسلسل السور في القرآن ومواضعها في كل سورة مع أنها إطالة لكن من المهم أن نقف عليها كي تعرف ما المقصود من لفظة آية في الاستعمال القرآني.

لفظة آيـــة

١. ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا ...﴾ ﴿البقرة:١٠٦﴾.

٢. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ ﴿البقرة:١١٨﴾.

٣. ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ ﴿البقرة:١٤٥﴾.

٤. ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ ﴿البقرة:٢١١﴾.

٥. ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ ﴿البقرة:٢٤٨﴾.

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿البقرة:٢٤٨﴾.

٦. ﴿ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ ﴿البقرة:٢٥٩﴾.

هذه ست آيات في سورة البقرة.

٧. ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ ﴿آل عمران:١٣﴾.

٨. ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ ﴿آل عمران:٤١﴾.

٩. ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿آل عمران:٤٩﴾.

١٠. ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿آل عمران:٥٠﴾.

هذه أربع آيات في سورة آل عمران.

١١. ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ﴾ ﴿المائدة:١١٤﴾.

هذه آية واحدة في سورة المائدة

١٢. ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿الأنعام:٤﴾.

١٣. ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ ﴿الأنعام:٢٥﴾.

١٤. ﴿أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ ﴿الأنعام:٣٥﴾.

١٥. ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ ﴿الأنعام:٣٧﴾.

١٦. ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿الأنعام:٣٧﴾.

١٧. ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ...﴾ ﴿الأنعام:١٠٩﴾.

١٨. ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ...﴾ ﴿الأنعام:١٢٤﴾.

هذه ست آيات في سورة الأنعام

١٩. ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾ ﴿الأعراف:٧٣﴾.

٢٠. ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿الأعراف:١٠٦﴾.

٢١. ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الأعراف:١٣٢﴾.

٢٢. ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ ﴿الأعراف:١٤٦﴾.

٢٣. ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا...﴾ ﴿الأعراف:٢٠٣﴾.

هذه خمس آيات في سورة الأعراف.

٢٤. ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ ﴿يونس:٢٠﴾.

٢٥. ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ ﴿يونس:٩٢﴾.

٢٦. ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿يونس:٩٧﴾.

هذه ثلاثُ آياتٍ في سورة يونس.

٢٧. ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾ ﴿هود:٦٤﴾.

٢٨. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ ﴿هود:١٠٣﴾.

هذه آيتين في سورة هود.

٢٩. ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ ﴿يوسف:١٠٥﴾.

هذه آية واحدة في سورة يوسف.

٣٠. ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ ﴿الرعد:٧﴾.

٣١. ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ ﴿الرعد:٢٧﴾.

٣٢. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿الرعد:٣٨﴾.

هذه ثلاث آيات في سورة الرعد.

٣٣. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ...﴾ ﴿الحجر:٧٧﴾.

هذه آية واحدة في سورة الحجر.

٣٤. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿النحل:١١﴾.

٣٥. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿النحل:١٣﴾.

٣٦. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿النحل:٦٥﴾.

٣٧. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿النحل:٦٧﴾.

٣٨. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿النحل:٦٩﴾.

٣٩. ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ ﴿النحل:١٠١﴾.

هذه ست آيات في سورة النحل.

٤٠. ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً...﴾ ﴿الإسراء:١٢﴾.

هذه آية واحدة في سورة الإسراء.

٤١. ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ ﴿مريم:١٠﴾.

٤٢. ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿مريم:٢١﴾.

هذه آيتين في سورة مريم.

٤٣. ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ ﴿طه:٢٢﴾.

٤٤. ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ ﴿طه:٤٧﴾.

٤٥. ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ ﴿طه:١٣٣﴾.

هذه ثلاث آياتٍ في سورة طه.

٤٦. ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ ﴿الأنبياء:٥﴾.

٤٧. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿الأنبياء:٩١﴾.

هذه آيتين في سورة الأنبياء.

٤٨. ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ...﴾ ﴿المؤمنون:٥٠﴾.

هذه آية واحدة في سورة المؤمنون.

٤٩. ﴿لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً...﴾ ﴿الفرقان:٣٧﴾.

هذه آية واحدة في سورة الفرقان.

٥٠.﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ ﴿الشعراء:٤﴾.

٥١.﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الشعراء:٨﴾.

٥٢.﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الشعراء:٦٧﴾.

٥٣.﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الشعراء:١٠٣﴾.

٥٤. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الشعراء:١٢١﴾.

٥٥.﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الشعراء:١٣٩﴾.

٥٦. ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الشعراء:١٥٨﴾.

٥٧. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الشعراء:١٧٤﴾.

٥٨. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الشعراء:١٩٠﴾.

٥٩. ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ ﴿الشعراء:١٢٨﴾.

٦٠. ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿الشعراء:١٥٤﴾.

٦١. ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿الشعراء:١٩٧﴾.

هذه اثنا عشر آية في سورة الشعراء.

٦٢. ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿النمل:٥٢﴾.

هذه آية واحدة في سورة النمل.

٦٣. ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿العنكبوت:١٥﴾.

٦٤. ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿العنكبوت:٣٥﴾.

٦٥. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿العنكبوت:٤٤﴾.

هذه ثلاث آيات في سورة العنكبوت.

٦٦. ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ ﴿الروم:٥٨﴾.

هذه آية واحدة في سورة الروم.

٦٧. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ﴿سبأ:٩﴾.

٦٨. ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾ ﴿سبأ:١٥﴾.

هذه آيتين في سورة سبأ.

٦٩. ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ ﴿يس:٣٣﴾.

٧٠. ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ ﴿يس:٣٧﴾.

٧١. ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ ﴿يس:٤١﴾.

٧٢. ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿يس:٤٦﴾.

هذه أربع آيات في سورة يس.

٧٣. ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ ﴿الصافات:١٤﴾.

هذه آية في سورة الصافات.

٧٤. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿غافر:٧٨﴾.

هذه آية واحدة في سورة غافر.

٧٥. ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ ﴿الزخرف:٤٨﴾.

هذه آية واحدة في سورة الزخرف.

٧٦. ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ﴿الفتح:٢٠﴾.

هذه آية واحدة في سورة الفتح.

٧٧. ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿الذاريات:٣٧﴾.

هذه آية واحدة في سورة الذاريات.

٧٨. ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ ﴿القمر:٢﴾.

٧٩. ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ ﴿القمر:١٥﴾.

هذه آيتين في سورة القمر.

٨٠. ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ ﴿النازعات:٢٠﴾.

هذه آية واحدة في سورة النازعات.

لفظ آيتك

٨١. ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ ﴿آل عمران:٤١﴾.

هذه آية واحدة في سورة آل عمران.

٨٢. ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ ﴿مريم:١٠﴾.

هذه آية واحدة في سورة مريم.

لفظ آيتين

٨٣. ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ ﴿الإسراء:١٢﴾.

هذه آية واحدة في سورة الإسراء.

لفظ آيات

٨٤. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ﴿البقرة:٦١﴾.

٨٥. ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿البقرة:٩٩﴾.

٨٦. ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿البقرة:١١٨﴾.

٨٧. ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿البقرة:١٦٤﴾.

٨٨. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿البقرة:٢١٩﴾.

٨٩. ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾ ﴿البقرة:٢٣١﴾.

٩٠. ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ...﴾ ﴿البقرة:٢٥٢﴾.

٩١. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿البقرة:٢٦٦﴾.

هذه ثمانية آيات في سورة البقرة.

٩٢. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ...﴾ ﴿آل عمران:٤﴾.

٩٣. ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ...﴾ ﴿آل عمران:٧﴾.

٩٤. ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿آل عمران:١٩﴾.

٩٥. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ﴿آل عمران:٢١﴾.

٩٦. ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿آل عمران:٥٨﴾.

٩٧. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ﴿آل عمران:٧٠﴾.

٩٨. ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا...﴾ ﴿آل عمران:٩٧﴾.

٩٩. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿آل عمران:٩٨﴾.

١٠٠. ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ ﴿آل عمران:١٠١﴾.

١٠١. ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ ﴿آل عمران:١٠٨﴾.

١٠٢. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ...﴾ ﴿آل عمران:١١٢﴾.

١٠٣. ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿آل عمران:١١٣﴾.

١٠٤. ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿آل عمران:١١٨﴾.

١٠٥. ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿آل عمران:١٩٠﴾.

١٠٦. ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ﴿آل عمران:١٩٩﴾.

هذه خمسة عشر آية في سورة آل عمران.

١٠٧. ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا﴾ ﴿النساء:١٤٠﴾.

١٠٨. ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾ ﴿النساء:١٥٥﴾.

هذه آيتين في سورة النساء.

١٠٩. ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿المائدة:٧٥﴾.

هذه آية واحدة في سورة المائدة.

١١٠. ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿الأنعام:٤﴾.

١١١. ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الأنعام:٢٧﴾.

١١٢. ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿الأنعام:٣٣﴾.

١١٣. ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ ﴿الأنعام:٤٦﴾.

١١٤. ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿الأنعام:٥٥﴾.

١١٥. ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ ﴿الأنعام:٦٥﴾.

١١٦. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿الأنعام:٩٧﴾.

١١٧. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ﴿الأنعام:٩٨﴾.

١١٨. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الأنعام:٩٩﴾.

١١٩. ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿الأنعام:١٠٥﴾

١٢٠. ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿الأنعام:١٠٩﴾.

١٢١. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿الأنعام:١٢٦﴾.

١٢٢. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ ﴿الأنعام:١٥٧﴾.

١٢٣. ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ ﴿الأنعام:١٥٨﴾.

١٢٤. ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ ﴿الأنعام:١٥٨﴾.

هذه خمسة عشرة آية في سورة الأنعام.

١٢٥. ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿الأعراف:٢٦﴾.

١٢٦. ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿الأعراف:٣٢﴾.

١٢٧. ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ ﴿الأعراف:٥٨﴾.

١٢٨. ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ ﴿الأعراف:١٢٦﴾.

١٢٩. ﴿وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾ ﴿الأعراف:١٣٣﴾.

١٣٠. ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿الأعراف:١٧٤﴾.

هذه ست آيات في سورة الأعراف.

١٣١. ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ ﴿الأنفال:٥٢﴾.

١٣٢. ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ ﴿الأنفال:٥٤﴾.

هذه آيتين في سورة الأنفال.

١٣٣. ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ﴿التوبة:٩﴾.

١٣٤. ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿التوبة:١١﴾.

هذه آيتين في سورة التوبة.

١٣٥. ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿يونس:١﴾.

١٣٦.﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يونس:٥﴾.

١٣٧.﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ ﴿يونس:٦﴾.

١٣٨.﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿يونس:٢٤﴾.

١٣٩.﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿يونس:٦٧﴾.

١٤٠.﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿يونس:٧١﴾.

١٤١.﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿يونس:٩٥﴾.

١٤٢.﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿يونس:١٠١﴾.

هذه ثمانية آيات في سورة يونس.

١٤٣.﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ ﴿هود:٥٩﴾.

هذه آية واحدة في سورة هود.

١٤٤.﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ﴿يوسف:١﴾.

١٤٥.﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ ﴿يوسف:٧﴾.

١٤٦.﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ ﴿يوسف:٣٥﴾.

هذه ثلاث آيات في سورة يوسف.

١٤٧.﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ ﴿الرعد:١﴾.

١٤٨.﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ ﴿الرعد:٢﴾.

١٤٩. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿الرعد:٣﴾.

١٥٠. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿الرعد:٤﴾.

هذه أربع آيات في سورة الرعد.

١٥١. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿إبراهيم:٥﴾.

هذه آية واحدة في سورة إبراهيم.

١٥٢. ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ ﴿الحجر:١﴾.

١٥٣. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ ﴿الحجر:٧٥﴾.

هذه آيتين في سورة الحجر.

١٥٤. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿النحل:١٢﴾.

١٥٥. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿النحل:٧٩﴾.

١٥٦. ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ ﴿النحل:١٠٤﴾.

١٥٧. ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿النحل:١٠٥﴾.

هذه أربع آيات في سورة النحل.

١٥٨. ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ ﴿الإسراء:٥٩﴾.

١٥٩. ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ ﴿الإسراء:٥٩﴾.

١٦٠. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ﴿الإسراء:١٠١﴾.

هذه ثلاث آيات في سورة الإسراء.

١٦١. ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ ﴿الكهف:١٧﴾.

١٦٢. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ ﴿الكهف:٥٧﴾.

١٦٣. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ ﴿الكهف:١٠٥﴾.

هذه ثلاث آيات في سورة الكهف.

١٦٤. ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ ﴿مريم:٥٨﴾.

هذه آية واحدة في سورة مريم.

١٦٥. ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ ﴿طه:٥٤﴾.

١٦٦. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ ﴿طه:١٢٧﴾.

١٦٧. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ ﴿طه:١٢٨﴾.

هذه ثلاث آيات في سورة طه.

١٦٨. ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ ﴿الحج:١٦﴾.

هذه آية واحدة في سورة الحج.

١٦٩. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ ﴿المؤمنون:٣٠﴾.

١٧٠. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿المؤمنون:٥٨﴾.

هذه آيتين في سورة المؤمنون.

١٧١. ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ﴿النور:١﴾.

١٧٢. ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿النور:١٨﴾.

١٧٣. ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ ﴿النور:٣٤﴾.

١٧٤. ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿النور:٤٦﴾.

١٧٥. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيم﴾ ﴿النور:٥٨﴾.

١٧٦. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿النور:٦١﴾.

هذه ست آيات في سورة النور.

١٧٧. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ ﴿الفرقان:٧٣﴾.

هذه آية واحدة في سورة الفرقان.

١٧٨. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ﴿الشعراء:٢﴾.

هذه آية واحدة في سورة الشعراء.

١٧٩. ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿النمل:١﴾.

١٨٠. ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ ﴿النمل:١٢﴾.

١٨١. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿النمل:٨٦﴾.

هذه ثلاث آيات في سورة النمل.

١٨٢. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ﴿القصص:٢﴾.

١٨٣. ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ ﴿القصص:٨٧﴾.

هذه آيتين في سورة القصص.

١٨٤. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا﴾ ﴿العنكبوت:٢٣﴾.

١٨٥. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿العنكبوت:٢٤﴾.

١٨٦. ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ﴿العنكبوت:٤٩﴾.

١٨٧. ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ ﴿العنكبوت:٥٠﴾.

١٨٨. ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿العنكبوت:٥٠﴾.

هذه خمس آيات في سورة العنكبوت.

١٨٩. ﴿الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿الروم:١٠﴾.

١٩٠. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿الروم:٢١﴾.

١٩١. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ ﴿الروم:٢٢﴾.

١٩٢. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿الروم:٢٣﴾.

١٩٣. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿الروم:٢٤﴾.

١٩٤. ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿الروم:٢٨﴾.

١٩٥. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الروم:٣٧﴾.

هذه سبع آيات في سورة الروم.

١٩٦. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿لقمان:٢﴾.

١٩٧. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿لقمان:٣١﴾.

هذه آيتين في سورة لقمان.

١٩٨. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ ﴿السجدة:٢٢﴾.

١٩٩. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿السجدة:٢٦﴾.

هذه آيتين في سورة السجدة.

٢٠٠. ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ ﴿الأحزاب:٣٤﴾.

هذه آية واحدة في سورة الأحزاب.

٢٠١. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿سبأ:١٩﴾.

هذه آية واحدة في سورة سبأ.

٢٠٢. ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿يس:٤٦﴾.

هذه آية واحدة في سورة يس.

٢٠٣. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿الزمر:٤٢﴾.

٢٠٤. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الزمر:٥٢﴾.

٢٠٥. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿الزمر:٦٣﴾.

٢٠٦. ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ ﴿الزمر:٧١﴾.

هذه أربع آيات في سورة الزمر.

٢٠٧. ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿غافر:٤﴾.

٢٠٨. ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ ﴿غافر:٣٥﴾.

٢٠٩. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ ﴿غافر:٥٦﴾.

٢١٠. ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿غافر:٦٣﴾.

٢١١. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ ﴿غافر:٦٩﴾.

٢١٢. ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ ﴿غافر:٨١﴾.

هذه ست آيات في سورة غافر.

٢١٣. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿الشورى:٣٣﴾.

هذه آية واحدة في سورة الشورى.

٢١٤. ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾ ﴿الدخان:٣٣﴾.

هذه آية واحدة في سورة الدخان.

٢١٥. ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الجاثية:٣﴾.

٢١٦. ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿الجاثية:٤﴾.

٢١٧. ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿الجاثية:٥﴾.

٢١٨. ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ ﴿الجاثية:٦﴾.

٢١٩. ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ ﴿الجاثية:٨﴾.

٢٢٠. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ ﴿الجاثية:١١﴾.

٢٢١. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿الجاثية:١٣﴾.

٢٢٢. ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ ﴿الجاثية:٣٥﴾.

هذه ثمانية آيات في سورة الجاثية.

٢٢٣. ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿الأحقاف:٢٦﴾.

٢٢٤. ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿الأحقاف:٢٧﴾.

هذه آيتين في سورة الأحقاف.

٢٢٥. ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ ﴿الذاريات:٢٠﴾.

هذه آية واحدة في سورة الذاريات.

٢٢٦. ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ﴿النجم:١٨﴾.

هذه آية واحدة في سورة النجم.

٢٢٧. ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ﴿الحديد:٩﴾.

٢٢٨. ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿الحديد:١٧﴾.

هذه آيتين في سورة الحديد.

٢٢٩. ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ﴿المجادلة:٥﴾.

هذه آية واحدة في سورة المجادلة.

٢٣٠. ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿الجمعة:٥﴾.

هذه آية واحدة في سورة الجمعة.

٢٣١. ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ...﴾ ﴿الطلاق:١١﴾.

هذه آية واحدة في سورة الطلاق.

آياتك

٢٣٢. ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ ﴿البقرة:١٢٩﴾.

هذه آية واحدة في سورة البقرة.

٢٣٣. ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ ﴿طه:١٣٤﴾.

هذه آية واحدة في سورة طه.

٢٣٤. ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ ﴿القصص:٤٧﴾.

هذه آية واحدة في سورة القصص.

لفظ آياتـــنـــا

٢٣٥. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ﴿البقرة:٣٩﴾.

٢٣٦. ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ ﴿البقرة:١٥١﴾.

هذه آيتين في سورة البقرة.

٢٣٧. ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ ﴿آل عمران:١١﴾.

هذه آية واحدة في سورة آل عمران.

٢٣٨. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ ﴿النساء:٥٦﴾.

هذه آية واحدة في سورة النساء.

٢٣٩. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿المائدة:١٠﴾.

٢٤٠. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿المائدة:٨٦﴾.

هذه آيتين في سورة المائدة.

٢٤١. ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ﴿الأنعام:٣٩﴾.

٢٤٢. ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿الأنعام:٤٩﴾.

٢٤٣. ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿الأنعام:٥٤﴾.

٢٤٤. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ﴿الأنعام:٦٨﴾.

٢٤٥. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ﴿الأنعام:١٥٠﴾.

٢٤٦. ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ ﴿الأنعام:١٥٧﴾.

هذه ست آيات في سورة الأنعام.

٢٤٧. ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ ﴿الأعراف:٩﴾.

٢٤٨. ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿الأعراف:٣٦﴾.

٢٤٩. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ ﴿الأعراف:٤٠﴾.

٢٥٠. ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ...﴾ ﴿الأعراف:٥١﴾.

٢٥١. ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ ﴿الأعراف:٦٤﴾.

٢٥٢. ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الأعراف:٧٢﴾.

٢٥٣. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ ﴿الأعراف:١٠٣﴾.

٢٥٤. ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ﴿الأعراف:١٣٦﴾.

٢٥٥. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ﴿الأعراف:١٤٦﴾.

٢٥٦. ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ ﴿الأعراف:١٤٧﴾.

٢٥٧. ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الأعراف:١٥٦﴾.

٢٥٨. ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا...﴾ ﴿الأعراف:١٧٥﴾.

٢٥٩. ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا...﴾ ﴿الأعراف:١٧٦﴾.

٢٦٠. ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا...﴾ ﴿الأعراف:١٧٧﴾.

٢٦١. ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿الأعراف:١٨٢﴾.

هذه خمسة عشر آية في سورة الأعراف.

٢٦٢. ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا...﴾ ﴿الأنفال:٣١﴾.

هذه آية واحدة في سورة الأنفال.

٢٦٣. ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ ﴿يونس:٧﴾.

٢٦٤. ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ...﴾ ﴿يونس:١٥﴾.

٢٦٥. ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا...﴾ ﴿يونس:٢١﴾.

٢٦٦. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا...﴾ ﴿يونس:٧٣﴾.

٢٦٧. ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿يونس:٧٥﴾.

٢٦٨. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ ﴿يونس:٩٢﴾.

هذه ست آيات في سورة يونس.

٢٦٩. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿هود:٩٦﴾.

هذه آية واحدة في سورة هود.

٢٧٠. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ...﴾ ﴿إبراهيم:٥﴾.

هذه آية واحدة في سورة إبراهيم.

٢٧١. ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿الحجر:٨١﴾.

هذه آية واحدة في سورة الحجر.

٢٧٢. ﴿...إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا...﴾ ﴿الإسراء:١﴾.

٢٧٣. ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا...﴾ ﴿الإسراء:٩٨﴾.

هذه آيتين في سورة الإسراء.

٢٧٤. ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ ﴿الكهف:٩﴾.

هذه آية واحدة في سورة الكهف.

٢٧٥. ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ ﴿مريم:٧٣﴾.

٢٧٦. ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿مريم:٧٧﴾.

هذه آيتين في سورة مريم.

٢٧٧. ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ ﴿طه:٢٣﴾.

٢٧٨. ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ ﴿طه:٥٦﴾.

٢٧٩. ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ ﴿طه:١٢٦﴾.

هذه ثلاث آيات في سورة طه.

٢٨٠.﴿ونَصرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا...﴾ ﴿الأنبياء:٧٧﴾.

هذه آية واحدة في سورة الأنبياء.

٢٨١.﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿الحج:٥١﴾.

٢٨٢.﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾﴿الحج:٥٧﴾.

٢٨٣.﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾﴿الحج:٧٢﴾

٢٨٤.﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا...﴾ ﴿الحج:٧٢﴾.

هذه أربع آيات في سورة الحج.

٢٨٥.﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿المؤمنون:٤٥﴾.

هذه آية واحدة في سورة المؤمنون.

٢٨٦.﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ ﴿الفرقان:٣٦﴾.

هذه آية واحدة في سورة الفرقان.

٢٨٧.﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ﴿الشعراء:١٥﴾.

هذه آية واحدة في سورة الشعراء.

٢٨٨.﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿النمل:١٣﴾.

٢٨٩.﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿النمل:٨١﴾.

٢٩٠.﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿النمل:٨٢﴾.

٢٩١.﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ﴿النمل:٨٣﴾.

هذه أربع آيات في سورة النمل.

٢٩٢.﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ ﴿القصص:٣٥﴾.

٢٩٣.﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى...﴾ ﴿القصص:٣٦﴾.

٢٩٤.﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿القصص:٤٥﴾.

٢٩٥.﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا...﴾ ﴿القصص:٥٩﴾.

هذه أربع آيات في سورة القصص.

٢٩٦.﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿العنكبوت:٤٧﴾.

٢٩٧.﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ ﴿العنكبوت:٤٩﴾.

هذه آيتين في سورة العنكبوت.

٢٩٨.﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ ﴿الروم:١٦﴾.

٢٩٩.﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿الروم:٥٣﴾.

هذه آيتين في سورة الروم.

٣٠٠. ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا...﴾ ﴿لقمان:٧﴾.

٣٠١. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ ﴿لقمان:٣٢﴾.

هذه آيتين في سورة لقمان.

٣٠٢. ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا...﴾ ﴿السجدة:١٥﴾.

٣٠٣. ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿السجدة:٢٤﴾.

هذه آيتين في سورة السجدة.

٣٠٤. ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ ﴿سبأ:٥﴾.

٣٠٥. ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ ﴿سبأ:٣٨﴾.

٣٠٦. ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ...﴾ ﴿سبأ:٤٣﴾.

هذه ثلاث آيات في سورة سبأ.

٣٠٧. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿غافر:٢٣﴾.

هذه آية واحدة في سورة غافر.

٣٠٨. ﴿هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ﴿فصلت:١٥﴾.

٣٠٩. ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ﴿فصلت:٢٨﴾.

٣١٠. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا...﴾ ﴿فصلت:٤٠﴾.

٣١١. ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ...﴾ ﴿فصلت:٥٣﴾.

هذه أربع آيات في سورة فصلت.

٣١٢. ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ ﴿الشورى:٣٥﴾.

هذه آية واحدة في سورة الشورى.

٣١٣. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ...﴾ ﴿الزخرف:٤٦﴾.

٣١٤. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿الزخرف:٤٧﴾.

٣١٥. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿الزخرف:٦٩﴾.

هذه ثلاث آيات في سورة الزخرف.

٣١٦. ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ﴿الجاثية:٩﴾.

٣١٧. ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿الجاثية:٢٥﴾.

هذه آيتين في سورة الجاثية.

٣١٨. ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿الأحقاف:٧﴾.

هذه آية واحدة في سورة الأحقاف.

٣١٩. ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ ﴿القمر:٤٢﴾.

هذه آية واحدة في سورة القمر.

٣٢٠.﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿الحديد:١٩﴾.

هذه آية واحدة في سورة الحديد.

٣٢١.﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿التغابن:١٠﴾.

هذه آية واحدة في سورة التغابن.

٣٢٢.﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿القلم:١٥﴾.

هذه آية واحدة في سورة القلم.

٣٢٣.﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ ﴿المدثر:١٦﴾.

هذه آية واحدة في سورة المدثر.

٣٢٤.﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ ﴿النبأ:٢٨﴾.

هذه آية واحدة في سورة النبأ.

٣٢٥.﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿المطففين:١٣﴾.

هذه آية واحدة في سورة المطففين.

٣٢٦.﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ﴿البلد:١٩﴾.

هذه آية واحدة في سورة البلد.

لفظ آياته

٣٢٧. ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿البقرة:٧٣﴾.

٣٢٨. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿البقرة:١٨٧﴾.

٣٢٩. ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿البقرة:٢٢١﴾.

٣٣٠. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿البقرة:٢٤٢﴾.

هذه أربع آيات في سورة البقرة.

٣٣١. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿آل عمران:١٠٣﴾.

٣٣٢. ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ...﴾ ﴿آل عمران:١٦٤﴾.

هذه آيتين في سورة آل عمران.

٣٣٣. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿المائدة:٨٩﴾.

هذه آية واحدة في سورة المائدة.

٣٣٤. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿الأنعام:٢١﴾.

٣٣٥. ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿الأنعام:٩٣﴾.

٣٣٦. ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الأنعام:١١٨﴾.

هذه ثلاث آيات في سورة الأنعام.

٣٣٧.﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ...﴾﴿الأعراف:٣٧﴾.

هذه آية واحدة في سورة الأعراف.

٣٣٨.﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿الأنفال:٢﴾.

هذه آية واحدة في سورة الأنفال.

٣٣٩.﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿التوبة:٦٥﴾.

هذه آية واحدة في سورة التوبة.

٣٤٠.﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿يونس:١٧﴾.

هذه آية واحدة في سورة يونس.

٣٤١.﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ﴿هود:١﴾.

هذه آية واحدة في سورة هود.

٣٤٢.﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿الحج:٥٢﴾.

هذه آية واحدة في سورة الحج.

٣٤٣.﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿النور:٥٩﴾.

هذه آية واحدة في سورة النور.

٣٤٤. ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿النمل:٩٣﴾.

هذه آية واحدة في سورة النمل.

٣٤٥. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ ﴿الروم:٢٠﴾.

٣٤٦. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا...﴾ ﴿الروم:٢١﴾.

٣٤٧. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ...﴾ ﴿الروم:٢٢﴾.

٣٤٨. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ ﴿الروم:٢٣﴾.

٣٤٩. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾ ﴿الروم:٢٤﴾.

٣٥٠. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ...﴾ ﴿الروم:٢٥﴾.

٣٥١. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ...﴾ ﴿الروم:٤٦﴾.

هذه سبع آيات في سورة الروم.

٣٥٢. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ...﴾ ﴿لقمان:٣١﴾.

هذه آية واحدة في سورة لقمان.

٣٥٣. ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ...﴾ ﴿ص:٢٩﴾.

هذه آية واحدة في سورة ص.

٣٥٤.﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا...﴾ ﴿غافر:١٣﴾.

٣٥٥.﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ ﴿غافر:٨١﴾.

هذه آيتين في سورة غافر.

٣٥٦.﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿فصلت:٣﴾.

٣٥٧.﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ...﴾ ﴿فصلت:٣٧﴾.

٣٥٨.﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً...﴾ ﴿فصلت:٣٩﴾.

٣٥٩.﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ...﴾ ﴿فصلت:٤٤﴾.

هذه أربع آيات في سورة فصلت.

٣٦٠.﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ...﴾ ﴿الشورى:٢٩﴾.

٣٦١.﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ ﴿الشورى:٣٢﴾.

هذه آيتين في سورة الشورى.

٣٦٢.﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الجاثية:٦﴾.

هذه آية واحدة في سورة الجاثية.

٣٦٣.﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾ ﴿الجمعة:٢﴾.

هذه آية واحدة في سورة الجمعة.

لفظ آياتها

٣٦٤. ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿الأنبياء:٣٢﴾.

هذه آية واحدة في سورة الأنبياء.

لفظ آياتي

٣٦٥. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ ﴿البقرة:٤١﴾.

هذه آية واحدة في سورة البقرة.

٣٦٦. ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾ ﴿المائدة:٤٤﴾.

هذه آية واحدة في سورة المائدة.

٣٦٧. ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا...﴾ ﴿الأنعام:١٣٠﴾.

هذه آية واحدة في سورة الأنعام.

٣٦٨. ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿الأعراف:٣٥﴾.

٣٦٩. ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾ ﴿الأعراف:١٤٦﴾.

هذه آيتين في سورة الأعراف.

٣٧٠. ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾ ﴿الكهف:٥٦﴾.

٣٧١.﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ ﴿الكهف:١٠٦﴾.

هذه آيتين في سورة الكهف.

٣٧٢.﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ ﴿طه:٤٢﴾.

هذه آية واحدة في سورة طه.

٣٧٣.﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ﴿الأنبياء:٣٧﴾.

هذه آية واحدة في سورة الأنبياء.

٣٧٤.﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾﴿المؤمنون:٦٦﴾.

٣٧٥.﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿المؤمنون:١٠٥﴾.

هذه آيتين في سورة المؤمنون.

٣٧٦.﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿النمل:٨٤﴾.

هذه آية واحدة في سورة النمل.

٣٧٧.﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿الزمر:٥٩﴾.

هذه آية واحدة في سورة الزمر.

٣٧٨.﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾﴿الجاثية:٣١﴾

هذه آية واحدة في سورة الجاثية.

هذا كل ما ورد في سور القرآن من لفظ آية ومشتقاتها.

الاستعمال القرآني

لا بد من ذكر المعنى في الاستعمال القرآني للآية:

الأول

الآية: بهذا المعنى اللغوي الذي استعملها القرآن ، لفظة قرآنية لم يعهدها العرب من قبل.

الثاني :

ودل هذا اللفظ أينما وقع في القرآن على معنى المعجزة الإلهية في معظم الأحيان ، وعلى معنى المعجزة البشرية التي هي الأعمال الكبيرة العجيبة التي يصنعها الناس حيناً آخر فتكون بمثابة معجزة نظراً إلى محدودية القدرة البشرية[1].

وتتجلى هذه المعاني في ستة أقسام :

أ. آيات كونية من عجائب خلق الله ، وهي كثيرة جداً في القرآن. مثل:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿النحل:٦٧﴾.

ب. آيات ظهرت على أيدي الأنبياء وهي كثيرة جداً. مثل:

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ ﴿النازعات:٢٠﴾.

جـ. خوارق العادات والعلامات الإلهية. مثل:

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ ﴿المؤمنون:٥٠﴾.

---

١) نصوص في علوم القرآن ، ج٦ .

د. الآيات القرآنية وهي أكثر ما جاء عدداً. مثل:

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ ﴿البقرة:٢٥٢﴾.

هـ. عجائب أفعال البشر. مثل:

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ ﴿الشعراء:١٢٨﴾.

و. حوادث كونية ناشئة عن غضب الرب. مثل:

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿الذاريات:٣٧﴾.

وكل الأقسام تشترك في كونها ظاهرة عجيبة ، فآيات الكون ومعجزات الأنبياء وآيات القرآن وآيات الدمار والهلاك عجائب دالة على قدرة الله تعالى وعلمه وعلو ذاته وصفاته.

والمعجزات إنما هي تدل على صدق الأنبياء ، ولكونها أفعال الله الخارقة للعادة تظهر على أيدي الأنبياء تصديقاً لنبوّتهم وهي قبل ذلك آيات إلوهيّته وربوبيته تعالى ، وأما العبرة والحجة وسائر ما جاء في كتب المفردات والتفاسير فهي إما من مصاديق العلامة أو من آثارها ، فإن العبرة بذا الحجة من جملة ما يترتب على تلك العلامات المحيرة للعقول وعليك بالتأمل في القرآن حتى تطبق الآيات على هذه المصاديق الستة.

وهذا التأمل لا يكون إلا من خلال معرفة معنى الآية بتلك الأقسام التي ذكرت في هذه التوطئة.

قال الخليل الفراهيدي (ت١٧٥هـ) :

❖ الآية العلامة ، والآية من آيات الله ، والجمع الآي ، وتقديرها فَعَلَةٌ ، إن الألف التي في وسط الآية من القرآن ، والآيات العلامات هي في الأصل ((ياء)) وكذلك ما جاء من بناتها على بنائها نحو: الغاية والرّاية وأشباه ذلك.

فلو تكلفت اشتقاقها من ((الآية)) على قياس علامة فَعَلَه لقلت: آية مأياة قد أيّـيَتْ.

في جامع البيان للطبري (ت ٣١٠هـ) :

وأما الآية من آي القرآن ، فإنها تحتمل وجهين في كلام العرب:

- **أحدهما:** أن تكون سُمّيت آية ، لأنها علامةٌ يعرف بها تمام ما قبلها وابتداؤها كالآية التي تكون دلالة على الشيء يستدل بها عليه ، كقول الشاعر:

ألِكْنى إليها عَمْرَك الله يا فتى بـآيـةِ مـا جـاءت إلـينـا تهاديا

يعني بعلامة ذلك. ومنه قوله جل ذكره :

﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ﴾ ﴿المائدة:١١٤﴾.

أي علامة منك لإجابتك دُعاءنا وإعطاءك إيانا سُئولنا.

- **والآخر منها:** القصة ، كما قال كعب بن زهير بن أبي سلمى:

ألا بَـلِّـغـا هـذا الـمُـعَرِّض آيـةً أيقضانَ قال القول إذ قال أم حُلْم

ويعني بقوله آية: رسالة مني وخبراً عني ، فيكون معنى الآيات: القصص. قصة تتلو قصة بفصولٍ ووُصُولٍ.

﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ ﴿البقرة:٢٥٩﴾.

إنما عنى بقوله: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾. ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ حجة على من جهل قدرتي وشك في عظمتي. وأنا القادر على فعل ما أشاء من إماتةٍ وإحياءٍ ، وإنشاء ، وإنعام ، وإذلال ، وإقتار وإغناء بيدي ذلك كله ، لا يملكه أحد دوني ، ولا يقدر عليه غيري .

وقال آخرون: معنى ذلك أنه جاء وقد هلك من يعرفه ، فكان آية لمن قَدِمَ عليه من قومه.

وقال أبو جعفر: والذي هو أولى بتأويل الآية من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أنه جعل الذي وصف صفته في هذه الآية حُجة للناس ، فكان ذلك حجة على من عَرِفه من ولده وقومه ممن علم بموته ، وإحياء الله إياه بعد مماته وعلى من بُعث إليه منهم ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿الأنعام:٤﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وما تأتي هؤلاء الكفار الذين بربهم يعدلون أوثانهم وآلهتهم ﴿آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ يقول: حجة وعلامة ، ودلالة من حُجج ربهم. ودلالاته واعلامه على وحدانيته ، وحقيقة نبوتك يا محمد وصدق ما أتيتهم به من عندي.

في التبيان في تفسير القرآن للطوسي (ت ٤٦٠هـ) :

معنى الآية والآيات :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ﴿البقرة:٣٩﴾.

وآيات الله ، دلائله وكُتبه التي أنزلها على أنبيائه ، والآية: الحجة والدلالة والبيان والبرهان ، واحد في أكثر المواضع ، وان كان بينها فرق في الأصل ، لأنك تقول: دلالة هذا الكلام ، ولا تقول: آيته ولا علامته ، وكذلك تقول: دلالة هذا الاسم ، ولا تقول برهانه.

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ ﴿البقرة:٢١١﴾.

والآيات البيّنات : ما ذكرها الله تعالى: من قلب عصا موسى حيّة ، ويدهُ البيضاء ، وفلقه البحر وتغريق عدوهم من فرعون وأصحابه ، وتظليله عليهم الغمام ، وإنزال المنّ والسلوى ، وذلك من آيات الله التي أتى بها بني إسرائيل. فخالفوا جميع ذلك ، وقتلوا أنبيائه ورُسله ، وبدلوا عهده ووصيّه إليهم.

﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ ﴿البقرة:٢٥٩﴾.

وروي عن علي(عليه السلام): أن عُزيراً خرج من أهله ، وامرأته حامل ، وله خمسون سنة ، فأماته الله مائة عام ، ثم بعثه فرجع إلى أهله ابن خمسين سنة ، وله ابن له مائة سنة فكان ابنهُ أكبر منه ، وذلك من آيات الله.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ﴿آل عمران:٤١﴾.

❖ والآية العلامة وإنما سأل العلامة أو الآية لوقت الحمل الذي سأل ربه ليتعجل السرور به.

في قول الحسن: فجعل الله تعالى آيته في إمساك لسانه ، فلم يقدر أن يُكلّم الناس إلا إيماءً من غير آفةٍ حدثت في لسانه ، كما يقال ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ ﴿مريم:١٠﴾ ، هذا قول الحسن وقتادة والربيع وأكثر المفسرين.

وفي وزن ((آية)) ثلاثة أقوال :

- **أحدها :** **((فَعِلَة))** إلا أنّه شذّ من جهة إعلال العين مع كون اللام حرف علّة ، وإنما القياس في مثله إعلال اللام ، نحو: حياة ونواة ، ونظيرها: راية وطاية ، وشذّ ذلك للأشعار بقوة إعلال العين.
- **الثاني :** **((فَعَلَة))** أَيْـيَـة إلا أنها قلبت كراهية التضعيف ، نحو: طاي من طيي.
- **الثالث :** **((فاعله))** منقوصة ، وهذا ضعيف ، لأنهم صغّروها **((أُيَـيّـة))** ولو كانت((فاعله)) لقالوا **((أُوَيّة))** إلا أنه يجوز على ترخيم التّصغير ، نحو: فُطَيمة.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿الأنعام:٤﴾.

في هذه الآية إخبار من الله تعالى أنه لا يأتي هؤلاء الكفار المذكورين في أول الآية: ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ وهي المعجزات التي يظهرها على رسوله ، وآيات القرآن التي كان ينزلها على نبيه(ﷺ): ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ لا يقبلونها ولا يستدلون بها على ما دلّهم الله عليه من توحيده وصدق رسوله محمد(ﷺ).

﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿الأنعام:١٠٩﴾.

وقوله: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾﴿الأنعام:١٠٩﴾ أي اجتهدوا في اليمين وبالغوا فيه. والآية التي سألوا النبي(ﷺ) إظهارها قيل فيها قولان:

- **أحدهما :** أن سألوا تحول الصّفا ذهباً.

- **الثاني :** ما ذكره في موضع آخر من قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ إلى قوله: ﴿كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾ ﴿الإسراء:٩٠-٩٣﴾ ، والمعنى أن هؤلاء الكفار أقسموا متحكمين على النبي(ﷺ) وبالغوا في أيمانهم أنهم إذا جاءتهم الآية التي اقترحوها ليؤمنن بها ، أي عندها فأمر الله نبيه(ﷺ) أن يقول لهم: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿الأنعام:١٠٩﴾ فإن قيل: كيف قال: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿الأنعام:١٠٩﴾ وذلك معلوم؟.

قيل: معناه من أجل أن الآيات عند الله ليس لكم أن تتحكموا في طلبها ، لأنه لا يجوز أن يتخلف عنكم ولا عن غيركم ما فيه المصلحة في الدين ، لأنه تعالى لا يُخلّ بذلك.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿الأنعام:٣٧﴾.

﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ يعني الآية التي سألوها واقترحوا أن يأتيهم بها من جنس ما شاءوا لما قالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ ﴿الأنبياء:٥﴾ ، يعنون فَلْق البحر ، وإحياء الموتى. وإنما قالوا ذلك حين أيقنوا بالعجز عن معارضته فيما أتى به من القرآن ، فاستراحوا إلى أن التمسوا مثل آيات الأولين ، فقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ ﴿العنكبوت:٥١﴾ .

❖ أقول فكيف تفرضون نسخ آياته المفروض أنها باقية كونها معجزة لا تزول فيكم وفي من كان قبلكم.

وقال هاهنا قل يا محمد: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿الأنعام:٣٧﴾.

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿الأعراف:٧٣﴾.

((الآية)) هي البيّنة العجيبة بظهور الشهادة ولطف المنزلة.

و ((الآية)) والعبرة والدّلالة والعلامة نظائر.

والآية التي كانت في الناقة خروجها من صخرة ملساء تمخضت بها كما تتمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها ، وكان لها الشرب يوم ، تشرب فيه الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله ، ولهم شُرب يوم يخصّهم لا تقرب فيه ماءهم.

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الأعراف:١٣٢﴾.

في هذه الآية إخبار من الله تعالى ، وحكاية ما قال قوم فرعون لموسى(عليه السلام) بأنهم قالوا له أي شيء تأتينا به من المعجزات وتسحرنا بها ، فإنا لا نصدقك عليه ولا نؤمن بك.

والآية هي المعجزة الدّالة على نبوته ، وهي كل ما يعجز الخلق عن معارضته ومقاومته ، كما لا يمكن مقاومة الشبهة للحجة ، وكما لا يمكن أن يقاوم الجهل العلم ، والسراب للماء ، وإن توهم ذلك قبل النظر والاعتبار ، ويُخيّل قبل الاستدلال الذي يزول معه الالتباس.

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿يونس:١﴾.

((والآية)) العلامة التي تُنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة ، والقرآن مفصّل الآيات مضمّن بالحكم النافية للشبهات. فكيف تزول آيات الذكر الحكيم.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ ﴿يوسف:٧﴾.

((والآية)) الدلالة على ما كان من الأمور العظيمة. وكما قلنا الآية والعلامة والعبرة نظائر في اللغة.

وقال الرُماني: الفرق بين الآية والحجة: أن الحجة معتمد البيّنة التي توجب الثقة بصحة المعنى ، والآية تكشف عن المعنى الذي فيه إعجوبة.

ووجه الآية في يوسف وإخوته أنهم نالوه للحسد بالأذى مع أنهم أولاد الأنبياء يعقوب وإسحاق وإبراهيم ، فصفح وعفا وأحسن ، ورجع إلى الأولى وكان ذلك خروجاً عن العادات.

فهل يحق لنا أن نتأول أن النسخ ؟ وهو إزالة كما ذهب إليه أهل اللغة في بيان معناها ، فعلينا أن نعطي الآية القرآنية أبعاد تتسع لتشمل كل احتمالات المراد القرآني الذي لا يعتريه زوال لآياته ، وإنما هو تجدد وديمومة وما كان هكذا فهو في حال تجدد وتحول إلى الأحسن إذا كان كذلك هنا يحق لنا القول بالنسخ بهذا المعنى وسوف نبينه إن شاء الله.

وهناك موضوع لطالما اختلف فيه الناس بكافة مستوياتهم ومنذ القرن الأول الهجري ومنذ العقود الأولى منه ألا وهو موضوع العدد للآيات والكلمات والحروف وهو من الأمور التي تدعو إلى زيادة في كلماته وحروفه وهذه الزيادة منهي عنها وكذلك قد يكون فيها نقص وهذا يعارض أن القرآن هو ما بين الدفتين لا زيادة ولا نقصان فيه ، لكنه مع هذا واقع ، كونه عنادٌ رَكَنَ إلى الهوى واتباع من دون إيضاح الحقيقة كما هي ، وهذا بدوره قد يؤدي إلى التحريف وهو من المعضلات الكبرى التي للآن تعاني منها هذه الأمة حيث أن كل فرقة من فرقهم تتهم الأخرى بالتحريف مع أن منشأه كان بعد إغماضة عين رسول الله(ﷺ) وهذا لا يقول به مسلم صلحت سريرته واتبع سنة النبي الأكرم(ﷺ).

ولكن وقعنا وللأسف بهذه الهوة السحيقة الأعماق لنكون في ظلمة الأوهام وصراعات التفرق.

وإليك بشكل مختصر عدد الآيات عند البصري والمدني والكوفي:

وجميع آي القرآن في :

- البصري : ٦٢٠٤ آية.
- المدني الأول : ٦٢١٧ آية.
- المدني الأخير : ٦٢١٤ آية.
- والكوفي : ٦٢٣٦ آية.

وجميع ما نزل بمكة (٨٥) سورة لا خلاف في ذلك.

وبالمدينة (٢٩) سورة لا خلاف في ذلك.

فيكون المجموع (١١٤) سورة ، وروي عن جماعة من المتقدمين (١١٢) سورة.

وعدد جميع كلمات القرآن : ٧٩٢٧٧ كلمة.

وعدد جميع حروفه : ٣٢٣٠١٥ حرف.

وعدد نقطه : ١٥٦٠٨١ نقطة.

وفي المباني لنظم المعاني للعاصمي[1] عدد الآي وحروفه وكلماته:

وأما عدد الآي: فروي عن ابن مسعود قال آيات القرآن ٦٢١٨ آية وحروفها ٣٢٢٦٩٠ حرف. فلتالي القرآن لكل حرف منها عشر حسنات.

---

١) أبو محمد بن أحمد بن جعفر بن بسطام الطَحري ، ت ٣٧٨ هـ .

والقرآن كله في عدد أهل مكة ٦٢١٠ آية ، فيما ذكره الزّعفراني عن عكرمة بن سليمان ، وذكر مثله عن مجاهد وعن عبد الله بن كثير.

- عن مجاهد أنه قال: القرآن ٣٢١١٨٨ حرف.

- وعن إسماعيل بن جعفر: أن القرآن كله ٦٢١٤ آية.

- وعن شيبة بن نضاح: ٦٢١٧ آية.

وكلماته عند أهل المدينة ٧٧٤٣٩ كلمة وحروفه ٣٢٣٠١٥ حرف.

- وعن ابن سيرين : القرآن ٦٢١٦ آية.

- وعن زيد بن عبد الواحد أبي المعافي الضّرير قال:

عدد أهل الكوفة : ٦٢٣٦ آية.

عدد أهل البصرة : ٦٢٠٤ آية.

وينسب عددهم إلى عاصم الجَحْدري.

- وعن ابن جعفر بن القعقاع أنه : ٦٢١٠ آيات.

- وفي عدد أهل الشام : ٦٢٢٦ آية ، وينسب عددهم إلى يحيى بن أبي الحرث الذّماري.

- وعن حُميد الأعرج قال: جميع آي القرآن ٦٢١٢ آية.

وأما عدد الحروف والكلمات فذكر بعض العادّين :

أن عدد كلام القرآن : ٧٧٤٣٦ كلمة.

وعدد حروفه : ٣٢٠٢١١ حرف.

كما ترى الفرق في مجموع الكلمات ٧٧٤٣٤ كلمة.

وفي المعجم الإحصائي : ٧٧٨٠٧ كلمة.

والحروف : ٣٢٥٠٧٢ حرف.

فالفروق كبيرة ومتباينة ، مع أن الجميع يقولون إن القرآن هذا ما بين الدفتين فلم هذا التباين وإليك ملخصه:

- عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) : ٦٢٣٦ آية.
- وطبق العد البصري : ٦٢٠٤ آية.
- وطبق قول الجمهور : ٦٦٦٦ آية .

واختلفوا أيضاً في كلمات القرآن والاختيار قول عطاء بن يسار

وهو : ٧٧٤٣٩ كلمة.

وتركت باقي الإحصائيات لأن ذلك يراد له بحث مستقل خاص به ، وأستميحك عذراً لأنك قرأت ما ذكر في عدد الآية والكلمة والحرف وقد ثبتها جرياً ومتابعة إلا أني ذكرته لأن له علاقة في موضوع صيانة القرآن من التحريف الذي له علاقة بموضوع البحث وهو الناسخ والمنسوخ.

فالقرآن الكريم الذي نزل نجوماً على مدى أكثر من عقدين من الزمن ، ورغم أن المعاني التي تصدى لبيانها متنوعة ، فبعضها يتصل بسنن التأريخ والبعض الآخر يرتبط بالتشريع على تشعبه وسعة تفاصيله ، وبعضها تصدى لبيان أصول العقائد ،

وآيات تصدّت لبيان القيم والفضائل ، وتحدثت آيات عن حوادث وقعت في التأريخ ووصفت أحداث وقعت في زمن النص وكشفت عن مغيبات أخبرت عن وقوعها في مستقبل الأيام أو السنين . فرغم تنوع الموضوعات التي تناولتها آيات القرآن ، ورغم تفاوت الزمن الذي نزلت فيه ، ورغم اختلاف الأسباب التي نشأ عنها النزول ، ورغم تباين الأحوال والظروف ، فآيات نزلت والحرب قائمة وأخرى نزلت في ظروف السلم وبعضها نزلت بعد النصر وبعضها نزلت بعد الهزيمة ونزلت آيات في السفر وأخرى في الحضر وآيات نزلت والنبي(ﷺ) في شعب أبي طالب محاصر ، ونزلت حينما كان طريداً يقذفه صبيان الطائف بالحجارة. ونزلت حينما خرج من مكة شريداً يتوارى عن أعين المشركين في جحور الجبال ، ونزلت حينما عاد إليها فاتحاً مظفراً.

وخاطبت آيات القرآن صنوفاً من الناس ، ففي آيات كان الخطاب للمشركين وفي آيات كان الخطاب للمؤمنين ، وخاطبت آيات أهل الكتاب من اليهود والنصارى وخاطبت في موارد أخرى المنافقين ، وثمة خطابات كانت للمترفين والجبّارين وأخرى كانت للمستضعفين.

فرغم كلّ ذلك التباين في الأحوال والظروف ورغم كلّ هذا التنوُّع في الموضوعات والخطابات لا نجد فيه تفاوتاً في النظم ، فلا تقف على آية يصحُّ أن يؤتى بأحسن منها ، وأما الشعراء أعني فحولهم والأدباء المتميّزين منهم يكتبون ويحذفون ، وكلما تعاقب الزمن وجدوا أنهم لو اختاروا هذا اللفظ في موضع الذي كان لكان أولى ، وتراهم يستحسنون شيئاً كتبوه ثم يمجُّونه أو يرغبون في أحسن منه وقد كانوا بذلوا وسعهم في تنظيمه وتزويقه ، وما كان النبي(ﷺ) يقف على ما أُلقي عليه فألقاه فيُسقط لفظاً كان قد أثبته أو يستبدل لفظاً محل لفظٍ آخر رغم أن أحوال الصدور كانت متفاوتة وهو ما يقتضي اغتشاش المزاج وانبساطه وذلك ما ينعكس على البيان لو كان قد جاء به من عنده ، ورغم تعاقب الزمن وطوله وهو ما يقتضي انصقال القريحة واتساع القدرة الابداعية لا نجد النبي(ﷺ) قد وقف على آيةٍ كان قد بلّغها في

صدر الدعوة فاستبدل بعض ألفاظها أو غيّر نظمها ، فها نحن نجد آيات مكية ضُمّنت في سورةٍ مدنية وأخرى مدنية ضُمّنت في سورةٍ مكيّة ، فلا يكاد أحد قادراً على أن يُميّز بين مكي الآيات ومدنيها من حيث قوة النظم ورصانة السبك وجزالة اللفظ ، فلا تفاوت بين آيةٍ نزلت في صدر الدعوة وأخرى حين أزف الرحيل.

ورغم تعاقب السنين وتباين الأحوال وتراكم التجارب المقتضي كلُّ ذلك لنموّ العقل وشحذ الذهن وصقل المواهب وتعاظم الاستعداد النفسي والفكري لا نجد تمايزاً في مستوى العرض للمفاهيم والأفكار والمعارف والتشريعات ، فهي منظومةٌ متناغمة متجانسة ذاتُ سياقٍ واحد ، فليس في ثناياها ما ينقض الآخر بل إن بعضها يقوّم الآخر ، بل يقف المتدبّر لآيات القرآن على منظومةٍ عقائدية وأُخرى قيميّة وثالثة تشريعية ، ومنظومة في سنن التأريخ مفعمة بتوصيف مُتناهٍ في الدقة لأحوال السابقين من الأنبياء وتجارب الأمم ، ثم يستعرض المتدبّر كلَّ تلك الدوائر يجدها متداخلة منتظمة في إطار واحد لا ينبو منها شيء ولا يُتنافر بعضها الآخر. رغم أنّ التباين في الأحوال والتباين في الأزمان واختلاف الموضوعات يقتضي التدارك الدائم والتهذيب وإعادة التنظيم والترتيب.

فهذا ما تحدّت به الآية المباركة عموم الناس مجتمعين ومنفردين الحاضرين منهم في زمن النصّ واللاحقين بهم إلى يوم الدين ، فهي تقدم القرآن بجموع آياته برهاناً على أنّه من عند الله تعالى ، فليس في ميسور أحدٍ أن يأتي بكتاب في حجم القرآن مشتمل على موضوعاتٍ ذاتِ أبعاد مختلفة وجذورٍ متباعدة يكتبه في أحوال متباينة ومتقلّبة وحُقبٍ متباعدة ثم لا يستدرك على ما كتبه في صفحاته الأولى فلا يشطب شيئاً مما كان قد دوّنه ولا يُعالج رأياً كان قد شيده ببيانٍ يراه أكثر إتقاناً من الأول.

وأما النبي(ﷺ) فكان يلقي على الناس الآية في صدر الدعوة فيحفظونها ويدونّونها ثم تمضي الأيام والسنون وتتقلب الأحوال فلا يتنظّر فيها ولا يُعيد صياغتها ولا يستجدُ عنده ما يدعوه لإسقاطها أو تهذيبها ، فلو كان ما قد جاء به

مسانخاً لما يأتي به البشر لاقتضى ذلك أن يُضفي على ما جاء به حصائلَ ما أنتجته التراكمات في الخبرة والتجربة إلا أن الأمر لم يكن كذلك بل أنه يضم ما كان قد بلّغه إلى ما استجدّ وحيُه فينتظم انتظام حبّات العقد الزاهي على جِيد فتاة مجتمعاً.

﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿النور:٣٥﴾.

فليس في نظمه وقوة بيانه تفاوت ، ولا تجد تناقضاً في معانيه ومضامين آية ،وقد احتفظ بمنهجيةٍ ثبت عليها حتى آخر آية نزلت.

بعد هذا البيان لابد من الرجوع إلى أجواء الآية المباركة وهي قوله تعالى:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ ﴿البقرة:١٠٦﴾.

لو تدبرنا آيات القرآن الكريم لوجدنا أن سياق الآية يبين ما كان يتعرض إليه المسلمين من حالة من النقد من قبل اليهود ، وذلك محاولة منهم لزعزعة المعتقد ، حيث أن اليهود ابتداءً أشكلوا على المسلمين ، كيف يصح لكم أن تصلّوا نحو بيت المقدس؟[1].

---

١) بيت المقدس: هو الحرم القدسي الشريف ، شُيد على جبل في بيت المقدس يسمى جبل (موريا) وهو يشغل مساحة واسعة مربعة طول الجهة الغربية (٤٩٠م) والشرقية (٤٧٤م) والشمالية (٣٢١م) والجنوبية (٢٨٣م) يحيط بها سور عظيم يتراوح ارتفاعه بين (٣٠م) عند الزاوية الشمالية الشرقية و (٤٠م) في الجنوب الشرقي ، ويبلغ بعض الحجارة خمسة أمتار طولاً في أربعة أمتار عرضاً ، أما عن تأريخ الحرم القدسي الشريف فقد قام النبي داود(عليه السلام) بفتح فلسطين ، وبنا على صخرة بيت المقدس مذبحاً تُقدم فيه القرابين ، وفي سنة (١٠١٣ق.م) أمر سليمان(عليه السلام) بإنشاء قصر له حيث المسجد الأقصى وهيكل فخم حيث قبة الصخرة الشريفة ولم يكمل البناء إلا بعد وفاته بمدة طويلة وفي سنة (٥٨٨) دمره الكلدانيون. معجم البلدان.

ثم نزلت الآية ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ❖ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿البقرة:١٤٥-١٤٦﴾.

على تغيير القبلة ثم جاءوا بطور آخر من النقد أنه لو كانت القبلة الأولى على حق فلِمَ وقع التغيير وإن كانت القبلة الثانية على حق فما دور أعمالكم السابقة فلابد أن تكون باطلة.

فكانت الآية ﴿البقرة:١٠٦﴾ لأجل القوة الإيمانية في قلوب المسلمين فنزلت هذه الآية بقوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾.

اختلف المفسرون منهم من فسر النسخ بالإزالة ومنهم من فسره بنسخت الكتاب وهو قول عطاء وسعيد بن المسيب[1] ، ومن قال بالقول الأول ذكروا فيه وجوهاً:

- **أحدها :** ما ننسخ من آية وانتم تقرءونه أو ننسها أي من القرآن ما قريء بينكم ثم نسيتم وهو قول الحسن والأصم وأكثر المتكلمين فحملوه على نسخ الحكم دون التلاوة وننسها على نسخ الحكم والتلاوة معاً فإن قيل هذا النسيان ممنوع عقلاً وشرعاً ، أما العقل فلأن القرآن لابد من إيصاله إلى أهل التواتر ، والنسيان على أهل التواتر بأجمعهم ممتنع.
وأما النقل فقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿الحجر:٩﴾.

---

١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي ، أحد علماء الإثبات ، من الفقهاء الكبار ، اتفقوا على أن مرسلاته من اصح المراسيل مات بعد التسعين ، وقد ناهز الثمانين.

- والجواب عن الأول من وجهين :
  - الأول: إن النسيان يصح بأن يأمر الله تعالى بطرحه في القرآن وإخراجه من جملة ما يتلى ويؤتى به في الصلاة أو يحتج به فإذا زال حكم التعبد به وطال العهد نسي ، وان ذكر فعل طريق ما يذكر خبر الواحد بهذا الوجه منسياً عن الصدور.
  - والجواب الثاني: أن ذلك يكون معجزة للرسول(ﷺ) ويرى فيه خبر أنهم كانوا يقرءون السورة فيصبحون وقد نسوها.

والجواب عن الثاني معارض بقوله ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ❖ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ﴿الأعلى:٦-٧﴾ وبقوله ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ ﴿الكهف:٢٤﴾.

- **القول الثاني :**

ما ننسخ من آية أي نبدلها إما أن نبدل حكمها فقط ، أو تلاوتها فقط أو نبدلها. أما قوله تعالى: ﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾ فالمراد نتركها كما كانت فلا نبدلها ، وان الترك أحد معاني النسيان كما مر ، فحاصله أن الذي نبدله فإنا نأتي بخير منه أو مثله.

- **القول الثالث :**

ما ننسخ من آية أي نرفعها بعد إنزالها أو ننسأها على قراءة الهمز أي نؤخر إنزالها من اللوح المحفوظ أو يكون المراد نؤخر نسخها فلا ننسخها في الحال فإنا ننزل بدلها ما يقوم مقامها في المصلحة.

- **القول الرابع :**

ما ننسخ من آية وهي الآية التي صارت منسوخة في الحكم والتلاوة معاً أو ننسها أي نتركها وهي الآية التي صارت منسوخة في الحكم ولكنها غير منسوخة في التلاوة بل هي باقية في التلاوة ، فأما من قال بالقول الثاني: ما

ننسخ من آية أي ننسخها من اللوح المحفوظ أو ننسأها نؤخرها وأما قراءة ننسها فالمعنى نتركها يعني نترك نسخها فلا ننسخها[1].

وقوله تعالى: مثلها وهو أن النسخ الذي يقع تارة في التشريع أو في التكوين فالذي يؤتى به أما بخبر أو بمثل في إثبات التأثير والتأكيد على وجوده المطلق.

وعليه فقدرة الله على رفع الحكم وإزالته ليس بعزيز ولذا قال سبحانه:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿البقرة:١٠٦﴾

وذلك لبيان سعة القدرة على كل شيء سواء كان من ناحية القرآن أم من غيره من سائر المعجزات ، قوله:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿البقرة:١٠٧﴾.

هنا إشارة إلى دور الإحاطة المطلقة والحاكمية التي لا تتخلف عن سلطانه لحظة واحدة وإنما هي منقادة إليه انقياد المعلول الفاني أما العلة القاهرة

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ ﴿طه:١١٤﴾.

وأن ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿الحديد:٢﴾.

وأنه سبحانه ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ ﴿آل عمران:٢٦﴾ .

فإن كل ذلك إنما تعرض له في الآية :

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿البقرة:١٠٧﴾.

---

١) الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ج٢.

لأجل دعم قلوب المؤمنين على جادة الحق وترسيخها أمام كل محتملات التشكيك من ناحية المعتقدات والأراجيف الذالة ، وهذه قدرة الله في ملكه وان كان الخطاب للنبي(ﷺ) تشريعاً ولكن إنما يراد به على نحو الإشارة لقلوب المؤمنين لترسيخ قواعدهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿البقرة:١٠٧﴾

بيان للكشف أن الكون منقاد تحت إرادته وحاكميته والولي هو القائم بالأمر ومدبر الكون سواء كان في الجانب التكويني أو التشريعي وان من يطلب النصرة لابد أن يكون له القابلية في العطاء وان ما عداه ضعيف لا يملك الولاية وهو القيام بالأمر ولا النصرة وهو القوة على دعم طالب النصرة ، وعليه يكون نظر الآية في إثبات الدليل العقلي في إرجاع كل ضعيف إلى القوي المطلق لانقطاع الكل إليه واستغنائه عنهم.

وفي الآية المباركة وهي قوله ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ ﴿البقرة:١٠٦﴾ فيها معيار يتعرض إلى ناحية قواعد النسخ حيث يمكن أن يقسم إلى قسمين:

- **النسخ التكويني.**
- **النسخ التشريعي.**

أما النسخ التكويني :

في هذا التقسيم يمكن أن نتناول بحثه تارة بمعنى إزالة وجود وانتقال وجود آخر كما يقال نسخت الشمس الظل ونسخ الشيب الشباب وأخرى تحويره وجود ثاني مساغ للوجود الأول كما عليه نظرية الاستنساخ الحديث:

من أخذ جينات وتحويرها ، وكانت فكرة الاستنساخ أو ما يسمى بالتنسيل وهي قديمة عند الصينيين وقد بحثتها ألمانيا أخيراً في العقد الثالث من القرن العشرين وكانت المحاولة من خلال تجميد الخلايا وكانت البداية بتجميد خلايا البقرة عند درجة ٧٩° تحت الصفر لنقلها إلى بقرة أخرى وكان ذلك عام ١٩٥٠م وفي عام ١٩٥٢م كانت محاولة استنساخ الضفدعة وفي عام ١٩٦٠م استطاع العلماء استنساخ النباتات ، وفي عام ١٩٨٣م حملت أول أم جنيناً بالتلقيح الاصطناعي وفي عام ١٩٨٥م قاموا باستخدام تقنية الهندسة الوراثية بتمكين خنازير في المعمل لإنتاج هرمونات النمو البشري وفي عام ١٩٩٣م ظهرت عدة أفلام للخيال العلمي في تصوير الاستنساخ البشري واستنساخ الديناصورات وفي عام ١٩٩٧م أعلن عن مولد نعجة استنسخت من خلايا ضرع نعجة[١].

والهندسة الوراثية هي عبارة عن نقل قطعة من كروموسوم معين حامل لجين شخص مسؤول عن تصنيع بروتين ذي مواصفات معينة مدروسة إلى كائن حي آخر يفتقد هذا الجين وهذه الآلية الدقيقة والمعقدة إلى حد ما لها المبدأ نفسه سواء طبقت على أصغر الكائنات الحية كالفيروس والبكتريا أو أعقد الكائنات الحية في السلم التطوري كالإنسان باستثناء بعض مفاصل الآلية اعتماداً على المكونات الكيمياوية ونسبها الداخلة في تركيب الكائن الصغير أو خلايا الكائنات الحية الكبيرة.

وأرادوا من هذا التنسيل أنه سيؤدي إلى إنتاج أدوية محسنة وبكميات وافرة وإلى تحسين الإنتاج الحيواني وتوفير أجهزة غيار للإنسان ، فالهندسة الوراثية علم تطبيقي يمكن أن يسهم في حل العديد من المشاكل المستعصية في عصرنا والتي تتراوح بين تكوين سلالات جديدة من النباتات الاقتصادية إلى معالجة التشويهات والأمراض الوراثية[٢].

---

١) صحيفة الأهرام ١٩٩٧م.

٢) جريدة الحياة ١٩٩٧م.

فالاستنساخ هو التصرف في الجينات من خلال تطور الإنسان العلمي وله خطوطه العريضة مثل:

١. إيجاد نسخة مماثلة دون مجرد المشابهة إذ هناك فرق بين المماثلة والمشابهة.

- فإن المماثلة تقع في أصل التكوين والوحدة الحقيقية على أن يصبح الفرد الثاني بالوجود يماثل الفرد الأول في الوجود حقيقة من غير اختلاف أصلاً بخلاف المشابهة فإنها وان اتفقت في الصورة إلا أنها تختلف من حيث الحقيقة والماهية.

٢. إيجاد نسخة يمكن أن يُحدث فيها الإنسان تغييرات وجودية كأن يطول جسمه وأذنه أو يكبر عيناً ويصغر عيناً وهذا مما يوجب تغييراً في خلق الله بلحاظ الوجود التكويني دون العرضي إلا أن المراد بالذاتي هنا ما أخذ في أصل الوجود التكويني ولذا أطلقنا عليه بالأمر العرضي وهو محرم بصدق قوله تعالى:

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ ﴿النساء:١١٩﴾.

٣. إيجاد نسخة يسري عليها التغيير العرضي دون التغيير الذاتي كتغيير صفة العين من السوداء إلى الزرقاء أو صفراء أو بياض أو العكس ، أو يجعله أسمر دون الأسود والأبيض ، وهذا غير محرم لأنه لم يكن تغييراً جوهرياً في خلق الله وإنما تغيير صفتي وأمر عرضي فلم يكن تغييراً جوهرياً.

٤. إيجاد نسخة جزئية لا كلية كأن يوجد المستنسخ عضواً لأجل الترقيع ، وهذا لا مانع منه إذا لم يستلزم وجود كائن حي متكامل ثم يقتله ويأخذ جزءاً منه لأجل مصلحة الأصل دون الفرع فإذا أوجب قتل حياة كان محرماً لا يقره الشرع ، ولا القانون ولا العرف وكان أمراً محرماً وإنما إذا أخذ الاستنساخ من خلية إنسان وزرعت في حيوان لترقيع بعض أعضائه التي تعتبر مقبولة عرفاً علمياً فلا مانع فيه.

٥. إيجاد نسخة من الإنسان على جزء من الحيوان كأن يجعل رأسه وذيله سمكة أو حيوان من الثديات كالفرس ونحوه كل ذلك إذا أقره العلم بحسب المنطق العلمي والعرف العام وهذا أيضاً محرم.

٦. النظر إلى العناوين الكلية في الاستنساخ فالميزان بحسب العناوين الأولية جائز لأنها تمثل ظاهرة علمية تختلف باختلاف الحيثيات والجهات فإن أخذ فيها الاحتفاظ بأصل الوجود وعدم التلاعب في خلق الله وتكوينه فهذا لا مانع منه وغير محرم وان كان النظر إلى الاستنساخ بحسب العنوان الثانوي فإذا أخذ الاستنساخ من فصيلة الذكر من الذكر أو الأنثى من الأنثى أو الذكر من الأنثى فإن ذلك موجب لاختلال التوارث والأنساب وموازين القضاء فمثل هذا يمنعه الشارع للأدلة الثانوية دون الأدلة الأولية وما ثبت في معجزة نبي الله عيسى(عليه السلام) بناءً على صدق الاستنساخ عليه علمياً فهو من نوع قضية شخصية لإثبات المعجزة وهو من الأمور الممكنة وليست من الأمور المحالة وهذا لا يكون حكماً كلياً وقضية عامة معيارية لأن ذلك يوجب اختلال نظام التوارث والأنساب وقواعد القضاء أيضاً.

٧. الاستنساخ والعامل البيئي: فإن العامل البيئي وان أوجب تغييراً في السلوك كما ورد في قوله(صلى الله عليه وآله): ((إياكم وخضراء الدمن ، فقيل يا رسول الله ما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء)). كما أن استنساخ الفرد الشرير إذا جعل في منبت حسن يمكن تغييره ما لم يكن مأخوذاً فيه جهة الشقاء في أصل الذات كما ورد في قوله(صلى الله عليه وآله): ((السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه)). وعلى هذا تأتي شبهة الجبر في الوجود التكويني ولكن يمكن رفع الشبهة من خلال أن الله لم يخلق الذات شقية وإنما جعل لها الاستعداد في الخير والشقاء دون التصرف في أصل وجود الشيء التكويني ولذا ورد في قوله تعالى:

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ﴿البلد:١٠﴾.

٨. الاستنساخ من الخلية الحية فهو مثار التحرك العلمي ، وأما إذا قدر الاستنساخ من خلية ميتة فهل إن ذلك موجب للقول بالتناسخ أو المسخ؟ والجواب أنه ليس من نوع المسخ إذ فرق بين النسخ ، والمسخ حقيقة يوجد بطرق اختلاف الحقيقة والجهة الفعلية كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ ﴿المائدة:٦٠﴾ ، وأما النسخ فهو الذي يتفق من حقيقة واحدة ولذا يقع على نحو جهة المماثلة والوحدة النوعية في أصل الجوهر والذات بحيث لا تخرج الذات عن طبيعة الخلقة الأصلية فلا مانع منه وان قدر التلاعب بالجينات الحيوانية على شكل يجعل الفرس كالعصفور والعصفور كالجمل لأجل إخراجه عن خلقته الأصلية أو مثل الديك في جعله بلبلاً مغرداً.

٩. الاستنساخ في الحيوانات والنباتات فان استنساخ الحيوان إن كان بصورة متعارفة بنحو الاستنساخ الكلي الطبيعي للحيوان وليس بنحو قضية جزئية حُرم لاستلزامه السخرية والتبكيت[1] في خلق الله وإخراجه عن حالته الأولى التي سخرها الله لعباده وتكون حرمتها بالأدلة الثانوية دون الأدلة الأولية ، وأما إجراء الاستنساخ في النباتات فلا مانع منه سواء كان بحجم متعارف أو غير متعارف وذلك إذا قدر فيه للاستخدام المناسب للعرف العام فلو قدر استنساخ بطيخة بقدر الجبل وكان فيها وجه استخدام مناسب من غير إسراف أو تبذير لم يكن خروجاً عن المتعارف لحصول الدافع المحلل لدى العرف العام وبناء العقلاء ، وأما إذا أوجب في وجود استنساخ النبات عدم الاستخدام المناسب للعرف العام فإن ذلك يوجب تلفاً وإسرافاً فيحرم بالعنوان الثانوي.

١٠. ورد الاستنساخ في القرآن الكريم في:

- قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ ﴿الأنعام:٣٨﴾.

---

١) بكت : التبكيت : ضرب بالعصا والسيف ونحوهما ، كتاب العين للفراهيدي.

- و قوله تعالى: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ ﴿الإنسان:٢٨﴾.

- وقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ﴿البقرة:٦٥﴾.

- وقوله تعالى: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ ﴿المائدة:٦٠﴾.

- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ﴿الأعراف:١٦٦﴾.

- وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ❖ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿الواقعة:٥٨-٥٩﴾.

- و قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ ﴿الصافات:١١﴾.

- و قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿الإسراء:٤٩﴾.

- و قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا❖أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ ﴿الإسراء:٥٠-٥١﴾.

ولا يخفى أن النظر إلى مجموع هذه الآيات وغيرها يمكن أن نتصوره حسب نظرية الاستنساخ في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ ﴿الإنسان:٢٨﴾.

يدل على وجود إمكانية الاستبدال تارة بأمر مسانخ لوجود المخلوق من تلك الفصيلة ، وأخرى بإمكانية الاستبدال مأخوذ من تلك الخلية الجينية إلا أنه توجد من الصفات الكمالية الوراثية للخلية الجينية وقوله تعالى:

﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ﴿البقرة:٦٥﴾.

يستظهر من هذه الآية الاختلاف في حقيقة الممسوخ حقيقة أخرى وعليه يكون الفرق بين المسخ وبين النسخ. إن النسخ قصد به اتحاد الحقيقة بخلاف المسخ ، وهكذا الحال في موضوع قوله تعالى:

﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ ﴿المائدة:٦٠﴾.

يستكشف منها إمكانية الجعل التكويني من قبل الله في نسخ الوجود البشري على وجود حقيقة متباينة مثل القرد والخنزير بما أنهما كائنان حيان عبر عن ذلك بالمسخ ، وأما قوله تعالى:

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ﴿الإسراء:٥٠﴾ .

فالمراد به موضوع الرسخ وهو ما انتقل من كائن حي إلى وجود مادة جسمانية أو أن القرآن تطرق إلى استبعاد الإنسان له في قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾﴿الإسراء:٤٩﴾.

وذلك عند تجزئة أصل المادة لم يبق من تلك الأبدان غير العظام ثم أصبحت العظام رفاتاً فأمر الله بالأمر التسخيري أن يكونوا حجارة أو حديداً وان ما يكون بيد الله من استنساخ المادة الأصلية تارة بنظرية عود نفسها وأخرى بنظرية مماثلة فهو أبعد وأصعب في أيهم من تبديل العظام والرفات وثبت من خلال ذلك أن القدرة الإلهية بها الإرادة المطلقة على تحديد تلك الخلقة بنفسها وهي نظرية الإرجاع العيني أو الإرجاع المماثلي كما في قوله تعالى:

﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾.

وعليه يمكن تصنيف الآيات إلى ثلاثة أقسام:

أ. **آية النسخ:** قوله تعالى: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ ﴿الإنسان:٢٨﴾.

ب. **آية المسخ:** قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ﴿البقرة:٦٥﴾ وقوله ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ ﴿المائدة:٦٠﴾.

جـ. **آية الرسخ**[1]: قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ﴿الإسراء:٥٠﴾.

إذ لوحظ في الآية توجه الخطاب الأمري على نحو الإيجاد التكويني دون النظر إلى رفع ما يتوهم من وقوع الشبهة في إنكار المعاد ، وذلك يمكن أن تنصب الآية إلى جهة تعدد الحيثية.

١١. الاستنساخ في نظر الفلاسفة ، ونتحدث عن وجود الاستنساخ في نظر الفلاسفة التقليديين حيث يذهبون إلى إمكانية الاستنساخ كما عليه افلاطون وسقراط ونحوهما ولكن غرضهم في الاستنساخ عبارة عن وجود التناسخ في الأرواح في عالم الآخرة. كما أن الاستنساخ عندما يصطلحون عليه يقصدون به تحسين الأعمال وأنه كما يحدثه الإنسان من أعمال شريرة تتجسد له أعمال شريرة مسانخة لعمله في عالم الآخرة كالعقارب والحيتان والأفاعي ونحوها ، ويقع هذا البحث تحت نظريات:

◆ **أولاً :** إمكانية الاستنساخ المادي ويمكن إثباته بأدلة علمية وعقلية ونقلية من الآيات والروايات إذ الأدلة العلمية يتناولها العلم الحديث كما هو الشاهد إعلامياً وأما الأدلة العقلية فهي قابلة للمناقشة كما نورده فيما يأتي:

---

١) رسخ – رسوخاً : ثبت في موضعه متمكناً. والمطر أنسرب ماؤه في الأرض.
العلم في قلبه: تمكّن فيه لم تعرض له فيه شبهة.
ويقال: هو من الراسخين في العلم وله فيه قدم راسخة ، أرسخه: أثبته. (المعجم الوسيط) .

- **وأما** الآيات فيمكن دعوى القول بالاستنساخ المادي دون الاستنساخ الروحي ولكن هل يراد به المماثلة الحقيقية أو المشابهة ، وهذا الاستنساخ عدم تصوره فلسفياً.

- **وأما** الروايات قوله(ﷺ): ((كما تعيشون تموتون وكما تنامون تبعثون)).

وروي عنه(ﷺ): ((يحشر بعض الناس على صورة يحسن عندها القردة والخنازير)) ، ورد في الحديث ما مضمونه: من خالف الإمام في أفعال الصلاة يحشر ورأسه رأس حمار.

◆ **ثانياً :** نظرية الفلاسفة التقليديين المجوزين للاستنساخ الروحي ، إن في عالم الآخرة سوف تكون الروح المستنسخة حالة في الهون بعد زوالها عنهما كما ذهب ملا صدرا الشيرازي المتوفي عام ١٠٥٠هـ في أسفاره عبارة عن استرجاع النفس[1].

◆ **ثالثاً :** نظرية إبطال التناسخ كما عليه ملا صدرا القائل بإبطال التناسخ إذ يقول في وجه البطلان أن النفس كما علمت مراراً لها تعلق ذاتي بالبدن والتركيب بينهما تركيب طبيعي اتحادي وان لكل منهما مع الآخر حركة ذاتية جوهرية والنفس في أول حدوثها أمر بالقوة في كل ما لها من الأهوال وكذا البدن ولها في كل وقت شأن آخر من الشؤون الذاتية بإزاء من الصبا والطفولة والشباب والشيخوخة والهرم وغيرها وهما معاً يخرجان من القوة إلى العقل ودرجات القوة في نفس معينة بإزاء القوة والفعل في بدنه الخاص به ما دام تعلقها البدني وما نفس إلا تخرج من القوة إلى الفعل في مدة حياتها الجسمانية ولها بحسب الأعمال حسنة كانت أم سيئة ضرب من فعل الفعلية والتحصيل في الوجوب ((الوجود)) سواء كانت في السعادة أم الشقاء فإذا صارت بالفعل من نوع من الأنواع استحالت صيرورتها تارة أخرى من حد القوة المحضة كما استحالت صيرورة الحيوان بعد بلوغه إلى تمام الخلقة مضغة وعلقة لأن هذه الحركة جوهرية ذاتية لا يمكن خلافها بقسر أو طبع أو إرادة أو اتفاق فلو

---

١) الأسفار الأربعة ، ج٩ ، ملا صدرا الشيرازي.

تعلقت نفس منسلخة ببدن آخر عنك كونه جنيناً أو غير ذلك يلزم كون أحدهما بالقوة والآخر بالفعل وكون الشيء بما هو بالفعل بالقوة وذلك ممتنع لأن التركيب بينهما طبيعي اتحادي والتركيب الطبيعي يستحيل بين أمرين أحدهما بالفعل والآخر بالقوة.

ويكون ملخص حديث الفيلسوف الشيرازي بعد صحة التناسخ في الأرواح حيث يلزم منه لازماً فاسداً وذلك بعد أن أصبحت النفس متحدة مع البدن إلى دور الفعلية وخروجه من عالم القوة فلأنه يكون ما بالفعل إلى ما بالقوة وهو أمر ممتنع عقلاً كما أنه ممتنع علمياً أيضاً هذا مع أنه يلزم إشكال آخر وهو أن ما ترجع إليه النفس وهو البدن إن كان الأول يلزم الإشكال الأول وان كان بدن آخر يلزم عود إلى وجود بدن آخر غير ما حل بالأول فيكون ما اتحد بالنفس ووصوله إلى مرتبة الفعلية والكمال يلزم منه العودة إلى وجود آخر غير ما اتحد معه أولاً.

١٢. الاستنساخ بين العلم والفلسفة.

في نظرية الفلاسفة :

الاستنساخ ينقسم إلى قسمين :

١. استنساخ مادي. ٢. استنساخ روحي.

وما ذهب إليه جماعة من الفلاسفة على إبطال التناسخ في الأرواح يمكن القول بالتوفيق بين ما يرى من الفلاسفة أن الاستنساخ بحسب المادة كما يستدل على رأيهم في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ ﴿النساء:٥٦﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿الكهف:٤٩﴾.

وقوله تعالى:﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿النور:٢٤﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ ﴿القيامة:٤﴾.

كل هذه الآيات تمثل إمكانية الاستنساخ المادي سواء في عالم الدنيا كما في الآية الأخيرة أم في عالم الآخرة إلا أن الاستنساخ الأخروي في الجانب المادي يخص تجسيد الأعمال وهذا اتجاه آخر يسلكه بعض الفلاسفة وان كان هناك اتجاه آخر لا يؤمن بهذا الاتجاه ويرى وجود الثواب والعقاب ليس من سنخ الأعمال التجسيديّة.

وعليه فالقدرة الإلهية إنما تكشف عن وقوع الشيء الممكن دون الشيء الممتنع كاجتماع النقيضين والضدين والمثلين أو الدور أو التسلسل ، وإنما خلق الله للإنسان الطرق العلمية لكشف الحقائق لكي يستعين بها على المعرفة والوصول إلى الإيمان بالله وان ما تقوم به الظاهرة العلمية في مجال الاستنساخ سواء كان مع الحيوان كما مرّ في مثل النعجة والنبات والبشر ، كل ذلك يمثل قدرة الله في خلقه ، ومثل هذا النحو وأمثاله لا يتنافى مع الدين إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿الجاثية:١٣﴾ وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿الذاريات:٢١﴾ ، كما أنه لابد من التمييز بين من أوجد الخلية الجينية من اللاشيئية ومن كتم العدم إلى الوجود وبين وجود الخلية وكائن إلا أنه أجرى عليها التجارب في حالة النقلة والدور الحركي لوجودها من حيث انشطارها أو من حيث إيقاع صقع كهربائي عليها أوجب لها التحرك كما في أخذ خلية مع خلية وجعلها في مادة مسببة عن شحنة كهربائية أوجبت عن الخلية ثم بعد ذلك تم زرعها في رحم الأم.

ولابد من الانتباه إلى أن الإنسان يحمل مواصفات وملكات غير الذي عمله الحيوان من عناصر الوراثة من العناصر الوراثية تتأتى عن طريق العامل البيئي الذي ربما يوجب تغييراً أخلاقياً وراثياً ، ولكن لا توجب تغييراً غريزياً فالعناصر الوراثية

التي مصدرها الجانب العرضي توجب التغيير ،وأما الصفات الغريزية فالبيئة قاصرة عن التغيير السلوكي الكلي فإن من كانت غريزته الجوع أو العطش أو الجنس لا يمكن تغييرها بالعامل البيئي بحيث يحقق زوالها كلية ولكن من كان في نفسه الخوف أو الشجاعة إذا جلس في بيئة يتسم مجتمعها بالشجاعة يكون شجاعاً بالاكتساب وان كان منطوياً في قرارة نفسه الخوف أو من جلس في بيئة يتسم أهلها بالجبن وان كان شجاعاً تقل عنده تلك الغريزة ولكن لا تنعدم تماماً. والكلام قد يصرفنا عن موضوع البحث فلا نطيل.

النسخ التشريعي :

يبحث فيه:

- ❖ تارة من حيث إمكانية تشريعية.
- ❖ وأخرى من حيث امتناعه.
- ❖ وثالثه ينظر إليه على نحو النسخ العام للشرائع.
- ❖ ورابعة ينظر إليه من ناحية اعتبار النسخ في القرآن والسنة.
- ❖ وخامسة بين أقسامه من حيث الحكم ومن حيث التلاوة.
- ❖ وسادسة حصول الخلط بين الناسخ والمنسوخ وبين العام والخاص والإطلاق والتقييد وعدم التمييز بين هذه المقامات حتى أوجب العرض الكثير من الناسخ والمنسوخ وهي في واقعها الموضوعي من نوع العام والخاص أو المطلق والمقيد إلى غير ذلك.

إمكانية التشريع :

الأحكام التشريعية ترتبط بالملاكات والمصالح والمفاسد ، فعندما يرد أي حكم سواء من نوع الأحكام التكليفية أم الوضعية لابد أن يتعلق بالمصالح و المفاسد وهذا ما يناط باستمرارية الحكم بلحاظ تبعيته للمصلحة إذ ربما ينقضي الحكم ولا يكون له استمرار بلحاظ أن أمر المصلحة قد انتهى دورها وبذلك يرتفع الحكم ولا يكون له صلاحية البقاء وهذا ما جرى عليه العرف العام والشارع من أبناء العقلاء فلا يمكن أن يختار شيئاً بما هو مخالف بطباعهم إلا أن الكلام في أن المصلحة التي يناط الحكم بها وجوداً وعدماً إنما يناسب القول بالقوانين الوضعية دون الأحكام التشريعية الإلهية وعليه يمكن الإشكال في الكلية العامة وهي إناطة الحكم بالمصلحة وإنما يختلف الحكم بلحاظ سننه وضوابطه ولا يمكن إناطته على نحو الضابطة الكليّة.

إلا أنه يمكن تصوير المصلحة على الإنحاء الآتية :

١. المصلحة في مقام الإنشاء وتسمى بالمصلحة الإنشائية التي اقتضت أن يقع التشريع في إطار الإنشاء بدون النظر إلى ناحية المصلحة الواقعية.

٢. المصلحة المناطة بالواقع وإنما الإنشاء يكشف عن حالة ظاهرية لوجودها من غير لحاظ الانطباق بين مقام فعلية الواقع وفعلية الإنشاء إذ يصبح انفراد أحدهما من الآخر بأن ينقطع أمد الإنشاء لمصلحة في انقضائه.

٣. إيجاد مصلحة بدلية تقع عوضاً عن المصلحة الواقعية ولنعبّر عن مثل هذه المصلحة البدلية المصلحة الواقعية الثانوية دون المصلحة الأولية أو تكون المصلحة البدلية مساوية للمصلحة الواقعية في عرض تلك المصلحة وهذا يعبر عنه بالتخصيص الزماني.

٤. تأخر مصلحة المنسوخ وتقدم مصلحة الناسخ لما يقتضيه المصلحة في التقديم بحسب نظر المشرع الإلهي لعلمه بالمصلحة التي لا يدركها الإنسان كما هو الحال في مثل الأمور الامتحانية[1] ويتضح من هذا العرض أن النسخ من الأمور الممكنة دون الأمور الممتنعة حيث أجمع المسلمون على وقوعه شرعاً كما يدل عليه وجوده عقلاً.

امتناع وقوع النسخ :

وهذا الذي ذهب إليه اليهود والنصارى على امتناع النسخ وتمسكوا بأدلة كثيرة أهمها:

١. أنه يلزم الجهل على الله وعدم حكمته في عواقب الأمور وملخص الشبهة كما ذكرها الإمام الخوئي(قدس). إن النسخ يستلزم عدم حكمته أو جهله بوجه الحكمة وكلا هذين اللازمين مستحيل في حقه تعالى وذلك لأن تشريع الحكم من الحكيم المطلق لابد وأن يكون على طبق مصلحة تقتضيه لأن الحكم الجزافي ينافي حكمة جاعله وعلى ذلك فرفع هذا الحكم الثابت لموضوعه أما أن يكون مع بقاء الحال على ما هو عليه من وجه المصلحة وعلم ناسخه بها ، وهذا ينافي حكمة الجاعل مع أنه حكيم مطلق وأما أن يكون من جهة البداء وكشف الخلاف على ما هو الغالب في الأحكام والقوانين العرفية وهو يستلزم الجهل منه تعالى ، وعلى ذلك فيكون وقوع النسخ في الشريعة محالاً لأنه يستلزم المحال.

ولكنها قابلة للرد حيث أن الأمر يختلف بلحاظ الدواعي والأغراض فقد يؤتى به لداعي:

- تارة مرجعه في أصل عنوان الإنشاء والجعل.
- وأخرى في المجعول والمنشأ.

---

١) مواهب الرحمن ، ج١ .

❖ وثالثة ينظر إليه على نحو التقييد في الزمان.

❖ ورابعة يؤخذ فيه على نحو التقييد في المكان فبالنسبة إلى أصل الجعل والإنشاء كما في الأوامر الامتحانية أنه ينظر لأصل الإنشاء خصوصية في عنوان الجعل فمثل ترتب الحكم عليه بهذا الغرض فإنه يمكن رفعه في أي وقت كما له إبقاؤه وإثباته ولا يلزم معه البداء ، وأما بالنسبة إلى المجعول فإذا كان ناظراً إلى الحكم الحقيقي الذي روعي فيه الزمان الخاص الذي لم يعلم به المكلف فهذا ليس فيه قصوراً في أصل الحكم وإنما لعدم علم المكلف بطول الزمان وقصره فالتكليف وان أخذ على نحو اللا بشرطيه وأما تحديده بزمان معين فذلك لأسرار غيبيّة.

وأما بالنسبة إلى تقييد التكليف بزمان معين في ابتداء الجعل ولكن لجهل الإنسان باستمرارية التكليف فإذا جاء النسخ كشف عن انتهاء أمر الحكم وعدم استمراره وهذا كما يحصل في تحديد الأحكام بزمان معين حيث أخذ في التكليف الوجود التدريجي لسير مراحل استعداد البشرية في القبول والاستجابة وهذا يعكس حالة التكيف الخاص في ناحية غرائزهم.

وأما بالنسبة إلى التقييد بمكان معين فيناط التكليف به وجوداً وعدماً فاستمراريته ليس في الكينونة وإنما في المكانة فمثل زوال الحكم عن الصلاة إلى اتجاه بيت المقدس إنما هو في المكان دون عنوان المكنونية الذي نصطلح عليه بالعنوان الانتزاعي فالمكان بحسب مفهومه العام دون الكينونة بلحاظ منشأ انتزاعها وإنما المراد بالكينونة العبادة فهي تصلح لأن تطبق على عدة أمكنة ولا تقيد بمكان خاص وان تتقيد بمنشأ انتزاعها حتى تكون ملحوظة على نحو القضية الشخصية.

وهذا ضمن الرد على اليهود الذين أنكروا النسخ وإنا لنجد في كتاب العهدين ما يثبت وجود النسخ:

☒ جاء في الإصحاح الرابع من سفر العدد (عدد ٢-٣).

خذ عدد بني قهات من بين بني لاوي حسب عشائرهم وبيوت آبائهم من ابن ثلاثين سنة فصاعداً إلى ابن خمسين سنة كل داخل في الجند ليعمل عملاً في خيمة الاجتماع.

وقد نسخ هذا الحكم وجعل مبدأ زمان قبول الخدمة بلوغ خمس وعشرين سنة مما في الإصحاح الثامن من هذا السفر (٢٣-٢٤) وكلم الرب موسى قائلاً هذا ما للاويين من ابن خمس وعشرين سنة فصاعداً يأتون ليتجندوا أجناداً في خدمة خيمة الاجتماع.

ثم نسخ ثانياً فجعل مبدأ زمان قبول الخدمة بلوغ عشرين سنة بما جاء في الأصحاح الثالث والعشرين من أخبار الأيام الأول (عدد ٢٤-٣٢) هؤلاء بنو لاوي حسب بيوت آبائهم رؤوس الآباء حسب إحصائهم في عدد الأسماء حسب رؤوسهم عامل العمل لخدمة بيت الرب من ابن عشرين سنة فما فوق وليحرسوا حراسة خيمة الاجتماع وحراسة القداس.

☒ جاء في الأصحاح الثامن والعشرين من سفر العدد (عدد ٣-٧):

وقل لهم هذا هو الوقود الذي تقربون للرب خروفان حوليان صحيحان لكل يوم محرقة دائمة الخروف الواحد تعمله صباحاً والخروف الثاني تعمله بين العشائين وعشر الأيفة من دقيق ملتوت بربع الهين من زيت الرض تَـقْدِمَةً وسكبها ربع الهين للخروف الواحد.

وقد نسخ هذا الحكم وجعلت محرقة كل يوم حمل واحد حولي في كل صباح وجعلت تقدمه سدس الأيفة من الدقيق وثلث الهين من الزيت بما جاء في الأصحاح السادس والأربعين من كتاب حزقيال (عدد ١٣- ١٥) وتعمل كل يوم محرقة للرب حملاً حولياً صحيحاً صباحاً تعمله ، وتعمل عليه تقدمه صباحاً سدس الأيفة وزيتاً

ثلث الهين لرش الدقيق تقدمه فريضة أبدية دائمة ويعملون الحمل والتَقْدِمَةَ والزيت صباحاً محرقة دائمة.

النسخ العام في الشرائع :

من الواضح مما تقدم أن النسخ وقع في الشرائع السابقة ولا يكون له وجه تحديد في الشريعة الإسلامية ، فهو من السنن التي تتماشى معه الأعراف التشريعية الإلهية وأيضاً القوانين الوضعية ، فهو ثابت على نحو كونه ظاهرة منطقية عامة وكما ذكرنا عدداً من مواطن النسخ في كتاب العهدين القديم والجديد كذلك نورد ما ورد في الأصحاح الرابع والعشرين من التثنية (عدد ١- ٣).

وإذا جاء رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة في عينيه لأن وجد فيها عيب شيء وكتاب دفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر فإن أبغضها الرجل الآخر وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته أو إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها له زوجة لا يقدر زوجها الأول الذي طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة.

وقد نسخ الأنجيل ذلك وحرّم الطلاق بما جاء في الصحاح الخامس من متي (عدد ٣١- ٣٢) وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق وأما أنا فأقول لكم من طلق امرأته إلا حلها الزنا يجعلها تزني ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني وقد جاء مثل ذلك في الإصحاح العاشر من مرقس (عدد ١١- ١٢) والأصحاح السادس عشر من لوقا (عدد ١٨).

فبالإضافة إلى ما تقدم في وجود النسخ في التوراة فإنه ثابت في الشريعتين وهكذا الحال بالنسبة إلى الشريعة الإسلامية كما قال سبحانه وتعالى:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

﴿آل عمران:٨٥﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ ﴿آل عمران:١٩﴾.

فإن هذه الآية تبين الجهة المشتركة بين الأديان جميعاً ، وأما بالنسبة إلى الأصول الكلية فهناك جهة اشتراك مثل أصول الدين والأحكام العقلية فإن جميع الأديان تشترك في خط واحد وما يدل عليه قوله تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ ﴿الشورى:١٣﴾.

وهذا لا يمنع أن يقع النسخ في الأحكام التفريعية كما إن النسخ يقع على العنوان الديني مثل الإعتاق باليهود فهو منسوخ أو الإعتاق بالنصرانية فإنه منسوخ أيضاً. وأما الأصول العقائدية من التوحيد والنبوة بغض النظر عن انطباقها على مصاديق النبوة والمعاد فإنها أمور عقائدية غير قابلة للنسخ.

النسخ في القرآن :

كان الحديث كثير في مطاوي البحث عن النسخ في القرآن كما ورد في قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ ﴿البقرة:١٠٦﴾ وبهذا استدلوا على وجود النسخ في القرآن وهناك موارد لادعاء النسخ في القرآن من جملتها:

- قوله تعالى :

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿البقرة:١٠٩﴾.

فما ورد عن ابن عباس وقتادة والسدي أنها منسوخة بآية السيف وهي قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ﴿التوبة:٢٩﴾.

إن من طبيعة النسخ أن لا يرد في مجال الصراحة بالتوقيت فإذا تم الاستدلال على مثل هذه الآية في حال الصراحة بتوقيت الحكم فينا في أصل مشروعية النسخ لما بني على أن النسخ شرطه أن لا يصرح فيه التوقيت كما لا يصرح في حكمه الاستمرارية وإنما أخذ في الحكم على نحو اللا بشرطية منهما معاً هذا مع أن الآية تحدد قتال المشركين ولا تشمل قتال الكتابيين وشمول قتالهم لو تم لاستلزام خلاف واقع ما ثبت لهم الرجوع إلى إعطاء الجزية وفي حال مخالفتهم كقيامهم بقتال المسلمين مثلاً فإن ذلك دليل خاص وليس بمفاد الآية والحق كما ذهب إليه السيد الخوئي (قدس) في البيان.

وهناك آيات كثير يكون مدارها نفس المدار أعرضنا عنها.

النسخ في السنة :

وهذا لا يثبت إلا من خلال التواتر دون الآحاد وأنه يقع بعد حضور وقت العمل ولذا يفرق بينه وبين التخصيص فإن التخصيص يقع قبل حضور العمل بخلاف النسخ فإنه يقع بعد حضور وقت العمل. وقد تكون المعارضة بين النسخ

والتخصيص فيما إذا ورد العام أن ينظر فيه كونه وارداً لبيان الحكم الواقعي فإذا ورد التخصيص على العام يكون مخصصاً له وأما إذا كان العام وارداً بعد حضور وقت العمل بالخاص فيدور الخاص بين كونه مخصصاً أو ناسخاً حيث يحصل التعارض بين ظهور العام من ناحية عموميته وبين الخاص من ناحية استمراريته فيقال بتقديم الخاص لأرجحيته بلحاظ كثرته وأغلبيته فيقدم على النسخ ولكن إنما يثبت تقديم الخاص عند ورود العام قبل وقت العمل بالخاص على النسخ وصاحب الكفاية (قدس) يرى تقديم الخاص على النسخ وذلك لأقوائية التخصيص على النسخ من ناحية الظهور مع ندرة النسخ ومجال المناقشة الأصولية واسع.

أقسام النسخ :

أن نتصور أقسام النسخ بلحاظ الناسخ من طرف الدليل ادعاءاً أو مجازاً وان كان الناسخ حقيقة هو الله إلا أن إطلاق الناسخ على الدليل ليس على نحو الحقيقة ومحتملات النسخ على أنحاء :

١. القرآن ناسخ أي نسخ القرآن بالقرآن والمراد به هو نسخ حكم القرآن الثابت بالقرآن بما أنه نص قرآني.

٢. نسخ القرآن بالسنة المعتبرة أو للإجماع القطعي وهذا لا خلاف فيه عقلاً ونقلاً وان هناك من قال لا يصح نسخ القرآن إلا بالقرآن لقوله ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ ﴿البقرة:١٠٦﴾ على اعتبار أن المثلية لا تحدث إلا من القرآن دون غيره لكن من اعتبر أن السنة لا تكون إلا عن وحي لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ❖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ ﴿النجم:٣-٤﴾.

٣. نسخ القرآن بخبر الواحد ، مشهور الأصوليين على عدم نسخه بالخبر الواحد. وممن خالفهم يقول بالجواز.

ثم لا يخفى عليك أنه تم بيان تقسيمات النسخ الثلاثة فلا داعي لتكرارها.

وعن الإمام الباقر(عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ ﴿البقرة:١٠٦﴾ فقال(عليه السلام): الناسخ ما حوّل وما ينسيها مثل الغيب الذي لم يكن بعد قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ﴿الرعد:٣٩﴾ قال(عليه السلام): يفعل الله ما يشاء ويحوّل ما يشاء مثل قوم يونس إذ بدا له فرحمهم ومثل قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ ﴿الذاريات:٥٤﴾ قال(عليه السلام): أدركهم برحمته[1].

فإذا كان النسخ بمعنى التحويل لغة فلا كلام فيه كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

---

١) تفسير العياشي. من أشعة الإيمان ، ج١٦.

نسخ :

❖ تارة يفهم منه الإزالة. ❖ وتارة يفهم منه الإثبات. ❖ وتارة يفهم منه الأمران. ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ ﴿البقرة:١٠٦﴾ قيل معناه ما نزيل العمل بها أو نحذفها من قلوب العباد.

النسيان :

ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف ذاكرته ، وإما عن غفلة ، وإما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره.

كل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به ، فهو ما كان أصله عن تعَمُد وما عذر فيه نحو ما رُوي عن النبي(ﷺ): ((رفع عن أمتي الخطأ والنسيان))[1].

فإن النسخ ليس تعديلاً على الشريعة بعد أن ظهر الخلل فيها ، وإنما هو انتهاء أمد حكم ما. قد كان لا بديل عنه ، بملاحظة ظروفه في ذلك الحين ، ثم لما تبدلت الظروف والأحوال صار لابد من حكم آخر ينسجم مع المستجدات على صعيد الواقع.

وهذا أمر مقبول في حد ذاته ، ولا غضاضة فيه وبملاحظته ورد النسخ في الأحكام وتلقاه العلماء بالقبول.

وكيفما كان نلاحظ أن فعل ((نسخ)) يدل على التحول من حال إلى حال أفضل وأحسن وقيل كل فعل أوله نون وثانيه سين يدل على التبدل من حسن إلى أحسن ، وهذا ما تطرق إليه علماء فقه اللغة واستدلوا به على نشوء اللغة وتطورها ومما قالوه في ذلك أن كل فعل مبدوء بحرف النون يدل على النشوء والظهور مثل:

---

١) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن. سميح عاطف الزين.

نبغ ، نبع ، نجم ، نفذ ، نبش ، نبت.

وعندما يتحدثون عن الصوت اللغوي ودلالته خصوصاً في القرآن الكريم يقولون:

- ((النون: يدل على البطون في الشيء أو على تمكن المعنى تمكناً تظهر أعرافه.
- السين: يدل على السعة والبسطة من غير تخصيص.
- الخاء: يدل على المطاوعة والانتشار وعلى التلاشي مطلقاً))[١].

ومن المناسب أن نذكر شروط المعجزة وتتلخص بنقاط ثلاث:

- أن يكون من فعل الله تعالى.
- أن يكون ناقضاً للعادة التي تختصُ من ظهرت فيهم.
- أن يخص الله تعالى به المدّعي النبوة على وجه التصديق لدعواه[٢].

فالمطلوب أن نبحث اللفظة القرآنية بما أنها لفظة لا على أساس العرف اللغوي المتعارف بل علينا بحثها عما تعنيه اللفظة القرآنية بما هي كلام الله سبحانه وتعالى ، و هذا مما لا يستطيع العقل البشري من أن يلم بكل جوانبه وحيثياته ، لأن العقل محدود لا يسعه استيعاب مرادات الله سبحانه ، فمن الضروري أن نبتعد عن المتابعة وخصوصاً في اللفظة القرآنية لكن مع هذا ترانا نتابع الماضين في ذلك ، لأن العقل عجز عن إيجاد معنى مناسب للفظ القرآني مع أنه خاض في مجالات واسعة من العلوم التي استودعها الله في مكنون علمه وما ذاك إلا من أجل العناد ومن أجل استعراض عضلات وهذا كله ينهار مع قدرة الله سبحانه لأنه قادر على أن يأتي على ما وصلوا إليه في علومهم كونها علوم أودعها الله سبحانه في كتابه الكريم لكننا نفرح بأن وصلنا إلى بعضها لتكون وبالاً من دون أن نشعر.

---

١) الصوت اللغوي ، محمد فريد عبد الله . تهذيب المقدمة اللغوية ، عبد الله العلايلي.

٢) إعجاز القرآن ، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي ، ت ٤٣٦هـ.

وما دمنا تحت هذا العنوان لابد أن نذكر ما هي مواطن الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم كما ما جاء في كتبهم حول هذا الموضوع حين حدوده في الموارد الآتية:

١. نسخ الحبس والأذى في الزنا بالجلد: كما في سورة النساء الآية (١٥ - ١٦).

٢. نسخ عدة المرأة في الوفاة من السنة إلى الأربعة أشهر وعشراً. كما في الآيتين من البقرة (٢٣٤ و ٢٤٠).

٣. نسخ ترك الأذى بالقتال. كما في سورة الحج (٣٩) وسورة التوبة (٥).

٤. نسخ المصابرة على القتال بالعشرة والصبر على الاثنين. كما في سورة الأنفال (٦٥-٦٦).

٥. نسخ الإرث بالأخوة في الدين بالإرث بالأرحام. كما في سورة الأنفال (٧٢-٧٣) وكما في سورة الأحزاب (٦).

٦. نسخ التوجه إلى بيت المقدس في الصلاة بالتوجه إلى الكعبة: كما في سورة البقرة (١٤٣ - ١٤٤).

٧. نسخ التسوية في قصاص الذكر والأنثى والحر بالعبد بالتفضيل: كما في سورة المائدة (٤٥) والبقرة (١٨٧).

٨. نسخ التكاليف الغليظة ، كما في سورة البقرة (٢٨٦) ، وفي سورة الأعراف (١٥٧).

٩. نسخ حرمة النكاح في ليالي شهر رمضان بالحل: كما في سورة البقرة (١٨٧).

١٠. نسخ خلق الخلق للعبادة بخلقهم للرحمة: كما في سورة الذاريات (٥٦) وكما في سورة هود (١١٨ - ١١٩) وهذا بعيد.

١١. نسخ ارتزاق ذي القربى من التركة بالإرث: كما في سورة النساء (٨ و ١١).

١٢. نسخ وجوب حق التقوى بما يستطاع منها: كما في سورة آل عمران (١٠٢) وسورة التغابن (١٦).

١٣. نسخ اتخاذ الخمر بتحريمها : كما في سورة النحل (٦٧) وسورة الأعراف (٣٣).

١٤. نسخ عموم ورود جهنم بإبعاد الخواص منها : كما في سورة مريم (٧١) وسورة الأنبياء (١٠١-١٠٣).

١٥. نسخ مهادنة اليهود بقتالهم: كما في سورة البقرة (٨٣) وسورة التوبة (٢٩).

كما هو واضح لم يذكروا آية النجوى وهي من إحدى مصاديق الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم وهذا سببه هو الاختلاف في الناسخ والمنسوخ وكما قلنا منهم المكثر ومنهم المقل ومنهم من لا يرتضي وذلك ولكل دليله على تثبيت رأيه فيما قال وهذا ليس هو المشكلة لأن النسخ من المسلم به ولا يختلف فيه المسلمون لكن الموضوع يأخذ منحى التحريف في القرآن من خلال إلحاق ما ليس بقرآن قرآن وكذلك حذف بعض السور أو بعض آية أو إلحاق سورة بسورة إلى جانب موضوع العدد سواء كان في السور أو الآيات أو الكلمات وهذا يستدعي إما زيادة وإما نقصان بحيث ينافي ما قاله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿الحجر:٩﴾ وهو أيضاً خلاف ما تواتر عن أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين بأن هذا القرآن ما بين الدفتين لا زيادة ولا نقصان فيه ، لكن هذا أُخذ من باب تراشق التهم بين الفرق الإسلامية إلى أن وصل إلى حد التكفير فيما بينهم وما هذا إلا تأكيد لقوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ﴿هود:١١٨﴾ إذن الاختلاف أمر تكويني خارج عن قدرة البشر إلى قدرته سبحانه وتعالى يريد الله منا أن نذعن إليه بأننا عاجزين على أن نجد قاسم مشترك يجمعنا متوحدين حول معجزته الخالدة إلى قيام يوم الدين ألا وهو القرآن الكريم وأنّا لنا ذلك وهو أخبر بآية الانقلاب على الأعقاب وهذا وحده يجعلنا نتخذ الذرائع لإثبات أننا مختلفين غير متوحدين وإلاّ لما تركنا سنة خير الخلق محمد(ﷺ) وهذا الترك لم يكن عن مخاض عسير حتى يثبت أمام النقد بل جاء عن دعاية إعلامية أرادت تثبيت البدع التي تؤدي إلى الضلال المقيت الذي نهى الله عنه.

فالمطلوب أن نحدد مواطن الخلل من أين بدأت حيث لا يكون بناء إلا وله أساس يُبنى ومع هذا فهو بناء على جرفٍ هارٍ سرعان ما ينهار مع تقادم الزمن لذا جاء من متواتر الحديث أن الزمن يفسر لنا بعض الآيات حينما يحين وقتها وما تقدم العلوم إلا من خلال هذا على اعتبار أن القرآن شامل لكل الأزمان والأعصار وينطبق على كل المجتمعات مهما بلغت من حالة الرقي الزائف لأنه يخالف الأخلاق التي سنها الله لعباده ومن هنا لابد من وضع اليد على الخلل ليتسنى العلاج الناجع في حل ما آلت إليه الأمة من انحراف عن طريق الحق.

وقد يقال: هنا نتحدث عن الناسخ والمنسوخ فما علاقة هذا بالموضوع ، قلت له علاقة وثيقة بالموضوع لأننا تركنا أهم أمرين أَمَرَ الرسول الأعظم(ﷺ) التمسك بهما ألا وهما كتاب الله وعترته بأنهما لم يفترقا حتى يردا عليه الحوض ولا شك بأننا تركنا الجانب في وصيته(ﷺ) أي تركنا العترة الطاهرة كونهم عِدل القرآن وهم الذين يَبِينون ما أُبهم من آياته وهم المفسرون له سواء عن طريق أخبار الرسول لهم أو عن طريق الإلهام كونهم حُجج الله على خلقه في أرضه ((لو خلت الأرض من حجة لساخت بأهلها)) هذا من جانب والجانب الآخر هو إننا تركنا القرآن وإن لم نتركه ظاهراً حيث نضعه على الرفوف للتبرك لا كونه كتاب هداية وهذا جر الأمة إلى الانحراف وفي كل الجوانب سواء كانت الدينية منها أو الاجتماعية أو الاقتصادية

وحتى الانحراف التأريخي لأننا نجد المؤرخ لم يكن منصفاً أبداً عندما يكتب وهو تابع لنظام أو سلطة ما يضع في حسابه مصلحة ذلك النظام وإن ضر بمبدأ الأمانة على المستوى الإنساني.

ويتناسى الكثير من الأحداث التي أراد الرسول(صلى الله عليه وآله) أن لا تنسى ، لكنهم نسوا حين قال(صلى الله عليه وآله) لعلي(عليه السلام): ((أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب(عليه السلام))) وقال علي(عليه السلام): ((إن القرآن مع أهل بيتي وهم التراجمة عنه والمفسرون له))[1] لا أريد أن أطيل لكن إليك العناوين التالية:

الحديث القدسي والقرآن

موضوع له ارتباط وثيق بالبحث فما معنى الحديث القدسي ؟ وما الفرق بينه وبين القرآن؟ وما الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي الشريف؟.

- **الحديث القدسي :**

كلام يُسنده النبي(صلى الله عليه وآله) إلى الله تعالى فهو من ألفاظ رسول الله(صلى الله عليه وآله) وصياغته إلا أنّ معناه متلقًى عن الله عز وجل بواسطة الوحي الأعم من الإلهام والقدح في القلب أو عن طريق المَلَك أو عن طريق الرؤية في المنام ، إذ أن رؤى الأنبياء وحي.

وعبر عنه بالقدسي لإرادة التعظيم والتكريم للحديث لانتساب معناه لله جلّ وعلا ، ولأن القدس هو بمعنى الطهر والتنزُّه عن كل عيب وكل نقص ، ولأنه صادر عمّن هو منزّهٌ عن كل نقص وهو الله سبحانه وتعالى ومن هنا كانت إضافة القدس إلى لحديث الذي أسنده رسول الله(صلى الله عليه وآله) إلى ربه فهو القدُّوس الواجد لكل صفات الكمال والجلال والمنزّه عن شوائب النقص.

---

١) شرح نهج البلاغة ، ج١ .

وهناك تفسير آخر للحديث القدسي مفاده أن الحديث القدسي هو الكلام الذي يحكيه النبي(ﷺ) عن ربّه لفظاً ومعنىً ، بمعنى أن صياغة الحديث ومعناه كلٌ منهما صادر عن الله تعالى فهو كالقرآن إلا أنّه لم يصدر عنه تعالى على وجه الإعجاز والتحدّي[1].

- **القرآن الكريم :**

هو كلام تعالى لفظاً ومعنىً بلا ريب وقد صدر عنه تعالى على وجه التحدي والإعجاز وهو مصون من كل تحريف ومنقول بالتواتر فهو قطعي الصدور عن الله سبحانه وتعالى:

جهات الفرق بين القرآن والحديث القدسي

☒ الأولى:

أن القرآن معجزة في لفظه ومعناه ، وقد تحدى الله تعالى به خلقه من الجن والإنس وأفاد بأنهم لن يتمكنوا من أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

والحديث القدسي ليس كذلك فهو وإن كان معناه صادراً عن الله تعالى إلا أن ألفاظه كانت بصياغة الرسول(ﷺ) على القول الأول أو إن ألفاظه من عند الله تعالى أيضاً إلا إنها لم تصدر عنه تعالى على وجه التحدي والإعجاز.

☒ الثانية:

أن القرآن بتمام آياته وسوره قطعي الصدور عن الله عز وجل ووصل إلينا بأعلى درجات التواتر ، وهو مصون من التحريف ، وقد تكفل الله تعالى بصيانته وحفظه من التحريف.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ ﴿فصلت:٤٢﴾.

---

١) مشرق الشمسين ، البهائي العاملي. قوانين الأصول ، القمي . شؤون قرآنية ، ج١.

والحديث القدسي فغالبه من أخبار الآحاد فهو ظنّي الصدور ، فثبوته دائماً يخضع لضوابط علم الرجال ، فإن كان رجال سنده من الثقات كان معتبراً وإلا فهو ساقط عن الاعتبار والحجية.

فشأنه شأن الحديث النبوي لا تثبت له الحجيّة ما لم يكن سنده صحيحاً أو موثّقاً أو حسناً أو يكون محتّفاً بقرائن علميّة تقتضي الاطمئنان أو الوثوق بصدوره.

☒ الثالثة:

للقرآن خصائص ليس للحديث القدسي.

فمن خصائص القرآن الكريم أنه متكوّن من سور وان كل سورة مشتملة على مجموعة من الآيات ، وأما الحديث القدسي فليس كذلك.

ومن خصائصه أنه لا يجوز مسُّه إلا على طهارة من الحدث الأصغر والأكبر.

ومن خصائصه أن الله تعالى تعبّدنا بتلاوته واوجب علينا قراءة بعض آياته في الصلاة ، والحديث القدسي ليس كذلك ولا يصحُّ من المكلف أن يقرأه بدلاً عن القرآن في الصلاة.

- **الحديث النبوي:**

كلام صادر عن الرسول الأعظم(ﷺ) ولم يشتمل على إسنادٍ لله عز وجل ، وكلام النبي(ﷺ) وان كان وحياً يوحى إليه من الله تعالى ، إلا أن الفرق بينه وبين الحديث القدسي ، أن الحديث النبوي ليس مسنداً لله تعالى ، والحديث القدسي مسند لله تعالى ، مثلاً حينما يقول الرسول(ﷺ) قال الله تعالى: ((الصوم لي وأنا أجزي به))[1] فهذا حديث قدسي لأن النبي(ﷺ) قد أسنده لله تعالى مباشرة.

---

١) الوسائل . من لا يحضره الفقيه.

وحينما يقول(ﷺ) إنّ ربي قال لي: ((لم يسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن))[١] فذلك حديث قدسي لأنه(ﷺ) أضاف الكلام لله تعالى.

وحينما يحكي الرسول عن الله جل جلاله فيقول مثلاً: إن الجليل جلّ وعلا قال لي ((لأُدخلنّ الجنة من أطاعني ولو كان عبداً حبشياً ولأُدخلنّ النار من عصاني ولو كان سيداً قرشياً))[٢].

ثم إن أغلب الأحاديث القدسية تكون من سنخ الوعظ والإرشاد ، وتشمل على بيان بعض المسائل الاعتقادية ، ومن الندرة ما تتصدى لبيان الأحكام الشرعية.

والحديث النبوي فهو واسع حيث يشمل بيان معاني القرآن وقصص الأنبياء والوعظ والإرشاد وبيان الأحكام الشرعية التفصيلية بالإضافة إلى مسائل الاعتقاد والدعاء والمناجاة والأخبار وبعض المغيبات والأخبار عن مقامات بعض الرجال والنساء مضافاً على بيان الآداب والسنن وغير ذلك.

هذا ما حاولت تثبيته لأننا نحتاج لهذا البيان فيما سيأتي إن شاء الله .

---

١) بحار الأنوار ، ج٥٥.

٢) بحار النوار ، ج٧.

ترك الوصية

من الضروري أن نقف على مسائل وأمور حدثت بعد إغماضة عين رسول الله(صلى الله عليه وآله) وقد أخبر بها القرآن المجيد حيث قال سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ ﴿آل عمران:١٤٤﴾ هذه الآية إخبار من الله سبحانه بأن هناك انقلاب يحصل لهذه الأمة وهذا الانقلاب يوجب تغييراً يخالف الواقع الذي رسمه الرسول(صلى الله عليه وآله) حيث أجهد نفسه في تثبيت مبادي الحكم الإسلامي بعد أن سن الله سبحانه وتعالى دستوراً يلجأ إليه العباد في حل نزاعاتهم وإنهاء مشاكلهم من خلال قوله(صلى الله عليه وآله) ((هذا القرآن فيه خبر من كان قبلكم ونبأ من يأتي بعدكم وحكم فيما بينكم)) ومع كل أحاديثه(عليه السلام) لم يتمسك بها الكثير ممن العناد طريقهم وكيف وان الله سبحانه يعلم بخبث السرائر لكن ليقيم الحجة على هذه الأمة التي جحدت بسنن الله وسنة نبيه محمد(صلى الله عليه وآله) كل ذلك من أجل إماتة هذه السنن لكن الله يأبى ذلك ويريد أن يتم نوره ولو كره المشركون ، وكراهيتهم هي للحق عندما بلج ليدحض الباطل ، ولكن لا غرابة في ذلك عندما يصرف التوفيق عن بعض هذه الأمة لتصدق أن هناك أضداد لابد لها من التصارع هذا على حقه وذلك على باطله.

وكيفما كان فإن أئمة الهدى ورثة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) ، قد بينوا ذلك في كثير من مواقفهم التي يريدون بها تنبيه هذه الأمة كما ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) في خطبه التي بها يمقت الابتعاد عن الحق ، وكذا تبعه أبنائه حيث صرح الإمام الحسن(عليه السلام) عندما وقف خطيباً في وقوفه بوجه معاوية بن أبي سفيان(لعنه الله) رافع راية الباطل حيث قال الإمام(عليه السلام):

((أما بعد فإني والله لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومَنّه وأنا أنصح خلق الله لخلقه وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة

ألا وان ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون من الفرقة ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردوا عليّ رأيي غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا))[1].

إذن هناك أناس يريدون أن يقودوا هذه الأمة نحو التفرقة لا إلى المحبة والرضا والاجتماع الذي أمر الله به ورسوله ومن هنا شَخَصَ القرآن هذا حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ﴿هود:١١٨﴾ فالاختلاف لا يمكن التخلص منه ولكن علينا أن ننصف هذه الأمة بأنها خير أمة أُخرجت للناس لتكون هادية يقتدي بهديها المعاندين ، وهذا لا يتم إلا بعد هدم الصنم الكبير الذي لا زال ابن آدم يبني به من لدن آدم وللآن ، فما أكبر هذا الصنم ، لا غرابة أن هكذا صنم وبهذه الضخامة لا يستطيع هدمه إلا بقية الله في أرضه الإمام الحجة(عج) ، وهذا الصنم هو الأنا أعاذنا الله وإياكم منها حيث لازال ابن آدم يلهج بها حتى يومنا مع أنه يعلم أنها حقيقة تجعل التفرعن والتجبر طريقاً إلى تمكين الطغاة من إماتة ما بناه محمد(ﷺ) ومن جملة ما بناه هو الولاية الإلهية والتي كانت بوحي من الله سبحانه وإخباراً منه (ﷺ) في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿المائدة:٦٧﴾.

بأن وصيه ووارثه وولي المسلمين من بعده ذاك سيد الموحدين علي بن أبي طالب(عليه السلام) وعدم رضاهم جعلهم يرمون الرسول(ﷺ) بالهجر لا لشيء ولكن لتثبيت بدع لم تكن في حياته الشريفة مما أحدث استغراب من قبل الكثير من الصحابة وهذا الإنكار واجهوه بالقسوة والخشونة فالمعارض يُنفى ويُغرّب ويُحرم حقه في مال الله في أرضه هذا كله من أجل تثبيت مبدأ الخلافة وبعد نجاح الباطل توالت الكوارث على هذه الأمة بأن تولى شرارهم وهذا بدوره أشاع القتل والتهجير

---

١) بحار الأنوار ،ج٤٤ . صلح الإمام الحسن (عليه السلام).

عن الوطن والأهل من أجل إظهار قوة طغاة هذه الأُمة بالسيف والنار ، حيث أشاعوا الفجور وتركوا الفروض التي أمر الله بها كل ذلك من أجل أن يصلوا إلى إماتة سنة النبي المختار(ﷺ) وأنى لهم هذا حيث شاء الله أن يختم برسالته النبوة لتكون حالَة محل رسالات النبيين والمرسلين قبله ، ومع هذا كله نجح الظلم وأعوانه بأن خالفوا النبي(ﷺ) بوصيته وتركوا ولاية أمير المؤمنين(عليه السلام) مع ما ولد على فراش العاهرة اللخناء الانحراف الأكبر هو حكومة الخلافة أعني بذلك على فراش السقيفة التي بدأت بشخصين نتيجة دعاية إعلامية لا غير.

وبعد أن ولدت اللقيطة توالى التغيير حيث صارت الخلافة وراثة ثم أصبحت شورى بغيضة تؤدي بكل الأحوال إلى إبعاد وصية الله ورسوله عن ساحة الصراع وبالفعل تم ذلك إلى أن كانت البيعة المطلقة من قبل المسلمين عامة لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) ، فكان تحقق ما قاله(ﷺ) يا علي إنك تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل فشنت عليه الحرب من قبل الناكثين والقاسطين والمارقين ولم يمكنوا الحق من أن يأخذ طريقه في إحياء سنة الله وسنة نبيه في أرضه إلى أن ذهب شهيداً وملائكة السماء تنادي تهدمت والله أركان الهدى فكان أحد أركان الهدى كتاب وسنة نبيه(ﷺ) الذي أراد أن ينشر العدل الإلهي لكن الأُمة أبت ذلك لما ترسخ في نفوس الكثير الضلالة التي صاغتها البدع المقيتة.

التثويب وتاريخه في أذان صلاة الفجر

نبدأ في معنى الأذان عند أهل اللغة ومعناه عند الشارع المقدس:

في اللغة: الأذان الإعلام ، قال سبحانه: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ ﴿التوبة:٣﴾ أي إعلام الناس.

وفي الشرع: الأذان: الإعلام بدخول وقت الصلاة المفروضة وبألفاظ معروفة مأثورة وعلى صفة مخصوصة ، وهو من خير الأعمال التي يتقرّب بها إلى الله تعالى ، وفيه أجر عظيم وفضل كثير.

حيث قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): ((مَنْ أذَّنَ في مصر من أمصار المسلمين سنة وجبت له الجنة))[1].

وعن أبي جعفر(عليه السلام): ((من أذَّنَ سبع سنين احتساباً جاء يوم القيامة ولا ذنب له)) [2].

تطرقنا إلى هذا البحث عندما أدخلت عليه بدع لم تكن من خلال:

١. أن الأذان تشريع من لدن الواحد الأحد لا دخل للإنسان فيه أي أنه من تعليم الله سبحانه لنبيه الخاتم(صلى الله عليه وآله).

٢. أن التثويب الذي ليس جزء من الأذان لكن دخل فيه تصويب البعض بأنهم استحسنوا بدعهم.

---

١) التهذيب ، للشيخ الطوسي (قدس) ، ج٢.

٢) التهذيب ، للشيخ الطوسي (قدس) ، ج٢.

فالذي شرّعه جعله من صميم الدين أي الأذان والإقامة حيث أنزله سبحانه على قلب سيد المرسلين ، والذي فرض الصلاة ، هو الذي فرض الأذان ، وهذا هو الذي يبعد أن يشارك في تشريعه الإنسان سواء كان في منام أو في اليقظة ، وهذا هو شأن كل العبادات التي بها يعبد الإنسان خالقه ، لذا تجده ذا مسحة إلهية سواء من تكبيره أو تهليله وله عذوبة السمو وفخامة المعنى وهذا هو الذي يثير في الإنسان شعور بأنه سبحانه وتعالى أرقى وأنبل مما يدور في عقول الناس بما أن مصدره الوحي ، وهو وحي إلهي فليس لأي إنسان أن ينقص منه فصلاً أو يضيف إليه جزءاً.

أما متى شرع الأذان ؟.

تواترت الأخبار عن أهل البيت(عليهم السلام) على أن الأذان من الأمور العبادية له شأن ما لغيره من العبادات وان المشرع هو الله سبحانه وتعالى ، حيث هبط جبرئيل بأمر من الله وعلّمه رسوله الكريم ، وهو بدوره علمه بلال وهناك روايات كثيرة تشير إلى ذلك وهذه بعض تلك الروايات:

❖ عن زرارة عن أبي جعفر الباقر(عليه السلام) قال: ((لما أُسري برسول الله(صلى الله عليه وآله) إلى السماء فبلغ البيت المعمور ، وحضرت الصلاة ، فأذّن جبرئيل(عليه السلام) وأقام فتقدم رسول الله(صلى الله عليه وآله) وصفّ الملائكة والنبيّون خلف محمد(صلى الله عليه وآله)))[1].

❖ وعن عمر بن أذينة عن الصادق(عليه السلام) قال:

((ما تروي هذه الجماعة؟ فقلت جعلت فداك في ماذا ؟ فقال في أذانهم فقلت: إنهم يقولون إنّ أُبي بن كعب رآه في النوم. فقال: كذبوا فإنّ دين الله أعز من أن يُرى في النوم. قال: فقال له سدير الصيرفي: جعلت فداك فأحدث لنا من ذلك ذكراً. فقال

---

١) الكافي ، ج٣ . وسائل الشيعة ، ج٤.

أبو عبد الله الصادق(عليه السلام): إن الله عز وجل لما عرج بنبيه(صلى الله عليه وآله) إلى سماواته السبع...إلى آخر الحديث المار[١].

وهناك أحاديث كثيرة أعرضنا عن ذكرها واكتفينا بما مرّ والذي يريد الزيادة يراجعه هناك.

وقال الحلبي: وردت أحاديث تدل على أن الأذان شُرّع بمكة قبل الهجرة ونقل روايات أيضاً بهذا الخصوص[٢].

وهناك روايات عن أهل السنة حول تشريع الأذان وفيها أمور لا تصح نسبتها إلى الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) أعرضنا عنها لأن الكتاب ليس موضوع بحثه هذا وإنما إشارة لإدخال البدع في سنة سيد المرسلين.

عودة إلى بداية المطلب وهو التثويب وتاريخه في أذان الفجر:

❖ التثويب من ثاب يثوب: إذا رجع فهو بمعنى الرجوع إلى الأمر بالمبادرة إلى الصلاة ، فإن المؤذّن إذا قال: ((حيّ على الصلاة)) فقد دعاهم إليها ، فإذا قال ((الصلاة خير من النوم)) فقد رجع إلى كلام معناه : المبادرة إليها[٣].

وفي القاموس فسره بمعان منها: الدعاء إلى الصلاة ، وتثنية الدعاء ، وأن يقول في أذان الفجر: ((الصلاة خير من النوم – مرتين))[٤].

والتثويب: القديم ، هو قول المؤذن في أذان الصبح ((الصلاة خير من النوم- مرتين)) والمحدَث ((الصلاة الصلاة)) أو ((قامت قامت))[١].

---

١) الكافي ، ج٣ . وسائل الشيعة ، ج٤.

٢) السيرة الحلبية ، ج٢.

٣) الحدائق ، ج٧. النهاية في غريب الحديث ، ج١. لسان العرب ، القاموس.

٤) الحدائق ، ج٧. النهاية في غريب الحديث ، ج١. لسان العرب ، القاموس.

وقال السندي في حاشيته على سنن النسائي: التثويب هو العود إلى الإعلام بعد الإعلام ، وقول المؤذن ((الصلاة خير من النوم)) لا يخلو من ذلك. فسمى تثويباً[٢].

والذي نقصده هو حكم قول المؤذن أثناء الأذان لصلاة الفجر: ((الصلاة خير من النوم)) فهل هو مشروع ، أو بدعة حدثت بعد النبي(ﷺ) لما استحسنه بعض الناس من إقراره في الأذان ، سواء أكان هو التثويب فقط أو أعمّ مطلق الدعوة إلى الصلاة ولو بعد تمام الأذان بهذا اللفظ أو بغيره؟.

فالتثويب بهذا المعنى ورد من خلال أحاديث رؤية الأذان ، وأخرى في غيرها ، وحديث الرؤية رواه ابن ماجة ورواه الإمام أحمد ورواه ابن سعد في طبقاته.

وأما التثويب في غير رؤية الأذان أيضاً نقله أصحاب السنن:

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي ، عن أبي إسرائيل ، عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن بلال ، قال:

((أمرني رسول الله أن أثوب في الفجر ونهاني أن أثوب في العشاء))[٣].

ودلالة هذه الرواية على أن التثويب يستعمل في مطلق الدعوة إلى الصلاة ، وان لم يكن بلفظ ((الصلاة خير من النوم)) بشهادة النهي عن التثويب في العشاء ، لأن التثويب فيه لا يتحقق إلا بلفظ آخر ، مثل ((الصلاة جامعة)) أو ((قد قامت الصلاة)) وغيرهما.

حدثنا عمر بن رافع ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن بلال: أنه أتى النبيّ يؤذِنه بصلاة الفجر فقيل: هو نائم ، فقال:

---

١) الحدائق ، ج٧. النهاية في غريب الحديث ، ج١. لسان العرب ، القاموس.
٢) السنن ، ج٢ .
٣) سنن ابن ماجة ، ج١.

الصلاة خير من النوم الصلاة خير من النوم ، فأُقرت في تأذين الفجر فثبت الأمر على ذلك[١] والسندان منقطعان:

فإبن أبي ليلى ولد عام ١٧ هـ ومات بلال عام ٢٠ أو ٢١ هـ بالشام وكان مرابطاً بها قبل ذلك من أوائل فتوحها ، فهو شامي وابن أبي ليلى كوفي ، فكيف يسمع منه مع حداثة السن وتباعد الديار[٢].

وكذا الحديث الثاني أيضاً رده ابن ماجة لأن فيه انقطاع لأن سعيد بن المسيب لم يسمع من بلال وابن المسيب ولد عام ١٣هـ وتوفي عام ٩٤هـ.

فكما ترى أن هناك تعارض واضح وهذا مما لا يمكن الركون إليه وبما أن أمرها دائر بين السنة والبدعة ، فتركها متعيّن لعدم العقاب على تركها ، وذلك خلاف ما لو كانت بدعة فإنها تؤدي إلى الضلال لا محالة.

وإن كثيراً من الصحابة والتابعين من يرى أن هذا بدعة وان النبي(ﷺ) لم يأمر به وإنما حدثت بعده(ﷺ).

وإن أول ما قاله عمر في خلافته وقال: بدعة ، ثم تركه. علماً أن بلال لم يؤذن لعمر[٣] وهكذا بدعة تلو بدعة والتاريخ حافل بالبدع في الأذان والإقامة وقد لعبت فيه يد المبدعين لغايات استحسانية لا يركن إليها التشريع وإليك بعض ما أحدث فيه بعد النبي(ﷺ).

* في عهد النبي(ﷺ) جرت سيرته وكذلك الشيخين على إقامة الأذان عندما يصعد الإمام المنبر لإلقاء الخطبة يوم الجمعة ، و لما كثر الناس في عهد الخليفة الثالث أمر بأذان ثان وهو الأذان عند دخول الوقت على المأذنة ، وهذا هو المعروف بالأذان الثاني للخليفة.

---

١) سنن ابن ماجة ، ج١.

٢) نيل الأوطار ، ج٢.

٣) كنز العمال ، ج٨.

فإذا كان الأذان من الأُمور التوقيفية فلا يحق ليد التشريع البشري التصرف فيه بزيادة أو نقيصة وكان يمكن للخليفة أن يعالج الموقف بوجه آخر ، وهو أن يتم إعلام الناس بوسائل بعيدة عن التشريع الإسلامي وأن لا يأمر المؤذن بأذان آخر لم يكن من قبل.

ثم توالى استحداث تثويباً آخر عن علماء الكوفة من الحنفية وهو زيادة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح مرتين بين الأذان والإقامة في الفجر ثم استحسنه المتأخرون في كل الصلوات إلا في المغرب لضيق الوقت وهذا كله لظهور ظاهرة التواني في الأمور الدينية.

عزيزي القارئ خوفي من انتقادك وإلا الموضوع يجب أن يأخذ مساحة أوسع لكن الغرض من كل هذا هو كيف بدأت البدع والتي لها مساس في بحثنا عن الناسخ والمنسوخ.

وكيف كان فإن التثويب لم يكن فريداً من نوعه بل له نظير آخر وهو ، حذف ((حي على خير العمل)) من فصول الأذان والإقامة ، وغاية ذلك أن لا يكون الإعلان به في الأذان سبباً لتثبيط العامة عن الجهاد ، على اعتبار أن الناس إذا عرفوا أن الصلاة خير من العمل ، اقتصروا عليها وأعرضوا عن الجهاد.

وهذا إطاحة بالتشريع وتصرف فيه بتفلسف تافه ، لأن المشرع كان واقفاً على هذا المحذور ، ومع ذلك أدخله في الأذان.

وقال بعض متكلمي الأشاعرة نقلاً عن الخليفة الثاني أنه قال على المنبر:

ثلاث كنّ على عهد رسول الله(ﷺ) وأنا أنهى عنهنّ وأُحرمهنّ وأُعاقب عليهنّ: وهي متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحي على خير العمل[1].

وأصرت الشيعة على كونه جزءاً من الأذان منذ العهد النبوي إلى يومنا هذا وهذا صار شعاراً لهم وانه ممن يحيعلون أي يقولون ((حي على خير العمل)).

ونقل في مقاتل الطالبيين ، في مقتل الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين (عليه السلام):

أنه استولى على المدينة وصعد عبد الله بن الحسن الأفطس المنارة التي عند رأس النبي (ﷺ) عند موضع الجنائز فقال للمؤذن: أذن بـ ((حي على خير العمل))[2].

وهناك بدع أخرى تركناها ومنها: ❖ القبض ❖ والبسملة في جزئيتها والجهر بها ❖ السجود على الأرض ❖ الجمع بين الصلاتين ❖ صلاة التراويح ❖ والصوم في السفر. وهذا تجده في بطون المطولات.

والآن عودة إلى صلب الموضوع في هذا الباب وهو باب الرد ، ومن جملة الآيات التي ادعي أنها منسوخة:

آية الوضوء : قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا

---

١) شرح التجريد ، علاء الدين القوشجي المتوفي ٨٧٩هـ. الأنصاف في مسائل الخلاف للسبحاني.

٢) مقاتل الطالبيين ، لأبي الفرج الأصفهاني ، ت٣٥٦هـ.

مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿المائدة:٦﴾.

المسلمون متفقون على ما جاء في القرآن المجيد أن الصلاة لا تصح إلا بطهور ، والطهور ثلاثي: وضوء وغسل وتيمم ، وان سر التكليف بيّنه الله سبحانه بتحصيل الطهارة قبل الصلاة حيث قال: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من هنا اهتم التشريع الإسلامي بالوضوء أهمية بالغة تبعاً لما نطق به الكتاب والسنة فقال (ﷺ): ((لا صلاة إلا بطهور)) وفي حديث آخر ((الوضوء شطر الإيمان))[1] ولما كانت هذه مكانة الوضوء فالواجب على المسلم أن يتعرف على أجزائه وشرائطه ونواقضه ومبطلاته ، وهذا كله تكفلت به كتب الفقه خصوصاً الرسائل العملية للعلماء الأعلام رحم الله الماضين منهم وحفظ الله وسدد الباقين منهم حيث أشبعوا رسائلهم في بيان هذه الأمور المهمة.

وهنا ونحن في مقام الرد نبين الأمور التي اختلف فيها الفقهاء وهي:

◆ **حكم الأرجل من حيث المسح والغسل.** وقد بين سبحانه وجوب الوضوء وكيفيته بقوله في الآية المارة الذكر وهي إحدى آيات الأحكام التي تستنبط منها الأحكام الشرعية التي تنظم أفعال المكلفين لحياتهم الدينية والدنيوية.

وهذا النص القرآني المبارك له وضوح التعبير والدلالة ، من أجل أن لا يحتار المخاطب الذي يرغب في تطبيق سلوكه العملي ، وهي بذلك تفترق عن الآيات المتعلقة بالتوحيد والمعارف العقلية التي يتكفل بها أصحاب علم الكلام خصوصاً فيما يرتبط بمسائل المبدأ والمعاد.

---

١) وسائل الشيعة ، ج١.

وهذا الخطاب الذي يتحدث عن وظيفة المسلم الأولى ألا وهي الصلاة لابد أن تكون واضحة للمكلفين لذا لا يكتنفها الغموض والتعقيد ، ومن هنا نزل بها الروح الأمين على قلب سيد المرسلين فتلاها على المسلمين ليفهموا واجبهم بوضوح.

إلا أن الغموض دبّ فيها عند تضارب الآراء وظهور الاجتهادات.

وان الله سبحانه بيّن الوظيفة على المكلفين في أمرين:

١. ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ﴿المائدة:٦﴾.

٢. ﴿امْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ ﴿المائدة:٦﴾.

سبحانك ربي ما أبيّن مرادك وأسهل تكليفك فهي غسلتين ومسحتين لكن المتكلمين عَقّدوا ما أمرت به لذا نقول كما جاء في كتابك:

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿الأنعام:١١٤﴾.

لكن متى كان الاختلاف في موضوع الوضوء مع أنه بحث تأريخي لكن لابد أن نقف على البدايات التي منها كان الاختلاف ، والمسلمون في زمن الرسول الأعظم(ﷺ) وفي زمن الأول والثاني كانوا على أمر جامع في أمر الوضوء ولا يوجد خلاف في مسح الرجلين أو غسلهما.

إنما الخلاف كانت بدايته في عهد الخليفة الثالث كما جاء في صحيح مسلم ، وإليك روايتين كما أخرجها مسلم في صحيحه:

١. عن حُمران مولى عثمان قال: أتيت عثمان بن عفان بوضوء فتوضأ ، ثم قال: إن ناساً يتحدثون عن رسول الله(ﷺ) أحاديث لا أدري ما هي ؟ ألا إني رأيت

رسول الله(ﷺ) توضأ مثل وضوئي هذا ، ثم قال: من توضأ هكذا ، غفر له ما تقدم من ذنبه وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة[١].

٢. عن أبي أنس أن عثمان توضأ بالمقاسمة فقال: ألا أُريكم وضوء رسول الله(ﷺ) ثم توضأ ثلاثاً ثلاثاً. وزاد قتيبة في روايته ، قال سفيان: قال أبو النضر عن أبي أنس قال: وعنده رجال من أصحاب رسول الله(ﷺ) [٢].

وهنا لابد أن نجعل القرآن المرجع الوحيد في حال الاختلاف كونه المهيمن والدستور للمسلمين إلى قيام الساعة. والحق أن لا نكتفي بالكتاب بحذف السنة من الشريعة لأن ذلك يكون في عقائد الزنادقة ، كون السنة هي المبينة للمسلمين بعد كتاب الله. وصدق الصادق الأمين(ﷺ) أن القرآن ميزان الحق والباطل ، فما ورد فيها يؤخذ به ((أي السنة)) إذا لم يخالف الكتاب العزيز وإلا فيضرب عرض الجدار.

ولما كان الخطاب الفصل في القرآن وهو ناطق بالمسح أو الغسل فأي قيمة للخبر الآمر بخلافه. قال الفخر الرازي: قال النبي(ﷺ): ((إذا روي لكم حديث فأعرضوه على كتاب الله ، فإن وافقه فاقبلوه ، وإلا فردّوه))[٣].

ومع ما تقدم أن سورة المائدة آخر سورة نزلت على النبي(ﷺ) وعليه لا يمكن أن ترفع الأحكام فيها أو تكون منسوخة واتفق ممن كتب في الناسخ والمنسوخ على أنها آخر سورة نزلت وذكروا رواية عائشة التي ذُكرت في سنن البيهقي عن جبير بن نفير.

---

١) صحيح مسلم.

٢) صحيح مسلم.

٣) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، للفخر الرازي.

قال: حججت فدخلت على عائشة فقالت لي: يا جُبير تقرأ المائدة ، قلت نعم ، فقالت أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلّوه ، وما وجدتم فيها من حرام فحرّموه.

وأخرج عبيد ، عن ضمرة بن حبيب ، وعطية بن قيس قالا: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): ((المائدة من آخر القرآن تنزيلاً ، فأحلّوا حلالها وحرّموا حرامها)).

وأخرج أبو داود والنحاس كلاهما في الناسخ عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل قال: لم ينسخ من المائدة شيء. وأخرج عبد بن حميد قال: قلت للحسن: نسخ من المائدة ؟ قال: لا[1].

وهذا ما جاءت به الروايات عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) ، وقد روي عن علي(عليه السلام) ((كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً ، وإنما يؤخذ من أمر رسول الله(صلى الله عليه وآله) بآخره ، وكان آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء))[2].

وهذا الكلام الفصل ، فلماذا الاختلاف في أمر الوضوء بعد مضي قرابة عشرين سنة من وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله) فهناك أمور منها:

١. اختلاف القراءة:

وذلك من جهة الإعراب فمنهم قرأ بالجرّ على الرؤوس الذي يستلزم وجوب المسح على الأرجل ، ومنهم من قرأ بالفتح عطفاً على ((وجوهكم)) الذي يستلزم الغسل وأن هذا الوجه باطل لأن العربي لو قرأ الآية مجرداً من أي ميول لا يرضى بغير عطف الأرجل على الرؤوس سواء قرأ بالنصب أو الجر[3].

---

١) الدر المنثور ، ج٣ .

٢) نور الثقلين ، ج١.

٣) الأنصاف في مسائل لخلاف ، ج١ .

٢. التمسك بالروايات:

حيث ذكروا من الروايات أنّ غسل الرجلين سنّة أمر بها النبي(ﷺ) في فترة من عمره الشريف ، وعند نزول سورة المائدة وفيها آية الوضوء والأمر بمسح الأرجل مكان الغسل ، ثم بعد فترة من الزمن اشتبهت عليهم معرفة الناسخ والمنسوخ بالسنة المنسوخة ، ثم أثاروا الخلاف وغفلوا على أن الواجب الأخذ بالقرآن الناسخ للسنة.

أخرج ابن جرير عن أنس قال: نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل[١] وقال ابن عباس: أبى الناس إلا الغسل ، ولا أجد في كتاب الله إلا المسح[٢].

٣. إن السلطات الحاكمة فرضت الغسل:

وهم مصرين على غسل الأرجل مكان المسح ويلزمون الناس على ذلك بدل المسح لخبث باطن القدمين ، وبما أنهم كانوا حفاة ففضلوا تبديل المسح بالغسل ، وهناك كلام طويل لا يسع المقام ذكره.

أما الأمر الأول الذي بدأنا به وهو القراءة ، علينا أن نبحث عن العامل في تعيين أحد القولين من مسح أو غسل فإذا العاملان هما: فاغسلوا ، وامسحوا.

فإذا قلنا بالعامل الأول يجب الغسل ، وإن قلنا بأن العامل هو الثاني يجب المسح إذن الملاك في الإيجاب هو تعيين العامل في ((أرجلكم)).

والإمعان في الآية من دون أي رأي يثبت أن الثاني ، أي ((فامسحوا)) هو العامل دون البعيد ، ولو قلت أنه معطوف على القريب أي الرؤوس لا على البعيد أي الوجوه يكون توضيحه بالمثال التالي:

---

١) الدر المنثور ، ج٣.

٢) الدر المنثور ، ج٣.

لو قال قائل: ((أحب زيداً وعمراً ، ومررت بخالد وبكر)) من دون أن يُعرب ((بكر)) بالنصب أو الجر ، نحكم بأن ((بكر)) معطوف على ((خالد)) والعامل فيه هو العامل الثاني ((مررت)) وليس معطوفاً على ((عمرو)) حتى يكون العامل فيه هو الفعل الأول. ((أحب)) [١] لقد ذكر علماء العربية أن العطف حقه أن يكون على على الأقرب دون الأبعد هذا هو الأصل وفي حالة العدول عنه نحتاج إلى مؤنة زائدة في الكلام وهي القرينة وعدم وجود القرينة يوجب اشتباه المراد بغيره.

ولنفرض أن المولى قال لخادمه: أكرم زيداً وعمراً واضرب بكراً وخالداً ، فهو يميز بين الجملتين ويرى أن ((عمراً)) معطوف على ((زيد)) و ((خالداً)) معطوف على ((بكر)) ولا يكون خلاف ذلك.

قال الفخر الرازي: يجوز أن يكون عامل النصب في قوله ((أرجلكم)) هو قوله ((وامسحوا)) ويجوز أن يكون هو قوله ((فاغسلوا)) لكن العاملين إذا اجتمعا على معمول واحد كان إعمال الأقرب أولى ، فوجب أن يكون عامل النصب في قوله ((أرجلكم)) هو قوله ((وامسحوا)) فثبت أن قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بنصب اللام توجب المسح[٢].

لما كان هذا هو الحال بحيث لا يجوز الخروج عن القواعد بالأمثلة الغريبة فالأولى أن يكون كلام الله أولى بذلك.

وما دام أن الدلالة في الآية اتضحت على واحد من المسح والغسل فلا حاجة لنا لشيء آخر ، وما يؤكده هو الموافقة على مضمون الآية ، والمخالف يعالج بطرق ملتوية ويجد أن أفضلها أنها منسوخة بالكتاب وهو بعيد ، أكتفي بهذا القدر من البيان.

---

١) مثال جاء في كتاب الأنصاف في مسائل الخلاف ، للسبحاني.

٢) التفسير الكبير ، ج١١.

القرآن معجزة باقية

لا زال الكلام في البدع التي ابتدعوها وكما قدمنا وقد ذكرنا أن القرآن وصل إلينا من خلال التواتر القطعي ، وقد يسأل سائل عن سند الرجال للقرآن وكيف وصل إلى هذا الزمن ؟.

من المتسالم عليه أن القرآن لم يثبت بروايات الآحاد فعليه لا يسأل عن الإسناد وإنما ثبت بالتواتر القطعي بأوثق درجاته فالذي يثير مثل هكذا سؤال يستبطن إيقاع السذج في شبهة ثبوت القرآن بأخبار الآحاد.

والكل له معرفة ثبوت القرآن الذي بين أيدي المسلمين من ناحية صدوره هو كثبوت النبوة لأبي القاسم محمد(ﷺ) الذي بعث لهذه الأمة ونبوته لا تحتاج إلى إثبات ولا تحتاج إلى إسناد وكذا كل معاجزه(ﷺ) ، ومن معاجزه هذا القرآن الذي هو المعجزة الخالدة التي تحدى الله سبحانه وتعالى بأن يأتوا بسورة من مثله بعد ما عرف أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بآية لأن الذي يأتون به يكون ركيكاً لا ينسجم مع فصاحة وبلاغة القرآن مع أنه نزل بلغتهم وهذا هو الذي دعاهم إلى التسليم بأخبار الآحاد في صدوره وهذا لا يصمد مع ما ورد من الآثار وتواترت به الأخبار.

ومن جملة الشبهات التي لا تصمد أمام النقد موضوع من كتب بإملاء رسول الله(ﷺ)؟.

سؤال عريض استُغلت مساحته الواسعة في اختلاق الأكاذيب من قبل السلطة الأموية من أجل إكساء معاوية (لعن) فضيلة بعد ما كان معرًى من كل فضيلة بعد ما كان مقيم على الكفر منذ أن بعث خير الخلق محمد(ﷺ) إلى ما يقرب من

وفاته(صلى الله عليه وآله). فمعاوية لم يكن قد أسلم إلا بعد الفتح وذلك في السنة الثامنة من الهجرة المباركة[1].

وقد ذكر أصحاب السير أن معاوية حين فَتْح مكة كان في اليمن متمسكاً بكفره كونه كان هارباً حفاظاً على شركه بعدما أهدر دمه ، وهو الذي لام أبيه أبي سفيان عندما سمع أنه أسلم بعد الفتح حيث كان يحرضه على الشرك وأنه ارتكب عاراً بإظهار الإسلام وقد قال فيما قال ينهى أبيه عن أن يسلم:

يا صخر لا تُسلمنْ طوعاً فتفضحنا ... بعد الذين ببدر أصبحوا مِزقاً

خالي وعمي وعمُّ الأم ثالثهم ... وحنظلُ الخير قد أهدى لنا الأرقا

لا تركننّ إلى أمر يُكلّفنا ... والراقصات به في مكة الخرقا

فالموت أهون من قول العداة لقد ... حاد ابن حرب عن العُزّى إذاً فَرِقا[2]

لقد بقي معاوية (لعن) مقيماً على شركه إلى أن شفع له العباس بن عبد المطلب عند رسول الله(صلى الله عليه وآله) قبل وفاته بخمسة أشهر فعفى عنه الرسول(صلى الله عليه وآله) فكان من الطلقاء.

وإذا كان هذا ثابتاً في معاوية فكيف يكون ممن كتب الوحي ، حيث تم نزول القرآن قبل إسلام معاوية (لعن). لكن مع هذا يريد علماء السنة إثبات هذا لمعاوية بأنه كاتب الوحي وهناك من ينكر هذا ولا يقول به وهذا تجده في المطولات التي تناولت موضوع معاوية.

---

١) الكافي ، الكليني ، ج١ . الاعتقادات ، للصدوق وكذا في خصاله. الاحتجاج ، للطبرسي ، ج١.

٢) شرح نهج البلاغة ، ج٦ ، ص٣٧٠ في احتجاج الإمام الحسن (عليه السلام) ، المجلد الثالث ، الأعلمي.

ولو سلمنا أن معاوية كان كاتباً للوحي فهذا لا يعبّر عن أن الرجل عادلاً وذا استقامة حيث أنه لا يخشى على القرآن من عبث العابثين بعد أن كان محفوظاً من قبل الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿الحجر:٩﴾ حيث كان رسول الله(ﷺ) يملي القرآن على كثير من الصحابة ، وكان يردّده في المجالس والمحافل ، وكان يقرأه في الصلاة وكان يأمر بتلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار جرياً على ما أوصى الله سبحانه وتعالى.

فلو الكتابة للقرآن هي معيار للاستئمان لكانت تثبت للقول بأمانة عبد الله بن سعيد بن أبي السرح حيث كان يكتب للرسول(ﷺ) الوحي في مكة ثم ارتد بعد ذلك وخرج من الإسلام ورسول الله(ﷺ) أهدر دمه بعد الفتح وخبأه أخوه من جهة الأم عثمان بن عفان ، وهذا ما ذكر في كتب السنة[1] وانه ثبت في أسباب النزول النزول عندما نزلت الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ ﴿الأنعام:٩٣﴾.

هذه الآية نزلت في عبد الله بن سعيد بن أبي السرح بعدما ارتد وفي خيانته في كتابة الوحي.

فكيفما كان من الادعاءات الباطلة التي يدحضها الله سبحانه وتعالى من خلال الآيات القرآنية التي تحث على التمسك بالقرآن مثل: قوله تعالى :

- ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿فصلت:٣﴾.
- ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ﴿هود:١﴾.
- ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿فصلت:٤٢﴾.

---

١) سير أعلام النبلاء ، للذهبي. الإصابة ، لابن حجر ، وغيرها من الكتب.

❖ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿محمد:٢٤﴾.

❖ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ ﴿الإسراء:٩﴾.

❖ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الإسراء:٨٢﴾.

❖ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ ﴿الإسراء:٨٩﴾.

❖ ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿الحشر:٢١﴾.

وجاء عن رسول الله(ﷺ) أنه قال:

((أشراف أمتي حملة القرآن)).

وقال: ((القرآن غني لا غنى دونه ولا فقر بعده)).

وقال: ((إن هذا القرآن مأدبةُ الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم)).

وقال: ((حملة القرآن المخصوصون برحمة الله ، المعلمون كلام الله ، المقربون إلى الله ، من والهم فقد والى الله ، ومن عاداهم فقد عادى الله ، ويدفع الله عن مستمع القرآن بلاء الدنيا ، ويدفع عن قارئ القرآن بلاء الآخرة)).

يا حملة القرآن تحبَّبُوا إلى الله بتوقير كتاب الله يزدكم حباً ويحبِّبْكم إلى عباده[1].

وعن أمير المؤمنين(عليه السلام) قال في حديث: سمعت رسول الله(ﷺ) يقول: ((إنها ستكون فتن)) قلت : فما المخرج يا رسول الله ؟.

---

١) بحار الأنوار ، ج٩٢.

قال: ((كتابُ الله فيه خبر ما قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يَخْلَقُ عن كثرةِ رَدٍّ ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي من تركهُ من جبار قصمَهُ الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي من عمل به أُجِرَ ، ومن حكم به عَدَل ، ومن دعا إليه دعا إلى صراط مستقيم)).

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام):

((القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به ، وهو أمر زاجر ، وصامت ناطق ، وحجّة الله على خلقه ، أنزله الله نوراً لا تُطفأ مصابيحه ، وسراجاً لا يخبو توقّدُه ، وبحراً لا يدرك قعره ، جعله الله ريّاً للعلماء ، وربيعاً لقلوب الفقهاء ، ومحاجّ لطُرُق الصُّلحاء ، ودواء ليس بعده داء[1].

وهو كتاب الله بين أظهركم ، ناطق لا يعْيا لسانه ، وبيت لا تهدم أركانه ، وعز لا تهزم أعوانه)).

فهذا ما ذكره الله سبحانه وتعالى وما قاله الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) وما ذكره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام).

ليثبت للقرآن بأنه معجزة سواء من ناحية الألفاظ والعدد والحساب ولا يكون إعجازاً إلا إذا ضعفت القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة واستمر هذا الضعف على تراخي الزمان وتقدمه ، فكأن العالم كله في العَجْز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت.

---

١) بحار الأنوار ، ج٩٢.

فهناك إعجاز لفظي وعددي وحسابي في القرآن فمنذ القرن الأول للهجرة والمسلمون دائبون على دراسة ألفاظ القرآن ، فمنهم من تفرغ لمعاني ألفاظه ومنهم من تفرغ لعدد آياته وعدد كلماته وحروفه ، وامتدت على امتداد العصور حيث امتد هذا البحث وانتشر أمره وخاصة في هذا العصر عصر الأرقام والعد والإحصاء ، وقامت دراسات على الإعجاز العددي للقرآن الكريم في مختلف نواحيه بالإضافة إلى الدراسات التي اهتمت بالإعجاز اللفظي والعددي معاً.

ففي الإعجاز العددي مثلاً :

❖ يتساوى في القرآن الكريم عدد مرات ((الدنيا)) وعدد مرات ذكر لفظ ((الآخرة)). إذ تكررت كل منهما (١١٥) مرة رغم اختلاف معظم الآيات التي وردت فيها لفظةَ الدنيا عن تلك التي وردت فيها لفظة الآخرة.

❖ يتساوى عدد ذكر ((الملائكة)) وعدد ذكر ((الشياطين)) إذ وردت كل من اللفظتين (٨٨) مرة.

❖ يتساوى عدد ذكر ((الحياة)) و ((الموت)) حيث وردت كل من اللفظتين (١٤٥) مرة.

❖ يتساوى عدد ذكر ((الناس)) مع ذكر ((الرسل)) حيث وردت كل من اللفظتين (٣٦٨) مرة.

❖ يتساوى لفظ ((قالوا)) وهو جمع ما قاله الخلق جميعاً من بشر وملائكة وجن في الدنيا والآخرة مع لفظ ((قل)) وهو الأمر من الله لكل خلقه (٣٣٢) مرة.

وكذلك في الحساب :

❖ حيث ورد لفظ الشهر (١٢) مرة أي عدد أشهر السنة.

❖ ورد ذكر لفظ اليوم (٣٦٥) مرة أي عدد أيام السنة.

وكذلك الحال من حيث الأفعال والمنافع والمساوي:

❖ ذكر الصالحات (١٨٠) مرة بعدد ما تكررت السيئات.

❖ وذكر النفع (٥٠) مرة بعدد ما تكرر لفظ الفساد.

❖ وذكر الصبر (١٠٢) مرة بعدد ما ذكرت الشدة.

❖ وذكر الهدى (٧٩) مرة بعدد ما ذكرت الرحمة.

❖ والجزاء تكرر (١١٧) مرة ولكن المغفرة وردت ضعف هذا العدد أي (٢٣٤) مرة.

❖ ولفظ العسر تكرر (١٢) مرة ولكن لفظ اليسر ثلاث أضعاف هذا العدد أي (٣٦) مرة.

❖ وكذلك الإيمان ومشتقاته تكرر (٨١١) مرة.

❖ ولفظ العلم ومشتقاته والمعرفة ومشتقاتها (٨١١) مرة.

❖ والكفر ومشتقاته والضلال ومشتقاته تكرر (٦٩٧) مرة ، أي أن الفارق بين الإيمان من جهة والكفر والضلال من جهة أخرى هو (١١٤) مرة بعدد سور القرآن ومقسوم على عدد (١٩) وهذا الرقم هو بحد ذاته معجزة.

إضافة إلى افتتاحيات السور (٢٩) التي ابتدأ بالأحرف المعجمة أو ما يطلق عليها الأحرف النورانية أنها جميعها مكررة ما عدا حرفين هما الكاف والنون.

والكاف والنون لو ضُمّتا إلى بعض ، لكوّنتا كلمة ((كن)) وكن هي أمر الله سبحانه وتعالى لكل شيء أو فعل يريد أن يوجده ، ولا يمكن أن يتكرر هذا الأمر من أجل وجود الشيء ، بل يصدر مرة واحدة فتكون النتيجة حتمية بوجوده ، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿يس:٨٢﴾ فالقرآن المعجزة الكبرى من خلال ما تلمسونه في الآية الكريمة التي ذكر فيها الرقم (١٩) ، ويمكن أن نوضح هذا الإعجاز حيث أن عدد السور القرآنية (١١٤) سورة وقد ورد الحرف ((ق)) في سورتي ((قاف)) و ((الشورى)) بعدد متساوي أي (٥٦) و (٥٦) وهو سبحانه الذي أنزل في بداية هاتين السورتين حرف ((ق)) ليصبح عدد أحرف ((ق)) في كل منهما (٥٧) وذلك كرمز أو علامة على أنه جلت عظمته يعلم توزيع الحروف الأبجدية في كتابه ، وإذا أضفت (٥٧) حرف في سورتي ((ق)) إلى (٥٧) حرف في سورة الشورى فإن المجموع بصبح (١١٤) أي عدد سور القرآن المجيد ، فإذا كان الحرف ((ق)) يرمز إلى القرآن ، كل القرآن ، ولا شيء غير القرآن تكون المعجزة الكبرى قد تمت بقوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ ﴿ق:١﴾.

فتكرر الأحرف في أوائل السور تبين لنا أن الأشياء التي خلقها الله تعالى متعددة الأنواع والألوان والأجناس ، بل إنها تتعدد وتتنوع في الجنس الواحد واللون الواحد كالإنسان والحيوان والجماد والأجرام السماوية إلى آخره فجميعها وجدت بأوامر الله سبحانه وتعالى الخالق العظيم.

فبعد هذه الجولة السريعة في ألفاظ القرآن وفي حروفه وفي عدّ وإحصاء هذه لابد أن نقر ونعترف بأنه أمر أراده الله ، وكلما غرت في هذا البحث يزداد إعجابك وخشوعك من هذه القدرة العظيمة والإعجاز في تراكيب القرآن ، لأن التساوي العددي والتوازن الرقمي والتناسب الحسابي وفي كل موضوعات القرآن الكريم أمر لا تستطيع الطاقة البشرية أن تحيط به ذكراً ولا أن تستوعبه توضيحاً وتبياناً لأنه أمر أعمق وأوسع وأكبر من قدرة الإنسان المخلوق وهذا واضح ليس بخفي أنه كلام الله وهو العلي العظيم الحكيم.

وقد نركز على الرقم (١٩) فتبين بعد البحث والاستقصاء أن الأقدمين قد اكتشفوا بعض الجوانب المتعلقة بالرقم (١٩) والذي ورد ذكره في القرآن الكريم وقد أطلقوا على هذا الرقم بالرقم الذهبي حيث أطلقت هذه التسمية منذ القرن الخامس قبل الميلاد أي قبل نزول القرآن ، فقد جاء في دائرة المعارف الفرنسية العالمية عن دورة (ماتون) أو الدوران الاقتراني للشمس والقمر ما معناه أن الدوران الاقتراني هو الفاصل الزمني بين مرحلتين متتاليتين ، ومتوسط مقدار هذا الدوران: ٢٩ يوماً و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٢,٨ ثانية ، وهو مقدار الشهر القمري.

والعلاقة الجديرة بالاهتمام ، أن ما يساويه ٢٣٥ شهراً قمرياً بالأيام هو ١٩ سنة شمسية لأن ٢٣٥ شهراً قمرياً تساوي ٦٩٣٩,٦٩ يوماً أو ١٩ سنة شمسية وكل سنة شمسية تساوي ٣٦٥ يوماً وربع يوم. فيكون مجموع أيام ١٩ سنة شمسية ٦٩٣٩,٧٥ يوماً. وهو المقدار نفسه ، وهذا ما يطلق عليه اسم ((دورة ماتون)). فاكتمال الدوران الاقتراني لكل من الشمس والقمر يستغرق ١٩ سنة بحيث تكون المدة اللازمة لاقتران الشمس والقمر في المكان نفسه هي ١٩ سنة.

وجاء في القاموس ما يلي:

يكمل القمر دوراته عائداً إلى نقطة انطلاقه في فترة زمنية محددة بتسع عشرة سنة شمسية. أي أن مئات الدورات التي أكملها القمر منذ بدء الخليقة حتى اليوم استغرق كل منها ١٩ سنة.

وقد ذكر الله سبحانه هذا الرقم بقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ﴿المدثر:٣٠﴾ وتنتهي بقوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ ﴿المدثر:٣١﴾ وتأتي مباشرة الآية التي يقسم الله سبحانه وتعالى فيها بالقمر فيقول: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ ﴿المدثر:٣٢﴾ ثم بالشمس ، فيقول: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ❖ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ ﴿المدثر:٣٣-٣٤﴾ والذي يدل على إدبار الليل وإسفار الصباح هو بزوغ الشمس ، ثم يدلل على كبريات معجزاته بقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ ﴿المدثر:٣٥﴾ ويريد سبحانه من

هذا الإعجاز إنذار لكل البشر في كل مكان وزمان فالذي يريد أن يتقدم قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ﴾ ﴿المدثر:٣٧﴾ إلى الخير والجنة والإيمان ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ إلى الشر والنار بالكفر ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ﴿المدثر:٣٨﴾وهذا لا يتم إلا من خلال التدبر لآيات القرآن سواء ما كان منها مادي محسوس مثل أن الله خلق عين الإنسان وهو هو سبحانه الذي خلق الشمس والقمر فهذا الضياء عبث لولا هذه العين ، وهذه العين عبث لولا هذا الضياء فتدل حاجتهما لبعضهما بالنسبة للرؤيا أن خالقهما واحد ، كالمفتاح وقفله اتساقاً يدل على أن صانعهما واحد ، فالمفتاح عبث لولا هذا القفل ، والقفل عبث لولا هذا المفتاح ، ومنها نأخذ العبرة عندما ننحرف عن القرآن وتكون الفتن وما أصعبها من فتن عندما لا يكون القرآن دليلاً على كشفها وكذا اقتران الشمس والقمر ليزداد الذين آمنوا إيماناً بأنه هو الذي جعل هذا الاقتران بالدوران ١٩سنة[1].

حيث يقول عز من قائل:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ ﴿البقرة:١٨٩﴾.

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ﴿الرحمن:٥﴾.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ﴿الإسراء:١٢﴾.

إذن بعد هذا التفصيل الذي بيّنه الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد كيف لنا أن نتأول آياته ، وهذا التأويل منهي عنه في القرآن هنا لا نحتاج إلا أن نتدبر القرآن ولكن على القلوب أقفالها لتخبط خبط عشواء أوقعتنا في ظلمات سحيقة لا يسعنا أن نرى الحق مع بلوجه ، وهذا كله لأن تفكيرنا أخدج لم ينمو بعد ليصل إلى كمال إدراكه.

---

١) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ، لسميح عاطف الزين . المعجم الإحصائي. المعجم المفهرس.

فالقرآن معجزة لا يمكن أن نقف على مراداته إلا من خلال بيان الرسول(ﷺ) والعترة الطاهرة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا سلام الله عليهم أجمعين ، ولكن هذه الأمة لا تستطيع أن توفق بين طرفي المعادلة لذا دائماً تكون النتائج مرتبكة خاطئة تكشف عن ضلالة المضلين وما حاولوا من إضافة أو حذف لأنهم إما يركنون للقرآن وهو بعيد فهمه أو يتمسكوا بالعترة ويتركوا القرآن وهذا ينافي ما أخبر به نبي الرحمة الصادق الأمين(ﷺ) حيث قال: ((إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي)) فوجه إعجاز القرآن أن المسلمون اتفقوا على ثبوت دلالة القرآن على النبوة وصدق الدعوة ، لكن بعد ما ظهر علم الكلام اختلف المتكلمون من جهة إعجاز القرآن على وجوه:

❖ إن وجه الإعجاز في القرآن أن الله صرف العرب عن معارضته وسلبهم العلم بكيفية نظمه وفصاحته ، وهذا ذهب إليه واختاره المرتضى.

❖ إنما كان معجزاً من حيث اختص برتبةٍ في الفصاحة ، خارقة للعادة ، وذلك لأن مراتب الفصاحة تتفاوت بحسب العلوم التي يفعلها الله في العباد فلا يمنع أن يجري الله العادة بالقدر المعلوم فتكون محصورة فيقع التمكين حسب تلك المراتب، هذا ما اختاره الشيخ المفيد (قدس).

❖ إن إعجازه من حيث كانت معانيه صحيحة مستمرة على النظر وموافقة للعقل.

❖ ذهب جماعة أنه معجزاً من حيث زال عنه الاختلال والتناقض على وجه لم تجر العادة بمثله.

❖ وذهب جماعة إن إعجازه يتضمن الأخبار عن الغيوب.

❖ وقال آخرون هو أن القرآن كان معجزاً لاختصاصه نظم مخصوص مخالف للمعهود.

❖ ما ذكره أكثر المعتزلة أن تأليف القرآن ونظمه معجزان لا لأن الله أعجز عنهما بمنع خلقه في العباد وقد كان يجوز أن يرتفع فيقدر عليه لكن محال وقوعه منهم كاستحالة إحداث الأجسام والألوان وإبراء الأكمه والأبرص من غير دواء[1].

هذه الوجوه التي ذكرت وقد عدوها سبعة أوجه ، مع إننا نعلم أن مبلغ علمنا بالفصاحة هو أن نفرق بين شعر امرئ القيس وشعر غيره ولا يحتاج هذا الفرق إلى الرجوع بالغاية في علم الفصاحة بل نستغني عن الفكرة وليس بين الفاضل والمفضول من أشعار هؤلاء وكلام هؤلاء فهناك قدر بين الممكن والمعجز والمعتاد والخارج عن العادة ، وإذا عرفنا هذا فيكون الفرق بين سور المُفَصَل وبين أفصح قصائد العرب غير ظاهر لنا مثل الظهور الذي ذكروه وكيف ما كان فإن الحروف كلها من مقدورنا والكلام كله يتركب من الحروف التي يقدر عليها كل متكلم وأما التأليف فإطلاقه مجاز في القرآن لأنه حقيقة في الأجسام وإنما يراد من القرآن حدوث بعضه في أثر بعض إذا كان ذلك فيتعذر لأننا نفقد العلم بالفصاحة وكيفية إيقاع الحروف على الصرف حيث لم يجعل القرآن من أرك الكلام وأقله فصاحة ليكون أبهر في باب الإعجاز ، ومن هنا تكون دلالة الإعجاز قائمة فيه ، والتي تعذر أن يعلموه فنسبوه إلى الاتفاقات أو إلى السحر والنتيجة أن الله جعل معجزة كل نبي من جنس ما يتعاطى قومه ألا ترى أن في زمان موسى(عليه السلام) لما كان الغالب على قومه السحر جعل الله معجزته من ذلك القبيل فأظهر على يده قلب العصا حية واليد بيضاء ، فعلم أولئك أن ذلك لا يتعلق بالسحر فآمنوا ، وكذلك زمان عيسى(عليه السلام) لما كان

---

١) بحار الأنوار ، ج٩٢ .

الغالب على قومه الطب جعل الله معجزته من ذلك القبيل فأظهر على يده إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص فعلم أولئك أن ذلك لا يصل إليه بالطب فآمنوا.

وكذلك لما كان زمن محمد(ﷺ) الغالب على قومه الفصاحة والبلاغة حتى كانوا لا يتفاخرون بشيء كتفاخرهم بها فجعل الله معجزته من ذلك القبيل فأظهر على يده القرآن ، وعَلِمَ الفصحاء منهم أن ذلك ليس من كلام البشر فآمنوا به ، ومن هنا جاء المخصوصون فآمنوا برسول الله كالأعشى الذي مدح رسول لله بقصيدة وأراد أن يؤمن فدافعه قريش وكلموه بأسوأ ما يقدرون عليه وقالوا أنه يحرم عليك الخمر والزنا فقال كبرت ومالي في الزنا من حاجة فقالوا أنشدنا ما مدحته به فأنشدهم :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

نبي يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدا

قالوا إن أنشدته هذا لم يقبله منك فلم يزالوا في السعي حتى صدوه وأخرج إلى اليمامة وجاء لبيد وآمن بالرسول(ﷺ) وترك قيل الشعر تعظيماً لأمر القرآن فقيل له ما فعلت قصيدتاك قال أبدلني الله بهما سورتي البقرة وآل عمران ولخصوصية نظم القرآن إن خروج نظمه عن صورة جمع أسباب المنظومات ولو لا نزول القرآن لم يقع في خلد فصيح سواها ، وكذلك قال عتبة بن ربيعة لما اختاره قريش للمصير إلى النبي(ﷺ) قرأ عليه حم السجدة فلما انصرف قال سمعت أنواع الكلام من العرب فما شبهته بشيء منها أنه ورد على ما راعني ومثله ما حكى الله عن الجن ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ ﴿الجن:١﴾ إلى قوله: ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ ﴿الجن:٢﴾.

فلما عُدم وجود شبيه القرآن من أنواع المنظوم انقطعت أطماعهم عن معارضته وإلى جانب ذلك في الروعة التي له في قلوب السامعين فمن كان مؤمناً يجد شوقاً إليه وانجذاباً نحوه وحُكي أن نصرانياً مرّ برجل يقرأ القرآن فبكى فقيل له ما أبكاك قال النظم.

وكذلك أنه لم يزل غضاً طرياً لا يخلق ولا يمل تاليه والكتب المتقدمة عارية عن رتبة النظم وأهل الكتاب لا يدعون ذلك لها.

ثم أنه في صورة الكلام هو خطاب لرسوله تارة ولخلقه أخرى.

وكذلك ما يوجد في جمعه بين الأضداد فإن له صفتي الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادتين. ووقع في أجزائه من امتزاج بعض أنواع الكلام ببعض وعادة ناطقي البشر تقسيم معاني الكلام وان كل فضيلة من تأسيس اللغة في اللسان العربي هي موجودة في القرآن وانه عدم وجود التفاضل بين بعض أجزائه من السور كما في التوراة كلمات عشر تشتمل على الوصايا يستحلفون بها لجلالة قدرها وكذا في الإنجيل أربع صحف وكذا في الإنجيل محاميد ومسابيح يقرؤونها في صلواتهم.

وان فيه ما يحتاج العباد إلى علمه من أصول دينهم وفروعه من التنبيه على طريق العقليات وإقامة الحجج على الملاحدة والبراهمة والثنوية والمنكرة للبعث القائلين بالطبائع بأوجز كلام وأبلغه ففيه من أنواع الإعراب والعربية.

حتى في الطب في قوله ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ ﴿الأعراف:٣١﴾ فهذا أصل الطب والمحكم والمتشابه والحقيقة والمجاز والناسخ والمنسوخ وهو مهيمن على جميع الكتب المتقدمة ، وأيضاً وجود قوام النظم في أجزائه كلها حتى لا يظهر في شيء من ذلك تناقض ولا اختلاف وله من الخواص ما لا يحصى.

والطامة الكبرى أنهم يدعون أن فيه تعارض ليقولوا في الشبهة وتأكيدها ليصرفوا عن طريق إصابة الحق ، وكل فريق يجوز الصدق والكذب فبهذا لا يبقى شيء من المعجز وان الإعجاز لا يتم إلا بالقطع على تعذر المعارضة والتعذر لا يحصل إلا بعد حصول العلم بأن المعارضة لم تقع مع توفر الدواعي وقوة الأسباب ومع هذا لا يوجد ورع يحجز العرب عن السب والهجاء ولم يستحيوا من القذف والافتراء وهذا يكشف عن شدة العداوة وان الحيرة بلغت بهم إلى استحسان القبيح.

وقال الإمام الصادق(عليه السلام):

((القرآن واحد ، نزل من عند واحد على واحد وإنما الاختلاف وقع من جهة الرواة))[1]. وبهذا جاءت الأخبار عن أهل البيت(عليهم السلام): إن علياً(عليه السلام) آلى أن لا يضع رداءه على عاتقه إلا للصلاة ، حتى يؤلف القرآن ويجمعه ، فلما توسطهم وضع الكتاب بينهم ثم قال: إن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وهذا الكتاب وأنا العترة ، فقام إليه عمر بن الخطاب فقال له : إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله ، فلا حاجة لنا فيكما[2].

ومن هنا بدأت البدع والكلام قد يطول ولكن أكتفي بهذا القدر وإلا لو أردنا استقصاء حيثيات هذا الموضوع لاحتجنا إلى كتاب مستقل بحد ذاته.

---

١) الاعتقادات ، للصدوق . بحار الأنوار ، ج٤. المناقب ، لابن شهر آشوب ، ج٢.

٢) الاعتقادات ، للصدوق . بحار الأنوار ، ج٤. المناقب ، لابن شهر آشوب ، ج٢.

ما ذهب من القرآن

جاءت رواياتكم أن أبا بكر وعمر جمعا القرآن من أوله إلى آخره من أفواه الرجال بشهادة شاهدين وكان الرجل الواحد منهم إذا أتى بآية سمعها من رسول الله(ﷺ) لم يقبلا منه ، وإذا جاء اثنان بآية قبلاها وكتباها ثم رويتم أن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف كانا وضعا صحيفة فيها القرآن ليكتباها فجاءت شاة فأكلت الصحيفة التي فيها القرآن فذهب من القرآن جميع ما كان في تلك الصحيفة.

ورويتم أن سورة براءة ما منعهم أن يكتبوا أولها بسم الله الرحمن الرحيم إلا أن صدرها ذهب.

وقلتم أن عمر بن الخطاب قال: لقد قتل باليمامة قومٌ يقرؤون قرآناً كثيراً لا يقرؤه غيرهم فذهب من القرآن ما كان عند هؤلاء النفر.

وزعمتم أن عمر قال: لو لا أني أخاف أن يقال: زاد عمر في القرآن أثبت هذه الآية ، فإنّا كنا نقرأ على عهد رسول الله(ﷺ): إذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من الشهوة نكالاً من الله والله عزيز حكيم ورويتم أن أبا موسى الأشعري لما ولاه عمر بن الخطاب البصرة جمع القراء فكانوا ثلاثمائة رجل فقال لهم: أنتم قراء أهل البصرة؟ قالوا: نعم ، قال: والله لقد كنا نقرأ سورة على عهد رسول الله(ﷺ) كنا نشبهها ببراءة تغليظاً وتشديداً فنسيناها غير أني أحفظ حرفاً واحداً منها أو حرفين : لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب ورويتم أن سورة الأحزاب كانت ضعف ما هي فذهب منها مثل ما بقي في أيدينا.

ورويتم أن سورة ((لم يكن)) أي سورة البينة كانت مثل سورة البقرة قبل أن يضيع منها ما ضاع وإنما بقي ما في أيدينا منها ثماني آيات أو تسع آيات ، فلئن كان الأمر على ما رويتم لقد ذهب عامة كتاب الله عز وجل الذي أنزله على محمد(ﷺ).

ورويتم أنه جمع القرآن على عهد رسول الله ستة نفر كلهم من الأنصار وأنه لم يحفظ القرآن إلا هؤلاء النفر ، فمرة تروون أنه لم يحفظه قوم ، ومرة تردون أنه ذهب منه شيء كثير ، ومرة تروون لم يجمع القرآن أحد من الخلفاء إلا عثمان فكيف ضاع القرآن وذهب وهؤلاء النفر قد حفظوه بزعمكم وروايتكم ؟.

ثم رويتم بعد ذلك كله أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) عهد إلى علي بن أبي طالب(عليه السلام) أن يؤلف القرآن فألفه وكتبه ، ورويتم أن إبطاء علي على أبي بكر البيعة على ما زعمتم لتأليف القرآن فأين ذهب ما ألفه علي بن أبي طالب(عليه السلام) حتى صرتم تجمعونه من أفواه الرجال؟ ومن صحف زعمتم كانت عند حفصة بنت عمر بن الخطاب ؟.

وأنتم تروون عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنه قال: أُبيٌ أقرأكم.

ورويتم أنه(صلى الله عليه وآله) قال: من أراد أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد[1]. ورويتم أن النبي(صلى الله عليه وآله) قال: لو كنت مستخلفاً أحداً عن غير مشورة لاستخلفت ابن أم عبد ، ورويتم في حديث آخر أنه(صلى الله عليه وآله) قال: رضيت لأمتي ما رضى لها ابن أم عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد.

---

١) ابن أم عبد: عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي أبو عبد الرحمن ، جليل القدر ، عظيم الشأن كبير المنزلة ، قرأ القرآن وعلم السنة ، وكان من الذين شهدوا جنازة أبي ذر (رض) وباشروا تجهيزه. وعن الاستيعاب أن النبي قال لنفر من أصحابه فيهم أبو ذر: ليموتن أحدكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين وكان مع النبي(صلى الله عليه وآله) ليلة الجن. وكان من الإثني عشر الذين أنكروا المنكر ، ونكيره على عثمان وما جرى عليه من الضرب والإهانة ، ومن المعروفين بولايتهم عماراً وسلمان وأبا ذر والمقداد وأبيّ بن كعب وابن مسعود وهؤلاء ممن خلقت الأرض لهم وبهم يمطرون وينصرون وعلي إمامهم وشهدوا الصلاة على فاطمة(عليها السلام).
كما جاء في الاستيعاب ج١. بحار الأنوار ج٨. سفينة البحار ج٢. الكامل في التاريخ. الخصال. الكنى والألقاب للقمي.

ثم رويتم أن عثمان ترك قراءة أُبيّ وابن مسعود وأمر على ما زعمتم بمصاحف ابن مسعود فحرقت ، وجمع الناس على قراءة زيد.

ورويتم أن عمر بن الخطاب وجه ابن مسعود إلى الكوفة يُفَقِه الناس ويقريهم القرآن ، فكان ثقة عند عمر بن الخطاب في توجيهه إلى الكوفة ويقريهم القرآن مع قول رسول الله(ﷺ) فيما رويتم فيه وفي أُبيّ فترك قراءته وقراءة أُبيّ وأمر الناس بقراءة زيد فهي في أيدي الناس إلى يومنا هذا.

فلئن كان أُبيّ وابن مسعود ثقتين في الفقه أنهما لثقة في القرآن. ولقد أوجبتم عليهم بترك قراءة ابن مسعود أنهم لم يرضوا للأمة بما رضي لها رسول الله(ﷺ) وأنهم كرهوا ما رضي لهم الرسول فأي وقيعة أشد مما تروونه عليهم؟ فوالله لو اجتمع كل من على وجه الأرض على أن يقولوا فيهم أكثر مما قلتم ما قدروا عليه طعناً وسوء قول وتجهيلاً وجرأة على الله.

وأنتم تزعمون أنكم الجماعة وأن الجماعة لا تجتمع على ضلال.

ثم رويتم عن ابن مسعود أن المعوذتين ليستا من القرآن وأنه لم يثبتهما في مصحفه وأنتم تروون أنه من جحد آية من كتاب الله عز وجل فهو كافر بالله وتقرون أنهما من القرآن ، فمرة تقرون على ابن مسعود أنه جحد سورتين من كتاب الله وأنه من جحد حرفاً منه فقد كفر فكيف قبلتم أحاديث ابن مسعود في الحلال والحرام والصلاة والصيام والفرائض والأحكام؟ فإن لم تكن المعوذتان من القرآن لقد هلك الذين أثبتوها في المصاحف ، ولئن كانتا من القرآن لقد هلك الذين جحدوهما ولم يثبتوهما في المصاحف إن كان ما رويتم عن ابن مسعود حقاً أنه قال: ليس هما من القرآن فليس لكم مخرج من أحد الوجهين فأما أن يكون كذب فهلك وهلك من أخذ عنه الحلال والحرام ، وأما أن يكون صدق فهلك من خالفه ، فأي وقيعةٍ في أصحاب رسول الله(ﷺ) أشد من وقيعتكم فيهم إذا وقعتم ؟.

وأخرى فإنكم تروون عنهم الكفر الصّراح مثل ما قد رويتم من جحودهم القرآن فلو أنّكم إذا وقعتم فيهم تنسبونهم إلى ما هو دون الكفر كان الأمر أيسر وأسهل وأهون لكنكم تعمدون إلى أغلظ الأشياء وأعظمها عند الله فتنسبونهم إليها.

ولكنكم مع كل الذي صدر منكم فيهم أنكم تنسبون إلى الشيعة الوقيعة فيهم جرأة منكم وقلة حياء وقلة معرفة منكم بما تروون.

ويظهر من كل ما تقدم أن ضياع طائفة من القرآن من المسلمات عند العامة الذين سموا أنفسهم بأهل السنة والجماعة في مأخذ الحلال والحرام ، فكيف جاز لكم أن تضيعوا القرآن ولا يجوز أن تضيعوا السنة ولما عجزتم عن جمع السنة كما عجزتم عن جمع القرآن ، والأخبار التي تدل على سقوط شيء من القرآن صريحة وبها تمسك من أثبت منسوخ التلاوة كما ذكروا سقوط لو كان لابن آدم واديان... ، من سورة الأحزاب وكذلك سورة (لم يكن الذين كفروا) كانت مثل سورة البقرة قبل أن يضيع منها ما ضاع فإنما بقي في أيدينا منها ثمان آيات أو تسع آيات وكما جاء عن طريق العامة عن هشام عن ابن جريح عن عطاء في حديث قال: سمعت ابن عباس يراها ((أي المتعة)) حلالاً وأخبرني أنه كان يقرأ: فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى. وعن بشر بن المفضل قال: حدثنا داود بن أبي هند عن أبي نصرة قال: سألت ابن عباس عن متعة النساء فقال: أما تقرأ سورة النساء؟ قلت بلى قال: وما تقرأ فيها: فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى؟.

فهذا صريح القرآن فيها لكن وقف الثاني وقال متعتان كانتا في عهد رسول الله وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما فقد تجرأ على الله وعلى رسوله(ﷺ).

الداجن وما أكلت

قالت عائشة: لقد نزلت آية الرجم ورضاع الكبير وكانتا في رقعة تحت سريري وشغلنا بشكاية رسول الله(ﷺ) فدخلت داجن فأكلته.

❖ والداجن الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم وكذلك الناقة والحمام البيوتي والأنثى داجنة والجمع دواجن ، وقال أهل اللغة: دواجن ما ألفها من الطير والشاة وغيرهما وقد دجن في بيته إذا لزمه[1].

رويتم عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة أنها قالت: لقد نزلت آية الرجم ورضاع الكبير عشر فكانت في صحيفة تحت سريري عند وفاة رسول الله(ﷺ) فلما توفى وشغلنا به دخلت داجن للحي فأكلت الصحيفة.

وهذا خلاف قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ❖ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ ﴿فصلت:٤١-٤٢﴾ فكيف يكون عزيزاً وقد أكلته شاة وأبطلت فرضه وأسقطت حجته ؟ وأي أحد يعجز عن إبطاله والشاة تبطله ؟ وكيف قال: اليوم أكملت لكم دينكم وقد أرسل إليه ما يأكله ؟ وكيف عرض الوحي لأكل شاة ولم يأمر بإحرازه وصونه ؟ ولِمَ أنزله وهو لا يريد العمل به ؟.

هذا ما عجبوا منه ليس فيه عجب ولا في شيء ما استفظعوا منه فظاعة فإن كان العجب من الصحيفة.

فالصحف في عصر رسول الله(ﷺ) أعلى ما كتب فيه القرآن لأنهم كانوا يكتبونه في الجريد والحجارة والخزف وأشباه هذا ، قال زيد بن ثابت: أمرني أبو بكر بجمعه فجعلت أتتبعه من الرقاع والعسب واللخاف ، والعسب جمع عسيب النخل ، واللخاف حجارة رقاق واحدها لخفة ، وقال الزهري:

---

١) حياة الحيوان ، للدميري.

قبض رسول الله(ﷺ) والقرآن في العسب والقضم والكرانيف ، والقضم جمع قضيم وهي الجلود ، والكرانيف أصول السعف الغلاظ واحدها كرنافة ، وكان القرآن متفرقاً عند المسلمين ولم يكن عندهم كتاب ولا آلات ، يدلك أن رسول الله(ﷺ) كان يكتب إلى ملوك الأرض في أكارع الأديم.

وكذا العجب من وضعه تحت السرير فإن القوم لم يكونوا ملوكاً فتكون لهم الخزائن والأقفال وصناديق الأبنوس والساج وكانوا إذا أرادوا إحراز شيء أو صونه وضعوه تحت السرير ليأمنوا عليه من الوطء وعبث الصبي والبهيمة ، وكيف يحرز من لم يكن في منزله حرز ولا قفل ولا خزانة إلا بما يمكنه ويبلغه وجده ومع النبوة التقلل والبذاذة[1] كان رسول الله(ﷺ) يرقع ثوبه ويخصف نعله ويصلح خفه ويمهن أهله ويأكل بالأرض ويقول: إنما أنا عبدٌ آكل كما يأكل العبد ، وعلى ذلك كانت الأنبياء(عليهم السلام) ، وكان سليمان(عليه السلام) وقد أتاه الله من الملك ما لم يؤت أحداً قبله ولا بعده يلبس الصوف ويأكل خبز الشعير ويطعم الناس صنوف الطعام ، وكلم الله موسى(عليه السلام) وعليه مدرعة من شعر أو صوف وفي رجليه نعلان من جلد فقيل له: أخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى ، وكان عيسى(عليه السلام) يحتبل بحبل من ليف ، وهذا أكثر من أن نحصيه وأشهر من أن نطيل الكتاب به.

وان كان العجب من الشاة فإن الشاة أفضل الأنعام ، وفي مناجاة عزير ربه أنه قال: اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائنة ومن الطير الحمامة ومن النبات الحلبة ، ومن البيوت بكة وأيلياء ومن أيلياء بيت المقدس. وروى وكيع عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله(ﷺ): ما خلق الله دابة أكرم عليه من النعجة فالعجب من أكل الشاة تلك الصحيفة.

---

١) البذاذة : تقول العرب : بذَّ يبذُّ بذّاً إذا خرج شيء على الآخر في حسن أو عمل كائناً ما كان والبذاذة : سوء الهيئة ، ورجل باذ الهيئة. كتاب العين ، للفراهيدي.

وهذا الفأر شر حشرات الأرض يقرض المصاحف ويبول عليها ، وهذا العث يأكلها ، ولو كانت النار أحرقت الصحيفة أو ذهب بها المنافقون كان العجب منهم أقل ، والله تعالى يبطل الشيء إذا أراد إبطاله بالضعيف والقوي فقد أهلك قوماً بالذر كما أهلك قوماً بالطوفان ، وعذب قوماً بالضفادع كما عذب آخرين بالحجارة ، وأهلك نمرود ببعوضة وغرق اليمن بفأرة.

وقولهم: كيف يكمل الدين وقد أرسل ما يبطله ؟.

فإن هذه الآية نزلت عليه(ﷺ) يوم حجة الوداع حين أعز الله تعالى الإسلام وأذل الشرك وأخرج المشركين عن مكة فلم يحج في تلك السنة إلا مؤمن.

وبهذا أكمل الله تعالى الدين وأتم النعمة على المسلمين فصار كمال الدين ههنا عزه وظهوره وذل الشرك ودروسه لا تكامل الفرائض والسنن لأنها لم تزل إلى أن قبض رسول الله(ﷺ) هكذا قال الشعبي في هذه الآية.

ويجوز أن يكون الإكمال للدين برفع النسخ عنه بعد هذا الوقت.

وإما إبطاله إياه فإنه يجوز أن يكون أنزله قرآناً ثم أبطل تلاوته وأبقى العمل به كما قال عمر في آية الرجم وكما قال غيره في أشياء كانت من القرآن قبل أن يجمع بين اللوحين فذهبت ، وإذا جاز أن يبطل العمل به وتبقى تلاوته جاز أن تبطل تلاوته ويبقى العمل به.

ويجوز أن يكون أنزله وحياً إليه كما كان تنزل عليه أشياء من أمور الدين ولا يكون ذلك قرآناً لتحريم نكاح العمة على بنت أخيها ، والخالة على بنت أختها والقطع في ربع دينار ، ولا قَودَ على والد ولا على سيد ، ولا ميراث لقاتل وكقوله(ﷺ) : يقول الله تعالى: إني خلقت عبادي جميعاً حنفاء.

وكقوله ، يقول الله عز وجل: من تقرب إليّ شبراً تقربت منه ذراعاً ، وأشباه هذا ، وقد قال(عليه السلام): أوتيت الكتاب ومثله معه ، يريد ما كان جبريل(عليه السلام) يأتيه به من السنن وقد رجم رسول الله(صلى الله عليه وآله) ورجم الناس بعده وأخذ بذلك الفقهاء[1].

فأما رضاع الكبير عشراً ، فهو غلط من محمد بن إسحاق وكذلك يكون الرجم الذي ذكر أنه في هذه الصحيفة كان باطلاً لأن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قد رجم ماعز بن مالك وغيره قبل هذا الوقت فكيف ينزل عليه مرة أخرى ؟ ولأن مالك بن أنس روى هذا الحديث بعينه عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة قالت: كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمنّ ثم نسخن بخمس معلومات يحرمنّ فتوفي رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهنّ مما يقرأ من القرآن ، وقد أخذ بهذا الحديث قوم من الفقهاء ومنهم الشافعي وإسحاق وجعلوا الخمس حداً بين ما يحرم وما لا يحرم كما جعلوا القلتين حداً بين ما ينجس من الماء ولا ينجس ، وألفاظ حديث مالك خلاف حديث محمد بن إسحاق.

قال أبو محمد: حدثنا أبو حاتم قال: إن الأصمعي قال: معمر قال: قال لي أبي: لا تأخذن عن محمد بن إسحاق شيئاً فإنه كذاب ، وقد كان يروي عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير وهي امرأة هشام بن عروة ، فبلغ ذلك هشاماً فأنكره وقال: أهو كان يدخل على امرأتي أم أنا ؟.

وأما قول الله تعالى: لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فإنه تعالى لم يرد بالباطل أن المصاحف لا يصيبها ما يصيب سائر الأعلاق والعروض وإنما أراد أن الشيطان لا يستطيع أن يدخل فيه ما ليس منه قبل الوحي وبعده هذا شطر مما ذكره علماء العامة ولا مجال لنقل أكثر من ذلك إلا أن أعجب العجب أنهم مع خوضهم في نقل ذلك وأمثاله وإصرارهم على إثباتها بدلائل وافية عندهم وبيانات شافية على زعمهم إذا تفطنوا بقبحها والتفتوا إلى ركاكتها ووقاحتها يرمون بها

---

١) الإيضاح ، للفضل بن شاذان ، ت٢٦٠هـ .

الشيعة وينسبونها إليهم ، ولعمري أن ذلك قسمة ضيزى ، وقد ذكر جار الله الزمخشري وهو من أعاظم العلماء ومفاخر الإسلام في الكشاف في أول تفسير سورة الأحزاب ، ونص عبارته بعد البسملة: ((عن زر قال ، قال لي أُبيّ بن كعب: كم تعدون سورة الأحزاب؟ قلت ثلاثاً وسبعين آية قال: فوالذي يحلف به أُبيّ بن كعب إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ، ولقد قرأنا منها آية الرجم: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم)).

أراد أُبيّ أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن.

إلى جانب هذا ما ذكر السيوطي في الإتقان تحت عنوان النوع السابع والأربعون في ناسخه ومنسوخه قال: الضرب الثالث ما نسخ تلاوته دون حكمه وأمثلة هذا الضرب كثيرة ، قال أبو عبيدة: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: لا يقولنّ أحدكم: قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله ، قد ذهب منه قرآن كثير ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر. وقال حدثنا ابن أبي مريم عن ابن أبي لهيعة عن ابن الأسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي(ﷺ) مائتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ما هو الآن.

وقال: حدثنا إسماعيل بن جعفر عن المبارك بن فضالة عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال ، قال لي أُبيّ بن كعب: كم كانت تعد سورة الأحزاب؟ قلت: اثنتين وسبعين آية أو ثلاث وسبعين آية قال: إن كانت لتعدل سورة البقرة وان كنا لنقرأ فيها آية الرجم ، قلت: وما آية الرجم؟ قال: إذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم.

وقال: حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن مروان بن عثمان عن أبي أمامة بن سهل أن خالته قالت: لقد أقرأنا رسول

الله آية الرجم: الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة ، كما ترى أن حديثهم تكرر بألفاظ متعددة ولم ينقلوه على نسق واحد.

وقال: حدثنا حجاج عن ابن جريح أخبرني ابن أبي حميدة بنت أبي يونس قالت: قرأ عن أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً وعلى الذين يصلون الصف الأول ، قالت: قبل أن يغير عثمان المصاحف.

وقال: حدثنا عبد الله بن صالح عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي واقد الليثي قال: كان رسول الله(ﷺ) إذا أوحي إليه أتيناه فعلمنا مما أوحي إليه قال: فجئت ذات يوم فقال:إن الله يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو أن لابن آدم وادياً لأحب أن يكون إليه الثاني ، ولو كان إليه الثاني لأحب أن يكون إليهما الثالث ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب. وأخرج الحاكم في المستدرك عن أُبيّ بن كعب قال ، قال لي رسول الله(ﷺ): إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن فقرأ: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ، ومن بقيتها: لو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه سأل ثانياً ، وان سأل ثانياً فأعطيه سأل ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب ، وأن ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية والنصرانية ومن يعمل خيراً فلن يكفره. وقال أبو عبيدة: حدثنا حجاج عن حماد عن سلمة عن علي بن زيد عن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبي موسى الأشعري قال: نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها: إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال: كنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات نسيناها غير أني حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة.

وقال أبو عبيدة: حدثنا حجاج بن سعيد عن الحكم بن عتيبة عن عبد بن عدي قال ، قال عمر: كنا نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم ثم قال لزيد بن ثابت: أكذلك؟ قال: نعم.

وقال: حدثنا ابن أبي مريم عن نافع بن عامر الجمحي حدثني ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال ، قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم نجد فيما أنزل علينا: أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة؟ فإنا لا نجدها ، قال: أسقطت فيما أسقط من القرآن.

وقال: حدثنا ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المغافري عن أبي سفيان الكلاعي أن مسلمة بن مخلد الأنصاري قال لهم ذات يوم: أخبروني بآيتين في القرآن لم تكتبا في المصحف فلم يخبروه وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك فقال ابن مسلمة: الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون. والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون.

وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن عمر قال: قرأ رجلان سورة قرأهما رسول الله(ﷺ) فكانا يقرآن به فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف فأصبحا غاديين على رسول الله(ﷺ) فذكرا ذلك له فقال: إنها مما نسخ فالهوا عنها.

وفي الصحيحين عن أنس في قصة أصحاب بئر معونة: الذين قتلوا وقنت يدعو على قاتليهم قال أنس: ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع: أن بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا.

وفي المستدرك عن حذيفة قال: ما تقرؤن ربعها يعني براءة.

قال الحسين بن المناري في كتابه الناسخ والمنسوخ: ومما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حِفْظهُ سورتا القنوت في الوتر وتسمى سورتي الخلع والحفد.

أقول: إن الاعتقاد بما تتضمنه هذه الأخبار الساقطة في نظر أهل التحقيق عن درجة الاعتبار مما يثلم بنيان الدين ويهدم أركان اليقين ويذهب بهاء الإسلام ويكدر مناهل الأحكام نعوذ بالله من ذلك.

وإذا كنت تروم الكثير عن هذا الموضوع فعليك بالمطولات وبعض التفاسير.

آية الرجم ليست قرآنا

لابد أن نعرف ماذا تعني آية الرجم عند المسلمين سنة وشيعة ؟ وللإجابة على مثل هكذا سؤال أن ننظر في القرآن الكريم فلا نجد فيه ما يسمى بآية الرجم المزعومة ، وهذا القرآن الذي نزل على صدر محمد(ﷺ) لم يوجد فيه حد الرجم ، ولكن حد الرجم ورد في السنة الشريفة المباركة ، أنّ الزاني المُحصن سواء كان رجلاً أو امرأة يعاقب بحد الرجم.

ومع هذا اختلف المسلمون في هذا التشريع. فممن تمسك بالخلافة أورد آية الرجم تبعاً لما قاله عمر بن الخطاب وفي عدة أسانيد ، وهي صحيحة عند علماء السنة أن هناك آية يعبر عنها بآية الرجم ، حيث قال عمر أنهم قرأوها وعقلوها ووعوها إلا أنها لم تضبط في المصحف وأنه يخشى إن طال الزمان بالناس أن يقول قائل ما نجد في كتاب الله آية الرجم فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى.

وما نسب إلى عمر بن الخطاب أن الآية من القرآن رويت بألسنة مختلفة منها ((إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم)).

ومنها أيضاً ((الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة)). ومنها أيضاً ((إن الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة))[1].

وقد ورد عن عمر أنه قال: لو لا أن يقول قوم زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة نكالاً من الله والله عزيز حكيم[1].

---

١) مسند أحمد ، ج١. صحيح البخاري ، ج٨ ، صحيح مسلم ، ج٥. صحيح ابن حبان ج٢. وأغلب كتب القوم.

❖ وقد دافع علماء السنة عن ضبط آية الرجم في المصحف الشريف بدعوى إنها نسخت تلاوتها وإن لم ينسخ حكمها ، وكما عرفت أن نسخ التلاوة واحد من أقسام النسخ الذي جاء تقسيمه متأخراً عن زمن الرسول الأعظم(ﷺ) ومع هذا الدفاع إلا أن ذلك ينافي ما روي أن عمراً كان يريد كتابتها في المصحف إلا أنه خشي من أن يقال إن عمراً زاد في كتاب الله تعالى ، لكن الواضح عندهم أن الآيات المنسوخة التلاوة لا يصح كتابتها ولا تلاوتها على أنها قرآن وهذا من المسلمات عندهم. وذكروا أيضاً أن الفرق بين نسخ التلاوة وبين نسخ الحكم دون التلاوة ، فالآيات المنسوخة الحكم دون التلاوة تُعدُ من القرآن ، فلا يجوز إسقاطها من المصحف وان كان حكمها منسوخاً ، وأما الآيات المنسوخةُ التلاوة فهي لا تتلى على أنها قرآن ولا تضبط في المصحف. فإذا كانت آية الرجم المزعومة منسوخة التلاوة كما دافع أكثر علماء السنة ، فكيف أراد الخليفة عمر بن الخطاب كتابتها في المصحف ؟.

وهل أن خشيته من ضياع حكم الرجم يبرر له كتابتها في المصحف بعد أن نسخت تلاوتها بحسب الدعوى ؟.

كما تقدم أن نسخ التلاوة لم يكن رأي الخليفة عمر بل كان يرى أن آية الرجم من القرآن ولم تنسخ حكماً ولا تلاوة ، وأما عدم ضبطها في المصحف فقد نشأ عن أنها لم تكن آية من آيات القرآن وإنما هو وهم توهمه الخليفة عمر فحَسِبَ أن حكم الرجم الثابت من السنة الشريفة أنه آية من آيات القرآن الكريم.

➧ أما ما جاء عن الشيعة في آية الرجم فهناك روايتان مرويتان عن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام) :

---

١) مسند أحمد ، ج١. صحيح البخاري ، ج٨ ، صحيح مسلم ، ج٥. صحيح ابن حبان ج٢. وأغلب كتب القوم.

- الأولى: أنه سُئل: هل في القرآن رجم ؟ قال(عليه السلام): نعم. قلت كيف؟ قال(عليه السلام): ((الشيخ والشيخة فارجموهما البتة فإنهما قضيا الشهوة))[١].
- الثانية: ورد عنه(عليه السلام) أنه قال: الرجم في القرآن قول الله عز وجل: ((إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة فإنهما قضيا الشهوة)) [٢].

والروايتان صحيحتان السند إلا أنهما ساقطتان عن الاعتبار والحجية ، وذلك لمنافاتهما مع واحد من ضرورات الدين والمذهب وهو أن ما بين الدفتين هو كتاب الله كاملاً لم ينقص منه شيء ، فكل حديث يقتضي خلاف ذلك فهو ساقط عن الاعتبار ، فهو إما أن يكون موضوعاً أو صدر عن تقية ومجاراة لما عليه العامة من البناء على أن آية الرجم كانت من القرآن ثم نسخت تلاوتها.

فليس كل رواية صح سندها تكون حجة ، لأن هناك ضابط لحجية الرواية كما أفاده أهل البيت(عليهم السلام) وهو عدم منافاة مضمون الرواية لصريح الكتاب أو ظاهره وعدم منافاتها للسنة القطعية ، فكل خبر ينافي الكتاب والسنة الشريفة فقد أفاد أهل البيت(عليهم السلام) وهي روايات تفوق حد التواتر أنه مكذوب عليهم ، وأنه زُخرف وان قائله أولى به وان عليكم أن ترموا به عرض الجدار ، وأنه مردود[٣].

ثم إن نسخ التلاوة لو سلمنا بتماميته وهو غير تام جزماً ، فإنه لا يثبت بأخبار الآحاد كما هو متسالم عليه عند الإمامية والكثير من علماء السنة وان الخبرين من أخبار الآحاد فلا يثبت بهما نسخ ، إذ أن النسخ لا يثبت إلا بآيةٍ من القرآن أو بالسنة المتواترة القطعية.

---

١) وسائل الشيعة ، ج٢٨ ، أبواب حد الزنا. من لا يحضره الفقيه للصدوق. الكافي للكليني.

٢) نفس الصدر السابق.

٣) وسائل الشيعة ، ج٢٧ ، باب الجمع بين الأحاديث . الكافي ج١ ، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب.

إذن آية الرجم ليست من القرآن بإجماع المسلمين قاطبة ، إلا أن أكثر علماء السنة يقولون بأنها كانت قرآناً ثم نسخت تلاوتها أيام رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهذا معناه أنها ليست من القرآن ، ولهذا لم تضبط في المصحف الشريف.

أما الإمامية فيقولون أنها لم تكن قرآناً أساساً حتى تنسخ تلاوتها وأن ما ذكره الخليفة عمر كان اشتباهاً منه وممن قَبِلَ بقوله. حيث توهّم أن حدّ الرجم الثابت في السنة كان من القرآن.

❖ كونه لم يفرق بين القرآن والحديث القدسي الذي هو مصداق لقول الرسول(صلى الله عليه وآله) ما معناه أوتيت القرآن ومثله كما مرّ فيما تقدم ويؤيد هذا ما ورد من طرق العامة أنّ علي بن أبي طالب(عليه السلام) جلد امرأة محصنة الحدّ ثم رجمها في اليوم الثاني بعد أن ثبت أنها زنت وحين سُئل عن ذلك قال(عليه السلام): ((جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنّة رسول الله(صلى الله عليه وآله))) وفي بعض الروايات التي يذكرونها أنه أجاب بذلك بعد أن جلد ثم رجم رجلاً محصناً ثبت أنه زنى فقال(عليه السلام): ((جلدته بكتاب الله ورجمته بسنة رسول الله(صلى الله عليه وآله)))[1].

لو ورد حدُّ الرجم في القرآن لقال (عليه السلام) :

((ورجمتهما بكتاب الله)) لأن المفترض أن الحكم لم ينسخ وإنما نسخت التلاوة المزعومة حسب ما ادعوا.

فهذه الروايات صالحة للرد على ما توهمه الخليفة ، فهي صريحة في أن حدّ الرجم إنما يثبت بالسنة الشريفة ولم يرد فيه قرآن ، وذلك لأنهم لم يفرقوا بين آيات القرآن وبين الحديث القدسي وبين أحاديثه(صلى الله عليه وآله) كما مرّ.

---

١) مسند أحمد ، ج١. المستدرك للنيسابوري.

لقد ذكر الشيخ محمد الصادق عرجون في كتابه محمد رسول الله[1]: (وقد بينا بياناً شافياً أن ألفاظ ما زعموه آية قرآنية نزلت في وجوب حد الرجم لمن زنى بعد إحصان في رواياتهم ((الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله)) لم تكن قط من ألفاظ القرآن ولا ألفاظ الحديث الشريف ، فلم يستعملا كلمة (الشيخة) في معنى الإحصان ولا كلمة (الشيخ) في هذا المعنى ، وكذلك كلمة (البتة) لم ترد في القرآن الحكيم البتة ، لا فيما ثبتت قرآنيته بالتواتر ثم نسخ ،ولا فيما أحكم فلم ينسخ منه شيء ، هذا وجه إن لم يدل صراحة على بطلان الرواية فهو دال على استبعاد نزول آية قرآنية في زعم من رواها قرآناً بألفاظ طرحها القرآن والحديث فلم يستعملاها في المعنى المقصود للرواية وهذه وجهة لفظية ترجع إلى خصائص القرآن في ألفاظه وملاءمتها في الفصاحة ولطف الأداء ، وهي كافية في إلقاء الشك في قرآنية هذا الكلام).

---

١) المنار في علوم القرآن ، د. محمد علي الحسن.

آية البسملة جزئيتها من السورة والجهر بها

*** البسملة في اللغة والاصطلاح :**

هي قول بسم الله الرحمن الرحيم ، يقال بَسْمَل بَسْمَلة: إذا قال أو كتب ((بسم الله)) يقال : أكثر من البسملة ، أي أكثر من قول بسم الله[1].

ومن سمات المسلمين لا يستفتحون بشيء إلا بعد ذكر بسم الله الرحمن الرحيم وهي آية التوحيد وسبب نفور المشركين ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ ﴿الفرقان:٦٠﴾.

في العصر الجاهلي كان قول المشركين ((باسمك اللهم)) حيث يستفتحون كلامهم. وعندما آل الأمر في صلح الحديبية إلى كتابة وثيقة الصلح بين الطرفين ، أمر النبي(ﷺ) علياً (عليه السلام) : أن أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم ، فكتب علي وفق ما أمر ، فقال سهيل المتكلم عن قريش ومندوبهم: لا نعرف هذا ولكن أكتب باسمك اللهم .

فإذن قول بسم الله الرحمن الرحيم هي الحد الفاصل بين الإسلام والشرك وبها يتميز المؤمن عن الكافر ، وهي لا تفارق المسلم سواء في حضره أو سفره.

فالبسملة آية قرآنية وهذا ما أجمعت وتشهد عليه المصاحف عبر القرون وقد كتبت في مفتتح كل سورة ما عدا التوبة.

ومن هنا تراهم ميزوا أسماء السور ، وعدد الآيات ، ورموزه وأجزائه وأرباعه ، وركوعه وسجوده ، لكنهم كتبوها على نحو يعلم أنها خارجة عن القرآن ، ولا

---

١) لسان العرب.

فرق بين الخلف والسلف حيث اتفقوا على كتابة البسملة مفتتح كل سورة ، ولا تجد قرآناً مخطوطاً من عهد الصحابة إلى يومك هذا لا نجد غير هذا النمط من كتابة المصاحف الشريفة وهذا هو الاتفاق العملي على أن البسملة جزء من المصحف.

ولكن بعد رحيل رسول الله(صلى الله عليه وآله) طرأ الاختلاف في كل ما سنه خصوصاً في عهد معاوية بن أبي سفيان (لعن) ويمكن أن يكون قبله ، وعلة ذلك الاختلاف هو مخالفة لسيرة الإمام علي(عليه السلام) وخصوصاً في البسملة حيث أجمع الجميع على أن علي بن أبي طالب(عليه السلام) كان يجهر بها.

والفخر الرازي يذكر ذلك ويقول: وأما أن علي بن أبي طالب فقد كان يجهر بالبسملة وقد ثبت بالتواتر ، وكان يقول: يا من ذكره شرف للذاكرين[1].

وقد وردة الروايات عن النبي(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته وأصحابه ، على أن البسملة جزء من الفاتحة ، وأنها يجب الجهر بها في الصلوات الجهرية ، كما أنها جزء من كل سورة[2].

فضل البسملة :

جاءت أحاديث كثيرة عن الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) في فضل البسملة:

❖ قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) :

((فُضّلتُ ببسم الله الرحمن الرحيم)).

---

١) التفسير لكبير ، ج١.

٢) الانصاف في مسائل الخلاف ، للسبحاني.

وقال(صلى الله عليه وآله) :

((لم تنزل على أحد غيري سوى ما حكاه الله سبحانه من كتاب سليمان))[١].

❖ قال الإمام الباقر(عليه السلام) :

((أكرم آية في كتاب الله : بسم الله الرحمن الرحيم))[٢].

❖ جاء في التهذيب للشيخ الطوسي عن عبد الله بن يحيى الكاهلي ، عن الصادق عن أبيه(عليه السلام) قال: ((بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها))[٣].

جزئية البسملة في أقوال الفقهاء:

أقوال أئمة المذاهب الأربعة كما ذكرها القرطبي : قال:

اختلفوا في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في افتتاح القراءة في الصلاة:

١. منعها مالك في الصلاة المكتوبة جهراً كانت أو سراً لا في استفتاح أُم القرآن ولا في غيرها من السور ، وأجاز ذلك في النافلة.

٢. وقال أبو حنيفة والثوري وأحمد: يقرؤها مع أُم القرآن في كل ركعة سراً.

٣. وقال الشافعي: يقرؤها ولابدّ في الجهر جهراً وفي السر سراً ، وهي عنده آية من فاتحة الكتاب ، وبكون البسملة آية من فاتحة الكتاب ، قال أحمد وأبو ثور وعبيد.

---

١) بحار الأنوار ، ج٨٩.
٢) تفسير العياشي ، ج١.
٣) التهذيب ، ج٢.

واختلف قول الشافعي هل هي آية من كل سورة أم إنما هي آية من سورة النمل فقط ومن فاتحة الكتاب ؟ وروي عنه القولان جميعاً.

وسبب هذا الاختلاف من شيئين :

❖ أحدهما: اختلاف الآثار في هذا الباب.

❖ والثاني: اختلاف هل ((بسم الله الرحمن الرحيم)) آية من فاتحة الكتاب أم لا ؟[1].

- قال الشيخ الطوسي:
بسم الله الرحمن الرحيم آية من كل سورة من جميع القرآن ، وهي آية من أول سورة الحمد.
- وقال الشافعي: إنها آية من أول الحمد بلا خلاف بينهم ، وفي كونها آية من كل سورة قولان :

أحدهما: إنها آية من أول كلّ سورة.

الثاني: إنها بعض آية من كل سورة وإنما تتم مع ما بعدها فتصير آية.

- وقال أحمد وإسحاق وأبو ثور وأبو عبيدة وعطاء والزهري وعبد الله بن المبارك: إنها آية من أول كل سورة حتى أنه قال: من ترك بسم الله الرحمن الرحيم ترك مائة وثلاث عشرة آية.
- وقال أبو حنيفة ومالك والاوزاعي وداود: ليست آية من فاتحة الكتاب ولا من سائر السور.

---

١) بداية المجتهد ، ج١.

- وقال مالك والاوزاعي وداود: يكره أن يقرأها في الصلاة بل يكبّر ، ويبتدي بالحمد إلا في شهر رمضان ، والمستحب أن يأتي بها بين كل سورتين تبركاً للفصل ، ولا يأتي بها في أول الفاتحة[١].

وخلاصة الأقوال: إن مالكاً لا يرى البسملة جزءاً من السور مطلقاً ، وأما الحنفية والحنابلة فيرونها جزءاً من فاتحة الكتاب لكن يقرؤنها سراً وأما الشافعية فيرونها جزءاً من فاتحة الكتاب ، ويقرؤنها في الجهر جهراً وفي السر سراً ، وأما كونها جزءاً من سائر السور فذكروا لها قولان كما مرّ.

وأما الشيعة الإمامية أصحاب مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فليس عندهم إلا قول واحد ، وهو أن البسملة جزء من كل سورة ، ويجهر بها في الصلوات الجهرية وجوباً وفي الصلوات السرية استحباباً.

وأبعد الأقوال إليهم قول مالك أن البسملة عنده ليست آية من القرآن إلا في سورة النمل فإنها جزء من آية ويكره قراءتها بصلاة فرض للإمام ، وغير قبل الفاتحة أو سورة بعدها.

وأين هذه الأقوال من كلام الإمام الصادق (عليه السلام):

حيث قال منددّاً لمن يترك البسملة في الصلاة ويرى الجهر بها بدعة ، فقال:

((ما لهم عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله عز وجل فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها ، وهي بسم الله الرحمن الرحيم))[٢].

وما يدل على أن البسملة جزء من الفاتحة نذكر الروايات التالية:

---

١) الخلاف ، ج١.

٢) تفسير العياشي. ، ج١.

الأول: ما رواه الشافعي بإسناده أنّ معاوية (لعن) قدم المدينة فصلى بها ، ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، ولم يكبّر عند الخفض إلى الركوع والسجود ، فلما سلّم ناداه المهاجرون والأنصار: يا معاوية ، سرقتَ من الصلاة ، أين بسم الله الرحمن الرحيم ؟! وأين التكبير عند الركوع والسجود؟!: ثم إنّه أعاد الصلاة مع التسمية والتكبير.

قال الشافعي: إن معاوية كان سلطاناً عظيم القوة ، شديد الشوكة ، فلو لا أنّ الجهر بالتسمية كان كالأمر المتقرر عن كل الصحابة من المهاجرين والأنصار ، وإلا لما قدروا على إظهار الإنكار عليه بسبب ترك التسمية[١].

ونحن نقول: ولو لا أن التسمية جزء من الفاتحة لما اعترض المهاجرون والأنصار على تركها مضافاً إلى ترك الجهر بها. وهذا الأثر كما يدل على جزئية التسمية ، يدلّ على لزوم الجهر بها ، ويستدل به في كلا الموردين.

الثاني: روى الشافعي عن مسلم ، عن ابن جريح ، عن ابن أبي مليكة ، عن أُمّ سلمة أنها قالت: قرأ رسول الله (ﷺ) فاتحة الكتاب فعدّ بسم الله الرحمن الرحيم آية ، والحمد لله رب العالمين آية ، الرحمن الرحيم آية ، مالك يوم الدين آية ، إياك نعبد وإياك نستعين آية ، إهدنا الصراط المستقيم آية ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية ، وهذا نص صريح على الجزئية[٢].

الثالث: أخرج الحاكم عن أُم سلمة أن رسول الله(ﷺ) قرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم فعدها آية ، الحمد لله رب العالمين آيتين ، الرحمن الرحيم ثلاث

---

١) الفخر الرازي ، جاء به بتمامه في تفسيره الكبير ، ج١.

٢) المستدرك ، ج١.

آيات ، مالك يوم الدين أربع آيات ، وقال: هكذا إياك نعبد وإياك نستعين ، وجمع خمس أصابعه[١].

الرابع: أخرج الحاكم عن أم سلمة ، قالت: كان النبي (ﷺ) يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين يقطعها حرفاً حرفاً.

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقره على صحته الذهبي في تلخيصه[٢].

الخامس: أخرج الحاكم عن نعيم المجمر ، قال: كنت وراء أبي هريرة ، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ أم القرآن حتى بلغ ولا الضالين ، قال: آمين. وقال الناس: آمين ، ويقول كلما سجد: الله أكبر ، ويقول إذا سلّم: والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله(ﷺ).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقرره الذهبي في تلخيصه.

السادس: أخرج الحاكم عن قتادة قال: سُئل أنس بن مالك كيف كانت قراءة رسول الله(ﷺ) ؟ قال: كانت مدّاً ، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ويمد الرحيم.

السابع: أخرج الحاكم عن ابن جريح ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ ﴿الحجر:٨٧﴾ قال: فاتحة الكتاب ((بسم الله الرحمن الرحيم.الحمد لله رب العالمين)) ، وقرأ السورة. وقال ابن جريح: فقلت لأبي لقد أخبرك سعيد عن ابن عباس أنه قال: بسم الله الرحمن الرحيم ، آية ، قال: نعم.

---

١) المستدرك ، ج١ .

٢) المستدرك ، ج١ .

الثامن: أخرج الثعلبي بإسناده إلى أبي هريرة قال: كنت مع النبي(ﷺ) في المسجد إذ دخل رجل يصلي ، فافتتح الصلاة ، وتعوذ ثم قال: ((الحمد لله رب العالمين)) فسمع النبي(ﷺ) فقال: ((يا رجل قطعت على نفسك الصلاة ، أما علمت أن ((بسم الله الرحمن الرحيم)) من الحمد ؟ فمن تركها فقد ترك آية ، ومن ترك آية فقد أفسد عليه صلاته[١].

التاسع: أخرج الثعلبي عن علي أنه كان إذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ ((بسم الله الرحمن الرحيم)) وكان يقول: من ترك قراءتها فقد نقص وكان يقول: هي تمام السبع المثاني[٢].

العاشر: أخرج الثعالبي عن طلحة بن عبيد الله قال: قال رسول الله(ﷺ) من ترك ((بسم الله الرحمن الرحيم)) فقد ترك آية من كتاب الله ، وقد نزل عليَ فيما عُدّ من أم الكتاب ((بسم الله الرحمن الرحيم))[٣].

الحادي عشر: أخرج الدار قطني والبيهقي في السنن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله(ﷺ) إذا قرأتم ((الحمد)) فاقرأوا ((بسم الله الرحمن الرحيم)) إنها أُم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني ، و ((بسم الله الرحمن الرحيم)) إحدى آياتها[٤].

---

١) الدر المنثور ، ج١.
٢) كنز العمال ، ج٢.
٣) كنز العمال ، ج١.
٤) الدر المنثور ، ج١. السنن الكبرى ، ج١.

الثاني عشر: أخرج الطبراني في المعجم الأوسط والدار قطني والبيهقي عن نافع ، أن ابن عمر إذا افتتح الصلاة يقرأ بـ ((بسم الله الرحمن الرحيم)) في أُم القرآن وفي السور التي تليها ، وينكر أنه سمع ذلك من رسول الله[١].

الثالث عشر: أخرج أبو داود والترمذي والدار قطني والبيهقي عن ابن عباس قال: كان النبي(صلى الله عليه وآله) يفتتح صلاته بـ ((بسم الله الرحمن الرحيم)).

الرابع عشر: أخرج الدار قطني والبيهقي عن أبي هريرة ((أن النبي(صلى الله عليه وآله) كان إذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح بـ ((بسم الله الرحمن الرحيم)) قال أبو هريرة: هي آية من كتاب الله ، اقرأوا إن شئتم فاتحة القرآن فإنها الآية السابقة[٢].

الخامس عشر: أخرج البيهقي في شعب الإيمان[٣] عن ابن عمر أنه كان يقرأ في الصلاة ((بسم الله الرحمن الرحيم)) فإذا ختم سورة يقول ما كتبت في المصحف إلا لتقرأ.

مع كل هذه الروايات أصروا على حذفها وعدم قرائتها في الصلاة أليس هذا حذف آية من آيات كتاب الله وهناك أمور أخشى أني أطلت عليك وإلا ذكرتها ولكن عليك بكتب التفسير حول تسميتها بالسبع المثاني وأنها سبع آيات مع البسملة وكذلك روايات أهل البيت(عليهم السلام).

❖ عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله(عليه السلام) عن السبع المثاني والقرآن العظيم أهي فاتحة الكتاب ؟ قال: نعم ، قلت: بسم الله الرحمن الرحيم من السبع؟ قال: نعم ، هي أفضلهن[١].

---

١) مجمع الزوائد ، ج٢. المعجم الأوسط ، ج١.
٢) سنن الدار قطني ، ج١.
٣) شعب الإيمان ، ج٢.

ويؤيد ذلك أن المأثور المشهور عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قوله:

((كل أمر ذي بال لا يبدأ ببسم الله أقطع ، وكل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر أو أجذم)) [٢].

فلا يمكن أن يكون القرآن العظيم الذي تحدى الله به البشر فعجزوا عنه أقطع فتعالى الله وتعالى قرآنه عن ذلك.

وكذلك موضوع الجهر بالبسملة أدع لك البحث فيه وأكتفي بهذا القدر لأن موضوع الكتاب لا يتسع لأكثر من هذا.

ما هو الطعام في قوله تعالى

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ ﴿المائدة:٥﴾

قد يطرح سؤال لماذا كان حكم اللحوم المذكاة من قبل أهل الكتاب هو الحرمة مع أن الله تعالى يقول:

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ ﴿المائدة:٥﴾.

إن المراد من الطعام في هذه الآية المباركة هو الحبوب وشبهه كما جاءت به الروايات الواردة عن أهل البيت(عليهم السلام) والتي جاءت لتفسير معنى الآية المباركة.

ولقد جاء في معتبرة قتيبة الأعشى قال: سأل رجل أبا عبد الله(عليه السلام) وأنا عنده فقال له: الغنم يرسل فيها اليهودي والنصراني فتعرض فيها العارضة فيُذبح أنأكل

---

١) التهذيب ، ج٢.

٢) التهذيب ، ج٢.

ذبيحته؟ فقال(عليه السلام) لا تُدخل ثمنها مالك ولا تأكلها ، فإنّما هو الأسم ولا يُؤمَن عليه إلا مُسلم فقال له الرجل: قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ ﴿المائدة:٥﴾ فقال أبو عبد الله(عليه السلام): ((كان أبي يقول: إنما هي الحبوب وأشباهها))[١].

أما معنى قوله(عليه السلام): (فإنما هو الأسم ولا يؤمن عليه إلا مسلم) هو إن الذبيحة يعتبر في تذكيتها ذكرُ اسم الله بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ﴿الأنعام:١٢١﴾ ولا يؤمن على ذكر اسم الله تعالى إلا مُسلِم.

وان الرواية صريحة بأن المراد من الطعام في الآية المباركة إنما هو الحبوب وأمثاله ، فلا يكون شاملاً للحوم التي يذكيها أهل الكتاب. أو تؤخذ من أيديهم دون العلم بكيفية تذكيتها.

وجاء أيضاً بسند معتبر عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله(عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ ﴿المائدة:٥﴾ فقال(عليه السلام): العدس والحمص وغير ذلك[٢].

وكذا ما روي عن أبي الجارود قال سألتُ أبا جعفر الباقر(عليه السلام) عن قول الله عز وجل: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ ﴿المائدة:٥﴾ قال(عليه السلام) الحبوب والبقول[٣].

وهناك روايات عديدة بنفس المضمون ، ولذا لا يمكن الاستدلال بالآية على جواز الأكل من ذبائح أهل الكتاب بعد الذي أفاده أهل البيت(عليهم السلام) من أن المراد

---

١) وسائل الشيعة ، ج٢٤ من أبواب الذبائح ، باب ٢٦.
٢) وسائل الشيعة ، ج٤ ، أبواب الذبائح ، باب ٥١.
٣) وسائل الشيعة ، ج٤ ، أبواب الذبائح ، باب ٥١.

من الطعام في الآية لم يكن شاملاً للذبائح وإنما هو مختص بالحبوب ، وهم أعلم الناس بمعاني آيات الله سبحانه وتعالى.

هذا ما تضمنته الروايات أما ما أفاده أهل اللغة لقد ذكر الخليل الفراهيدي ((إن الغالب في كلام العرب إنّ الطعام هو البُرُّ خاصه))[١].

وفي تاج العروس: إن الطعام الذي أطلقه أهل الحجاز عنوا به البُرُّ خاصة وبه فُسِّر حديث أبي سعيد في صدقة الفطر صاعاً من طعام أي صاعاً من بُر[٢].

وكذلك أورده صاحب معجم مقاييس اللغة وأيضاً في لسان العرب.

وإن ظاهر كلامهم أن لفظ الطعام إذا لم يكن مضافاً إلى شيء ولم يكتنف بقرينة لفظية أو مقامية فإن مرادهم من الطعام هو البُرُّ خاصة.

لو سلمنا أن لفظ الطعام بحسب الوضع يشمل اللحوم وهذا لا يقتضي إرادته كلما استعمل لفظ الطعام ، واللفظ العام قد يستعمل ويراد منه الخاص ، غاية الأمر أن استظهار إرادة الخاص إلا مع قيام الدليل المعتبر فإذا قام الدليل على إرادة الخاص من لفظ الطعام فهنا يتعين اعتماده ، وعندنا دليل قطعي بعصمة أهل البيت(عليهم السلام) خصوصاً فيما يُبينونه من مراد آية الكتاب ، وكذلك قطعية حجية ما يثبت صدوره عنهم وبالدليل المعتبر ، وقد اتضح أن ما فسروا به الطعام في الآية المباركة هو الحبوب وأشباهها ، منها لا يصح لإثبات حُلية ذبائح أهل الكتاب.

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ ﴿النساء:٤٣﴾

لقد رُويَ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) إنه قال ما مضمونه:

---

١) كتاب العين ، للفراهيدي.

٢) تاج العروس ، للزبيدي ، ج١٧.

((لأنك لو صليت في حالة النعاس قد تدعو في الصلاة على نفسك وأنت لا تدري)).

فما صحة كلامه هذا ؟.

لقد فُسِّر السكر بمعنى النعاس ، ولا يحسن بالمؤمن أن يصلي وهو نعسان. ووردت روايات عديدة تفسر السكر في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ ﴿النساء:٤٣﴾ بالنعاس.

حيث روى الكليني بسنده عن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبد الله(عليه السلام) عن قول لله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ فقال(عليه السلام): سكر النوم[1].

وكذا في المستدرك عن الحلبي عن أبي الحسن(عليه السلام) قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ قال: يعني سكر النوم ، يقول:

(وبكم نعاس يمنعكم أن تعلموا ما تقولون في ركوعكم وسجودكم وتكبيركم ، وليس كما يصف كثيرٌ من الناس يزعمون أنّ المؤمنين يسكرون من الشراب والمؤمن لا يشرب مسكراً ولا يسكر)[2].

وفي تفسير العياشي روى عن زرارة عن أبي جعفر(عليه السلام) قال: ((لا تقم إلى الصلاة متكاسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً فإنها من خِلل النفاق ، فإنّ الله نهى المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة وهم سكارى يعني من النوم))[3].

---

١) الكافي ، للكليني ، ج٣. وسائل الشيعة ، ج٧.

٢) مستدرك الوسائل ، ج٥.

٣) تفسير العياشي ، ج١.

وما رواه الشيخ الصدوق في الخصال بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين(عليه السلام): ((إذا غلبتك عينك وأنت في الصلاة فاقطع الصلاة ونم فإنك لا تدري تدعو لك أو على نفسك لعلك تدعو على نفسك))[1].

هذا قدمته للدخول في موضوع تحريم الخمر.

حرمة الخمر

إن الآيات التي وردت في الخمر مع الاختلاف في زمن نزولها أكدت على تحريم الخمر فإنها تتفاوت من حيث التشديد على الحرمة فبعضها أكد في بيان الحرمة من البعض الآخر إلا أن جميع الآيات تشترك بإفادة الحرمة ، فإن الخمر كان حراماً من أول الأمر ، وعندما كان تعاطي الخمر قد أخذ مأخذه في الأوساط الاجتماعية عندها اقتضت الحكمة الإلهية أن يتم التدرج في معالجة هذه الظاهرة إذن التدرج في المعالجة ولا تدرج في الحرمة ، والجلد ثمانين جلدة لم يكن مقرراً كحد في بداية التشريع لحرمة الخمر وكذا اتلافه وحرمة المعاوضة عليه أيضاً لم يكن مقرراً في بداية تشريع الحرمة للخمر فكان الناس يتعاطونه ويعاوضون عليه دون أن يصدر أمر من النبي(صلى الله عليه وآله) بهذا الخصوص حتى نزلت الآية المباركة قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿المائدة:٩٠﴾.

حينها أمر النبي(صلى الله عليه وآله) بإراقة أواني الخمر ، وقال من شرب الخمر فاجلدوه كما أفادت بذلك رواية علي بن إبراهيم[2].

---

١) الخصال ، للصدوق. وسائل الشيعة ، ج١ ، باب نواقض الوضوء.

٢) تفسير القمي ، ج١.

فالتدرج لم يكن في أصل التحريم وإنما في مستوى التأكيد على التحريم وفي ترتيب الآثار على التحريم. فالتدرج كان في مراتب الحرمة ، وان أول آية نزلت في شأن الخمر بنحو التنصيص هي قوله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا...﴾ ﴿البقرة:٢١٩﴾ نزلت في بداية الهجرة[١] وهي ذات ظهور تام في الحرمة حيث أكدت إنه إثم كبير وهو تعبير عن الحرمة ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾ ﴿الأعراف:٣٣﴾.

ثم جاءت الآية في سورة المائدة والتي هي آخر سورة نزلت على النبي(ﷺ) حيث دلالتها على التحريم ذات وضوح وتشديد واشتملت على التأكيد المستفاد من (إنما) ووصف الخمر بالرجس وإنه من عمل الشيطان وان تعاطيه في إطار الإرادة الشيطانية التي تنتج إضلال من انساق إليها كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿الحج:٤﴾ والنتيجة بعد اتضاح تمامية دلالة الآية في سورة البقرة على التحريم والتفاوت في مستوى التأكيد والتشديد بين الآية في سورة البقرة وبين ما ورد في سورة المائدة علماً أن الفاصلة الزمنية بينهما طويلة تبين أن التحريم ثابتاً من أول الأمر وان التدرج كان في مستوى التأكيد وترتيب الآثار ، وهذا فيه رعاية للواقع الذي كان عليه المسلمون لأنه لا يسع الإنسان أن يترك ما اعتاد عليه إلا بمشقة وأنهم اعتادوا وأدمنوا عليه فالذي كان يشرب الخمر مذنباً حسب آية سورة البقرة لكن ذنبه أشد لو شربها بعد نزول سورة المائدة ، فالثانية كانت أشد وأغلظ من الأولى[٢].

---

١) الكافي ، للكليني ، ج٦.

٢) الكافي ، للكليني ، ج٦.

كيف يمكن أن نوفق بين عدم الإكراه في الدين وآيات القتال:

فما معنى قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ﴿البقرة:٢٥٦﴾ ؟.

للإجابة على هذا السؤال لابد أن نعرف ما المراد من الدين؟ المراد منه هو الإيمان والاعتقاد بكل الأصول التي بها بُني عليها وهي التوحيد والنبوة والمعاد وهذا الاعتقاد من الاعتقادات القلبية التي لا يسع أي أحد مهما بلغ من القوة أن يكره الآخرين عليها.

والذي يكون مورد إكراه وإجبار هي الأفعال التي بإمكان أهل القوة أن يقسروا الضعفاء على القيام بأفعال خارجة عن إرادتهم فهذا ممكن إما انهم يستطيعوا أن يجبرونهم على أن يؤمنوا بما يعتقدون فهذا غير ممكن حتى مع ممارسة أقصى مراتب القهر ، وذلك لأن الاعتقادات قلبية ولها من الأسباب التي ترتبط بالإدراك لبعض المقدمات بغض النظر عن صحتها وخطئها ، وإذا لم تترتب هذه المقدمات ويتم إدراكها وفهمها فمن المستحيل أن تذعن النفس لتلك الاعتقادات.

فالآية تريد إيضاح وبيان حقيقة تكوينية أنه لا يتم الإكراه على الإيمان والاعتقاد بالمعارف الإلهية بالقسر والإكراه وهي تأكيد على هذه الاستحالة لأنها تعبر عن حكم إلهي وإذا كانت الآية بصدد الإنشاء مفادها الأمر عن عدم حمل الناس على الإيمان بواسطة الإكراه ، وذلك لبداهة أن الدين غني عن الإكراه لأن الإيمان ثابت فطري والعقل وسعة إدراكه هو الذي يجعل الإنسان يركن إلى الإيمان فالإلزام بالإكراه منتفٍ ، وبالفطرة وإدراك العقل يتبين الرشد من الغي.

والإسلام اعتمد الدعوة إلى الله من خلالهما لذا تجد الذين دخلوا الإسلام التزموا أحكامه وفرائضه في خلواتهم وتكبّدوا أشد العذاب في سبيل الثبات عليه وبذلوا ما يملكون ودمائهم في سبيل حمايته ، وكانوا يروضون أبناءهم على الصبر

والالتزام بتعاليم الدين وهذا لا يتم إلا عن شعورهم بانسجامه مع فطرتهم وعقولهم.

وكانت تدعوا آيات الجهاد والقتال إلى مواجهة أئمة الكفر والضلال الذين كان سعيهم الحيلولة دون وصول كلمة التوحيد إلى مسامع وقلوب المستضعفين من الناس ، إذاً الجهاد استهدف الطغاة والجبابرة لابتعادهم عن طريق الإيمان ، لذا التأريخ لم يسجل لنا ولا موقف واحد أن المسلمين أجبروا الناس بعد هزيمة ملوكهم على الدخول في الإسلام وان كثيراً منهم دخلوا الإسلام طواعية وبقي كثير منهم على دينهم محتفظين بحقهم التام في ممارسة طقوسهم الدينية كما التزمت كافة الدول الإسلامية بحماية هؤلاء وأموالهم وأعراضهم باعتبارهم رعايا في الدول الإسلامية. وأما الجزية وأخذها فهو كأخذ الزكاة والخمس من المسلمين ، وهذا من أجل أن تستعين به الدولة لتدبير شؤون البلاد وهذا لا يختص بالدول الإسلامية بل ما من دولة إلا وتفرض ضرائب على رعاياها مع اختلاف دياناتهم ومسمياتهم.

ولا يخفى أن الحروب التي خاضها المسلمون في صدر الإسلام هي دفاعية ، وأما الهجومية منها فكانت استباقية لإدراكهم بحجم العداوة التي يضمرها أعداء الإسلام الذين لم يدخروا جهداً من أجل الكيد على الإسلام ، من أجل هدم ما بناه رسول الإنسانية محمد(ﷺ) ولو كان قبول الإسلام بالإكراه والسيف كما يروج له البعض هذا بحد ذاته كافٍ لانحساره وضموره عند دخول الوهن والضعف على الدول الإسلامية ، والتاريخ يشهد أنه تم إسقاط الدولة الإسلامية وهيمن عليها أعداء الإسلام ورغم كل هذا فالإسلام ملاذ لملايين الناس بل إنه يزداد امتداداً وتجذراً مع تقادم الزمن.

الزواج المؤقت أو متعة النساء

من المسلمات هناك في وجود الإنسان وفي تكوينه جملة من الغرائز وقد تكون هذه الغرائز منبع للعلاقات الراسخة وفي زمن خاص ، ومن جملة هذه الغرائز ، الغريزة الجنسية والتي لا يوجد لها مثيل في سائر علاقات الإنسان الأخرى ، وتحت كنف هذه الغريزة تتربى وتنمو مشاعر الحب والعطف والحنان وبهذه المشاعر تكون المسؤولية الكبرى في إرساء دعائم الأسرة التي هي النواة الأولى لبناء المجتمع الإنساني الكبير.

ومن الحاجات الملحة للإنسان تلبية الغريزة الجنسية والتي هي من ضروريات الحياة وهذا ما لا يختلف فيه اثنان ، كونها حاجة لا تكون أقل من حاجته إلى الطعام والشراب.

وقد ختمت الشرائع بالإسلام ونبيها خاتم الأنبياء ، والقرآن خاتم الكتب. وهذا الكتاب تناول هذا الجانب من الغريزة في شخصية الإنسان وقيده بسنن وقوانين تتلائم مع سائر الغرائز الكامنة في وجوده.

وأشارت الشريعة المقدسة ودعت إلى تلبية هذه الغريزة بأن وضعت له سنة النكاح ، فهي ترجمة للسنة الإلهية والإعراض عنها إعراض عن الشريعة كما جاء في حديث رسول الله(ﷺ): ((النكاح سنتي فمن أعرض عن سنتي فليس مني))[1].

وهذا يثبت أن للزواج قدسية في الإسلام وأنه أرفع من أن يكون تبادل بين الإنسان والمال كما وصفه البعض الذي تأثر بالغرب. وكم حرص الإنسان على الزهد والعزوف عن ملاذ الدنيا فإنه يبقى يشعر بفراغ كبير لا يملئه شيء سوى الزواج.

---

١) جامع أحاديث الشيعة ، ج٢٥.

ومن هنا كان التشريع في الإسلام حيث وضع له قوانين غاية في الإتقان والروعة في تنظيم الغريزة الجنسية وسوقها في اتجاه يكفل إشباع غريزة الإنسان بأسلوب ينسجم مع سائر الميول والغرائز بما يحفظ للإنسان كرامته وشرفه ، قال الله تعالى:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿النور:٣٢﴾.

وهيأ في غير واحدة من الآيات أن تلبى هذه الحاجة بطرق ثلاث:

❖ نكاح دائم. ❖ نكاح مؤقت. ❖ ملك اليمين.

فالإسلام عالج هذه الغريزة بالزواج الدائم وقد تطرأ على الإنسان ظروف لا يتمكن من سلوك هذا الطريق العام ، فهنا لابد لدستور الشريعة أن يتضمن قانوناً يعالج مثل هذه الطوارئ ، كون الزواج الدائم من تسميته لا يُقطّع الحياة إلى مقاطع بل هو تلبية للحاجة الجنسية التي استحكمت من الغرائز ، لذا دعى للزواج المؤقت كدعوته للزواج الدائم ، فهو علاج لمرحلة معينة بها يقطع دابر الفساد.

وهناك ظروف تمر بالإنسان لا يستطيع من الزواج الدائم فأمامه أمور:

❖إما الكبت ❖ أو التردد على بيوت الدعارة والفساد. ❖ وأما النكاح المؤقت المشروط بقانون الإسلام.

فالكبت قد يكون مستحيلاً أن يصون أحد به نفسه إلا من عصمه الله ولا يكون إلا للأمثل فالأمثل من الناس وهذا لا يكون من عامة الناس.

وأما التردد على بيوت الدعارة فيه هدم لكرامة الإنسان ، إلى جانب شيوع الفساد إضافة إلى الأمراض التي اكتشفت مؤخراً مثل الايدز وكذلك تداخل الأنساب.

فلم يبقى إلا أروع السنن الإسلامية التي أراد الإسلام بها صيانة كرامة الإنسان. والتي دافع عنها الرسول(ﷺ) ووقف ثابتاً أمير المؤمنين عي بن أبي طالب(عليه السلام) ، حيث لا زالت كلمته تحذر المجتمع من تفاقم الأمراض عند إهمال العلاج ، وكلمته تقرع آذاننا حيث قال: ((لو لا نهي عمر عن المتعة لما زنى إلا شقي أو شقية)).

وهناك بون واسع بين البلوغ الجنسي وبين النضج الاجتماعي لحين تمكنه من تأسيس عائلة فهل يمكن تحمل قيود التقشف القاسية لحين التمكن من عقد زواج دائم ، ولو كان هناك من يتحمل فالطبيعة بمقدورها ذلك عند الامتناع عن الزواج وهذا سيكلف الإنسان عقوبات تصيب الإنسان ، منها الوضع النفسي الخطير عند عدم ممارسة النشاطات الجنسية الغريزية وهذا ما بحثه علماء النفس ، وبالتالي يكون هناك خيارين خصوصاً أمام الشبان:

١. أما اتباع الإباحة الجنسية للغرب المنحط. ٢.إقرار بشرعية الزواج المؤقت.

ومع كل الدعوات المنحطة إلا أن هناك الكثير من مفكري الغرب ضموا أصواتهم إلى صوت الإسلام في تشريعه للزواج المؤقت. وهذا يبين عظمت التشريع الإسلامي وان الحاقدين والمنحرفين عن سنة سيد المرسلين(ﷺ) جحدوا حق هذا التشريع وهناك كثير منهم ما عرفوه وجهلوه.

والمذاهب الفقهية اتفقت على أن متعة النساء أحلها رسول الله(ﷺ) بوحي من الله سبحانه وتعالى في زمن واختلفوا في استمرار حليتها وكونها منسوخة أو لا ؟.

فالشيعة الإمامية أتباع مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) وجملة من الصحابة والتابعين يقولون ببقاء الحُلية واستمرارها خلافاً لبقية المذاهب حيث ذهبوا إلى التحريم.

وما كان ذلك إلا لأنها من المسائل الشائكة على اعتبار أنها مكتنفة بالغموض والإبهام ، وهذا لا يعني أن المسألة تفقد دليلها الشرعي في الذكر الحكيم وسنة سيد

المرسلين الدالة على حليتها بعد رحيل رسول الإنسانية محمد(ﷺ) وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكيفما كان فإن الغموض يتأتى عندما لم تناقش موضوعياً لأن من يكتب منساق وراء حيثيات تحيطه فلا يكون منصفاً في خوضه فيها.

ومع حُلية المتعة إلا أنها لم تكن متفشية في القائلين بحليتها بل تمارس في نطاق ضيق وفي ظروف معينة. لأن فيه ضوابط لا يمكن تجاوزها.

فالزواج المؤقت هو تزويج المرأة الحرة نفسها إذا لم توجد هناك موانع بينها وبين الزوج سواء من النسب أو السبب أو الرضاع أو الإحصان أو عدة وغير ذلك من الموانع الشرعية ، ويتم بمهر مسمى إلى أجل مسمى بالرضا والاتفاق ، فإذا انتهى الأجل تَبِين من غير طلاق وعليها أن تعتد عدة الطلاق إذا كانت ممن تحيض ولم تكن يائسة وإلا فخمسة وأربعين يوماً.

فالزواج المؤقت كالزواج الدائم لا يتم إلا بعقد صحيح دلّ على قصد الزواج ، وكل مقاربة تحصل بين رجل وامرأة من دون عقد لا تكون متعة حتى مع التراضي والرغبة ، ومتى تم العقد كان لازماً يجب الوفاء به.

إن لنكاح المتعة أحكاماً مشتركة بينها وبين النكاح الدائم ، وللنكاح المنقطع أربعة أركان:

١. الصيغة: أي الإيجاب والقبول ويتحقق الإيجاب بأحد الألفاظ: زوجتك ، متعتك ، أنكحتك ، وفي القبول يكفي اللفظ الدال على الرضا بذلك الإيجاب ، كقوله: قبلت النكاح أو المتعة.

٢. المحل: أي الزوج والزوجة ويشترط فيهما ما يشترط في النكاح الدائم إلا ما استثني ، فيشترط أن تكون الزوجة مسلمة ويجوز أن تكون كتابية على القول

الأشهر. والمسلمة لا تتمتع إلا بالمسلم خاصة ، ولا يدخل على الزوجة المنقطعة بنت أختها ولا بنت أخيها إلا بإذنها ، ولو فعل توقف على إذنها ، فإن ردت ، بطل العقد.

٣. المهر: في عقد المتعة ركن ، يبطل العقد عند عدم ذكر المهر ويشترط أن يكون مملوكاً ، معلوماً إما بالكيل أو الوزن أو المشاهدة والوصف ، ولو وهب الزوج المدة لها قبل الدخول لزمه النصف ، ولو دخل استقر المهر كله.

٤. الأجل: أيضاً ركن في عقد المتعة ، ولو ترك الأجل ففيه قولان: بطل ، وقيل ينقلب العقد دائماً وأن يكون الأجل معيناً محروساً من الزيادة والنقصان.

جواز العزل من التمتع بها ولا يقف على إذنها خلافاً للدائمة فلا يجوز العزل إلا بإذنها.

وتَبِين المتمتع بها بانقضاء الأجل ولا يكون طلاق ولا يتوارثان مع الشرط في العقد. وزواج المتعة كالزواج الدائم فيما يحرم بالمصاهرة ، إذا عقد على امرأة تمتعاً حرمت عليه أمها مطلقاً وبنتها مع الدخول ، كذلك سائر المحرمات المذكورة في التحريم كالمصاهرة.

في حال الدخول بها والأجل قد انقضى ، إذا كانت من ذوات الحيض ، كان واجباً عليها الاعتداد بحيضتين ، وإذا لم تكن من ذوات الإقراء وهي في سنهن اعتدت بخمسة وأربعين يوماً ، وإذا لم يدخل بها فلا عدة عليها.

أما إذا مات الزوج في الأجل اعتدت عدة المتوفى عنها زوجها وهي أربعة أشهر وعشرة أيام سواء دخل بها أو لا إن كانت حائلاً ، وقيل شهران وخمسة أيام ، وإذا

كانت حاملاً اعتدت بأبعد الأجلين ولو كانت أمة اعتدت حائلاً بشهرين وخمسة أيام[1].

من هنا يتبين أن نكاح المتعة نكاح حقيقي وهو مثل الدائم في كل الأحكام إلا ما خرج بالدليل ، والفروق أهمها بين المنقطع والدائم:

١. الطلاق يكون في النكاح الدائم ، وفي المنقطع انقضاء الأجل.

٢. الإنفاق على الزوجة الدائمة ، دون المتمتع بها.

٣. في الزواج الدائم الزوجة ترث زوجها ، وفي المنقطع لا ترث.

٤. في طلاق الزوجة بالعقد الدائم تعتد بثلاث شهر أو بثلاث حيضات ، وفي المنقطع بحيضتين أو (٤٥) يوم.

مع وجود هذه الفروق فإنها تُعد زوجة لها ما لغيرها من الأحكام: قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ❖ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ ﴿المؤمنون:٥-٦﴾.

والمتزوجة متعة داخلة في قوله سبحانه: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ فهذا كله لا يسلب عنها أن لها من الأحكام ما للزوجة الدائمة وأيضاً لا يسلب عنها عنوان الزوجية.

هذا دليل على إن أمر المتعة في صدر الإسلام كان رائجاً غير إن الإسلام حد لها حدوداً وجعل لها شروط وان الشارع أمضاها وهناك من ادعى إنها منسوخة.

ثم إن اتفاق أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في نزول آية المتعة وهذا في رواياتهم مثل:

❖ عن أبي بصير قال سألت أبا جعفر عن المتعة فقال: نزلت في القرآن :

﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ ﴿النساء:٢٤﴾[١].

❖ عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال: سمعت أبا حنيفة يسأل أبا عبد الله عن المتعة ، فقال: ((عن أي المتعتين تسأل؟)) فقال: سألتك عن متعة الحج فأنبأني عن متعة النساء أحق هي ؟ فقال: ((سبحان الله أما تقرأ كتاب الله:

﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ ﴿النساء:٢٤﴾.

فقال أبو حنيفة: والله كأنها آية لم أقرأها قط))[٢].

إلى جانب تصريح الصحابة والتابعين بالحلية.

إلا أن مسلم في صحيحه أخرج عن أبي نضرة قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها قال: فذكرت ذلك لجابر بن عبد الله. فقال: على يدي دار الحديث تمتعنا مع رسول الله(ﷺ) فلما قام عمر ، قال: إن الله كان يُحل لرسوله ما شاء بما شاء وانّ القرآن قد نزل منازله ، فأتموا الحج والعمرة لله كما أمركم الله وأبتُوا نكاح هذه النساء فلئن أُوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته

والتمسك بالآية المباركة حرّم فصل العمرة عن الحج بالتحليل بينهما وبالتالي أنكر حج التمتع. وقوله ((أبتُوا نكاح هذه النساء)) أنكر نكاح المتعة.

وفي سنة رسول الله(ﷺ) ودلالة القرآن الكريم على حلّية المتعة واستمرارها إلى يومنا هذا . وأما عدم استمرارها وتحريمها فهو مستند إلى الخليفة عمر ، حيث

---

١) الكافي ، ج٥ ، أبواب المتعة.

٢) الكافي ، ج٥ ، أبواب المتعة.

٣) صحيح مسلم ، ج٤ ، باب المتعة بالحج والعمرة.

تضافرت الروايات إلى نسبتها إلى عمر وانه هو الذي حرمها وأوعد مرتكبيها بالرجم ، ونذكر لك طائفة مما ذكره أهل السير.

١. قال عمران بن حصين: نزلت آية المتعة في كتاب الله وأمرنا بها رسول الله(ﷺ) ، ثم لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج ولم ينه عنها رسول الله(ﷺ) حتى مات ، قال رجل برأيه بعدما شاء[١].

٢. أخرج مسلم عن أبي الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله(ﷺ) وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث أنه تمتع فثارت ثورته من العمل المذكور فقال ما قال[٢].

٣. ما تضافر من أن عمر بن الخطاب قال على المنبر: متعتان كانتا مشروعتين في عهد رسول الله(ﷺ) وأنا أنهى عنهما: متعة الحج ومتعة النكاح[٣].

فخطبة عمر من الخطب المتسالم عليها ومنها أيضاً قال عمر وهو على المنبر: أيها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول الله(ﷺ) وأنا أنهى عنهنّ وأحرمهنّ وأعاقب عليهن: متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحي على خير العمل[٤].

٤. أخرج المتقي الهندي في كنز العمال عن سليمان بن يسار عن أُم عبد الله ابنة أبي خثيمة أن رجلاً قدم من الشام فنزل عليها ، فقال: إن العزبة قد اشتدت عليّ فأبغيني امرأة أتمتع بها ، قالت فدللته على امرأة فشارطها وأشهدوا على ذلك عدولاً ، فمكث معها ما شاء الله أن يمكث.

---

١) صحيح مسلم ، ج٤ ، باب المتعة بالحج والعمرة.
٢) صحيح مسلم ، ج٤ .
٣) تفسير الفخر الرازي ، ج٥.
٤) الإنصاف في مسائل الخلاف ، للسبحاني.

ثم أنه خرج فأخبر عن ذلك عمر بن الخطاب فأرسل إليّ فسألني أحق ما حُدّثتُ؟ قلت: نعم. قال: فإذا قدم فأذنيني ، فلما قدم أخبرته فأرسل إليه ، فقال: ما حملك على الذي فعلته؟ قال: فعلته مع رسول الله(ﷺ) ثم لم ينهنا عنه حتى قبضه الله ، ثم مع أبي بكر فلم ينهنا عنه حتى قبضهُ الله ، ثم معك فلم تحدث لنا فيه نهياً ، فقال عمر: أما والذي نفسي بيده لو كنت تقدمت في نهي لرجمتك ، بينوا حتى يعرف النكاح من السفاح[1].

وهناك مناقشات تطول تناولنا ما يكفينا من البحث.

---

١) كنز العمال ، ج١٦.

الخلع والحفد

لقد كَثُرَ الذكر أنه في مصحف ابن عباس وقراءة أُبي بن كعب وأبي موسى الأشعري: ((بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ، ونستغفرك ونثني عليك الخير ، ولا نكفرك ، ونخلع ، ونترك من يفجرك)).

وكذلك فيه:

((اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ، ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد ، ونخشى عذابك ، ونرجو رحمتك ، إن عذابك بالكفار ملحق)).

يعرف النصان بسورتي الخلع والحفد. وإنهما في مصحف أُبي وابن مسعود[١] وقيل: إن زيد بن ثابت قد أثبتهما في القرآن[٢].

١. ولو تدبرنا النصين إن أسلوبه لا يشبه أسلوب القرآن وهو غير منسجم ناهيك عن كونه كلام قلق كما هو واضح من ظاهره.

٢. وهل قرآنية هذين النصين لم يعرفها قراء الأمة وعلمائها سوى أُبي بن كعب.

٣. كما بينا أن الرسول الأعظم(ﷺ) ينزل عليه القرآن من الله بواسطة الروح الأمين جبرئيل وكان جبرئيل ينزل عليه(ﷺ) بما ليس بقرآن ، مثل الأخبار بالمغيبات ، والأحاديث القدسية وجملة من الأحكام الشرعية ، وأحياناً تفسير لآيات وسور قرآنية.

---

١) الاتقان ، ج١ ، إنهما بسند صحيح . وفي الدر المنثور من المراسيل ، البيان للخوئي ، البرهان للزركشي.

٢) كما في محاضرات الأدباء ، ج٤.

٤. وقد أنكر الكثير ممن كتب في هذا الموضوع ، وهناك من أيد قرآنية سورتي الحفد والخلع ، وهذا قول صاحب الانتصار:

((إن كلام القنوت المروي: إن أُبي بن كعب أثبته في مصحفه ، لم تقم الحجة بأنه منزل ، بل هو ضرب من الدعاء ، وأنه لو كان قرآناً لنقل إلينا ، وحصل العلم بصحته)).

إلى أن قال: ((...ولم يصح عنه ، إنما روي عنه ، أنه أثبته في مصحفه)).

وقد أثبت في مصحفه ما ليس بقرآن ، من دعاء أو تأويل إلخ.

أضاف الزرقاني: وهذا الدعاء هو الذي أخذ به السادة الحنفية.

والبعض ذكر أن أُبياً كتبه في مصحفه وسماه سورة الحفد والخلع[١].

وذكر الباقلاني: ((يجوز أن يكتب على ظهر مصحفه دعاء القنوت ، لئلا ينساه ، كما يكتب الواحد منا بعض الأدعية على مصحفه))[٢].

٥. الذين ذكروا هذا النص في رواياتهم على أنه دعاء ، ولم تصرح على أنه قرآن[٣] وذكر أن قنوت علي(عليه السلام) كان به غير صحيح بل هو حديث موضوع.

ولو قلنا بأن علي(عليه السلام) كان يدعو به فإنه لا يعتقد قرآنيته ، إذا قد يكون قنت به على أنه دعاء ، ولا يمكن لعلي(عليه السلام) صاحب البلاغة والفصاحة يدعو بدعاء ليس فيه هذه السمة وهو لا يشبه أدعيته وأدعية الأئمة (عليهم السلام) لا من قريب ولا من بعيد.

---

١) مناهل العرفان ، ج١. البرهان للزركشي ، ج٢. أكذوبة تحريف القرآن. وعن نكت الانتصار.
٢) إعجاز القرآن ، للباقلاني.
٣) الدر المنثور ، ج٦. الإتقان ، ج١.

نعم راوي هذا القنوت صرح بقرآنيته. ثم أن هذه تروى للغافقي مع عبد الملك وأخرى له مع عبد العزيز بن مروان.

وان الغافقي تعلم هذا النص من علي(عليه السلام) لا يدل على اعتقاد علي(عليه السلام) بالقرآنية لهما غاية الأمر أن الغافقي قد اعتقد ذلك[١].

وهناك رواية عن عمر بن الخطاب صرحت بأن جبرئيل هو الذي علم النبي(صلى الله عليه وآله) هذا القنوت[٢] نزله عليه به وهو في الصلاة ، وكذلك رواية أنس ، صرحت أنهما أنزلتا من السماء وهذا من الباطل.

ومن الواضح أنه ليس كل ما نزل من السماء يكون قرآناً فلعله حديث قدسي ، والحديث القدسي أجل من أن يكون بهذا المستوى من الركاكة والسقوط والابتذال.

٦. لماذا لم يكتبها النبي في مصحفه فور نزولها ، كما كان يكتب غيرها فور نزوله ، ولكن متابعة الهوى يدعو الإنسان إلى أمور كثيرة وكبيرة وخطيرة مما يجعله يرى غير الحقيقة[٣] مصداق قوله تعالى:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ﴿الأعراف:١٧٩﴾.

فأصبح الجهل باهر الرايات ظاهر الآيات فأنكروا العلم وأهله ومن هنا عليك أن تعترف أنك تحتاج إلى أن ترجع إلى حفظة أسرار القرآن ومعانيه ، ونقصد أهاليه وحامليه ونسأل أهل الذكر عما فيه لقوله جلّ اسمه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿النحل:٤٣﴾ كما تقصد في سائر العلوم والصنائع إلى أهلها ، فقد قيل:

---

١) كنز العمال عن ابن شيبة ومحمد بن نضر.

٢) الدر المنثور ، ج٦. الإتقان ، ج١.

٣) حقائق هامة حول القرآن.

((استعينوا على كل صنعة بأهلها)) [١] فإذا رجعت إليهم فانظر في ما قالوه وتدبر فيما وصفوه لك من حقائق.

وإلى هنا اكتفي في بيان عدم قرآنية الخلع والحفد والله العالم.

بعد ما ذكرنا بأن القرآن معجزة باقية فلا يمكن أن يقال ذهب من القرآن كثير وأن الذي ضاع منه أكلته الداجن ، أو أن يقال كنا نقرأ على عهد رسول الله(ﷺ) آية الرجم والتي كانت توهم من القائل لأنه لم يميز بين الآية القرآنية والحديث القدسي، إلى أن كان الخوض في جزئية البسملة وما آل إليه الأمر من إسقاط (١١٣) آية من القرآن ، ثم إنهم اختلفوا في ما هو الطعام الذي حِلٌ والطعام الذي هو حرام الذي في يد أهل الكتاب ، إلى جانب إنهم لم يفسروا لنا السكر المنهي عنه من أن نقرب الصلاة ، ولم يميزوا بينه وبين سكرية الخمر الحرام ، واشتبهوا في الإكراه في الدين هل يكون بالسيف ، مع أن الدين أمر فطري لا يمكن أن يكون بالإكراه.

والأنكى من هذا إنهم نهوا عن متعة الحج ومتعة النساء وحذف حي على خير العمل ، وهذه من الأمور التي ثبتت بالقرآن والسنة الشريفة ، وفي آخر مطافهم ذكروا أن هناك سورتي الخلع والحفد المزعومة مع إنها ألفاظ دعاء فإلى هذا المستوى من السذاجة وصلوا من أجل أن يتمسكوا بباطلهم ، نرجو من الله العلي القدير أن يثبتنا على طريق الحق الذي سلكه أئمة الهدى تمسكاً بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل أبداً.

إعلم أعزك الله بذل العبودية وشرفك بالطاعة لله ورسوله(ﷺ) ، أنه ليس في القرآن نفسه ما يبين جميع القرآن ، فتفسير القرآن للقرآن قَدَر يسير ، والذي بقي من القرآن الذي لم يتناوله بيان القرآن بحاجة إلى بيان ، وذكرنا أنه لا تكفي اللغة والعقل

---

١) مفاتيح الغيب ، ملا صدرا.

إلى بيانه البتة ، فلا يمكن للّغة ولا للعقل تفصيل المجمل الذي جاء في فرض الصلاة ، فقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ﴿البقرة:٤٣﴾.

لا يمكن فهم المراد منه إلا بوحي سماوي عن طريق الرسول(ﷺ) ، فلا اللّغة والعقل يمكن له أن يأتي بشيء فضلاً عن أن يستقل به ، فلازم ذلك في بيانه الرجوع إلى الرسول(ﷺ) وإلى الهداة الميامين من آله سلام الله عليهم أجمعين ، والأقرب إلى ذلك أن الكتب المؤلفة على اختلاف لغاتها ، وعجز كثير من أبناء هذه اللّغات عن فهم كثير مما جاء فيها بلغتهم ، ومن المعلوم أن الفهم لا يتوقف على معرفة اللّغة وحدها ، بل لابد لمن يفتش عن المعاني ويبحث عنها أن تكون له موهبة عقلية خاصة تتناسب مع درجة الكتاب وقوة تأليفه ، ولا يخفى من أن العرب في المعرفة ليس سواء ، فما بالك بمعرفة جميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه بل إن بعضها يفضل في ذلك على بعض. فالقرآن لا تبينه إلا السنة النبوية الشريفة ولا يكفي في فهمه إدراك اللغة العربية وحدها. ولم يكن عجباً أن بعض أسرار الدين وأطوار الشرع المبين قد بلغ حد هو خارج عن طور العقل الفكري ، وهذا إنما يعرف بطور النبوة والولاية ، ونسبة طور العقل ونوره إلى طور الولاية ونورها ، هو كنسبة نور الحس إلى نور الفكر ، فليس لميزان الفكر كثير فائدة في هذا المضمار ، أي يجوز في طور الولاية ما يقضي باستحالته ، نعم يجوز أن يظهر في طور الولاية ما يقصر العقل عنه بمعنى أنه لا يدرك بمجرد العقل ، فمتى يصيب الرشاد من قنع أن يقفوا الأثر والخبر وينكر البحث والنظر ، وذلك أننا نعلم أن مُستند الشرع قول سيد الخلق أبي القاسم محمد(ﷺ).

وقد أكثر علماء الكلام والفلسفة في بيان ذلك حيث قالوا:

أعلى ضروب الكلام هو (الأمر الإبداعي) وهو عالم القضاء الحتمي: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ﴿الإسراء:٢٣﴾.

والأوسط هو (الأمر التكويني) وهو عالم القدر الزماني: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ﴿الرعد:٨﴾.

والأدنى هو (الأمر التشريعي): ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ ﴿الشورى:١٣﴾[١].

ولا يسعنا إلا أن نذعن للجهل الذي أدى إلى الخلاف والذي هو أمر يسير في مقابل المسائل المتفق عليها بين المذاهب الإسلامية.

رُويّ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام):

في حديث دار بينه وبين بعض اليهود بعد رحيل النبي(صلى الله عليه وآله) وظهور الاختلاف في أمر الخلافة فقال بعض اليهود: ما دفنتكم نبيّكم حتى اختلفتم فيه. فقال الإمام(عليه السلام):

((إنما اختلفنا عنه لا فيه ، ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم ، إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فقال إنكم قوم تجهلون))[٢].

فالجهل عندما يتمكن يخمد نور الفكر ونبقى في الظلام لا نهتدي لطريق الحق المبين وفعلاً تاهت علينا كل وصايا رسول(صلى الله عليه وآله) ، فبقينا في تيهنا يضرب بعضنا البعض بعدما عرفنا حرمة الدم عند قول لا إله إلا الله ، لأن البعض بغض سنة النبي(صلى الله عليه وآله) لا لشيء إلا لأنها المهيمنة على كل سلوك هذه الأمة وهذه لا تروقهم لأن وحدة الأمة تهدم المصالح الضيقة التي تمسكوا بها ، وشاكلنا اليهود في عبادتهم للعجل بل عبدنا هوى النفس الأمارة بالسوء ، والتي تبتعد عن الحركة الإصلاحية الآخذة إلى التقدم ، لأن دين الإسلام له ميزة التكامل نحو التقدم فخسرنا التقدم

---

١) مفاتيح الغيب ، صدر المتألهين ملا صدرا الشيرازي ، ج١ ، ص٣٢ .

٢) نهج البلاغة.

وتمسكنا بالتخلف الذي أردانا رداء الأحقاد البغيضة من أجل أن نوقف حركة التطور في فهم سنة سيد المرسلين(ﷺ) وعُدنا إلى تلك السجية المتوحشة التي طوى مراحلها الدين الإسلامي بعد ما قضى على الأعراف الجاهلية بالشكل التدريجي إلى أن نسخها نسخاً متتالياً ليكون الإسلام ناسخاً للديانات التي سبقته فكما هو ناسخاً لذلك كذلك جاءت تعاليمه قابلة للتحول والتجدد والاستمرار وبهذا أخذ بيد الأمة الجاهلة وانتشلها من حضيضها إلى المستوى العالي من الحضارة والرقي ، وهذه طفرة بحد ذاتها مستحيلة لو لا السير التدريجي وهذا النهج يلزم منه تحول الأحكام من السيء إلى الجيد والحسن إلى الأحسن منه وقد أطلقوا على هكذا نظام إصلاحي عنوان عريض اسمه النسخ ومن ثم تمادوا في تفسير النسخ لا أنه من الضرورات الواقعية التي تتطلبها مصلحة الأمة ذاتها ، ولا ننكر ما لهذه الظاهرة التشريعية من فوائد تعود لهذه الأمة ، وما أعظم حكمة الله في خلقه.

فالنسخ في الأحكام حكمة إلهية هدفها إصلاح أمر الأمة والإنسانية ومنها اهتم المسلمون منذ أن تأسست الجامعة الإسلامية الكبرى على يد الإمام الصادق(عليه السلام) حيث اعتبروه من الحقائق الواقعية التي لا محيص عنها ، ومن ثم اختلف المسلمون في شأن هذه الحقيقة مع اختلافهم إلا إنهم بذلوا جهداً بالغاً في تحقيقها ودراستها وأحاطوا بكل جوانبها وعالجوها معالجة موضوعية ، وقد جمع أصوله ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الأصم المسمعي من أصحاب الإمام الصادق(عليه السلام) وأحد تلامذته في رسالة له في الناسخ والمنسوخ.

ثم شمر سواعدهم جماعة من أصحاب الإمام الرضا(عليه السلام) وتصدوا لهذا البحث وأثبتوا نتائج ما وصلوا إليه في رسائلهم منهم: دارم بن قبيصة التميمي الدارمي ، وأحمد بن محمد بن عيسى القمي والحسن بن علي بن فضال ، فكانوا ممن التحق بالرعيل الأول من الصحابة والتابعين.

وفي القرن الثالث:

دوّنَ رسالة خاصة عن الناسخ والمنسوخ المفسر الإمامي علي بن إبراهيم القمي ، وكذلك محمد بن العباس المعروف بابن الحجّام ، وأبو عبيد بن سلام (ت:٢٢٤) ، وجعفر بن مبشر الثقفي (ت:٢٣٥) ، وأحمد بن حنبل (ت:٢٤١) ، وسعد بن إبراهيم القمي (ت:٣٠١).

وفي القرن الرابع :

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت:٣٢٠) ، وأحمد بن جعفر البغدادي المعروف بابن المنادي (ت:٣٣٤) ، وأبو جعفر بن محمد النحاس (ت:٣٣٨) ، ومحمد بن محمد النيسابوري (ت:٣٦٨) ، وأبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت:٣٦٨) ، ومحمد بن الحسن الشيباني الإمامي ، أدرجه في مقدمة تفسيره ((نهج البيان عن كشف معاني القرآن)) ومحمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشهير بالصدوق (ت:٣٨١).

وفي القرن الخامس :

هبة الله بن سلامة (ت:٤١٠) ، وعبد القاهر البغدادي (ت:٤٢٩) ، ومكي بن أبي طالب (ت:٤٣٧) ، وعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت:٤٥٦).

وفي القرن السادس :

محمد بن بركات بن هلال السعيدي في الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه (ت:٥٢٠) ، ومحمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت:٥٤٣) ، وأبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت:٥٩٧).

وفي القرن الثامن :

يحيى بن عبد الله الواسطي (ت:٧٣٨) ، وعبد الرحمن بن محمد العتائقي (ت:٧٨٠) ، ومحمد بن عبد الله الزركشي في كتابه البرهان (ت:٧٩٤).

وفي القرن التاسع:

أحمد بن المتوج البحراني (ت:٨٣٦) ، وأحمد بن إسماعيل الأبشيطي (ت:٨٨٣).

وفي القرن العاشر :

عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت:٩١١) ضمن كتابه الإتقان ، ومحمد بن عبد الله الاسفراييني .

وفي القرن الثاني عشر :

عطية الله بن عطية الأجهوري (ت:١١٩٠).

وفي القرن الثالث عشر :

صديق بن حسن القنوجي (ت:١٣٠٧) كتب ((إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ)).

وفي هذا القرن الأخير الرابع عشر :

كتب سماحة السيد الإمام الخوئي(قدس) في الناسخ والمنسوخ في دراسة عميقة وافية ضمن مؤلّفه القيّم ((البيان)) ، وكذلك كتب الأستاذ مصطفى زيد ((النسخ في

القرآن الكريم)) والأستاذ علي حسن العريضي: ((فتح المنان في نسخ القرآن)). والمولى ولي الله السّرابي: ((نسخ النسخ عن كرامة القرآن)) وغيرهم مما يطول[١].

لقد أخذ موضوع النسخ في القرآن اهتماماً واسعاً من قبل علماء الأمة وكيفية تمييز الناسخ عن المنسوخ وأعدوه من أولويات المقدمات في التشريع الإسلامي الثابت المستمر ، حيث لا يمكن استنباط حكم شرعي إذا لم يعرف الناسخ من المنسوخ والباقي الثابت الذي لا يزول وبين المتروك الذي لا يُعمل به.

وفي احتجاج الإمام الصادق(عليه السلام) على الصوفية قال:

ألكم علم بناسخ القرآن ومنسوخه ؟ إلى أن قال: وكونوا في طلب ناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه ، وما أحل الله فيه مما حرم ، فإنه أقرب لكم من الله ، وأبعد لكم من الجهل ، دعوا الجهالة لأهلها فإن أهل الجهل كثير ، وأهل العلم قليل ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿يوسف:٧٦﴾ [٢] ومما يجدر الإشارة إليه هو الرجوع للقرآن كما جاء في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام):

١. روى جعفر بن محمد بن مسعود عن أبيه عن أبي عبد الله جعفر بن محمد(عليهم السلام) عن أبيه عن آبائهم(عليهم السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): أيها الناس إنكم في زمان هدنة وأنتم على ظهر سفر ، والسير بكم سريع ، فقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد ، ويقربان كل بعيد ، ويأتيان بكل موعود ، فأعدُّوا الجهاز لبعد المفاز. فقام المقداد فقال: يا رسول الله ما دار الهدنة؟ قال: دار بلاء وانقطاع ، فإذا التبست عليكم الفتن كَقِطَع الليل المظلم ، فعليكم بالقرآن فإنه شافعٌ مشفَّع ، وماحلٌ[٣] مصدَّق ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه

---

١) التمهيد في علوم في القرآن ، للعلامة محمد هادي معرفة ، ج٢ ، ص٢٦٤ وما بعدها .

٢) التمهيد في علوم في القرآن ، للعلامة محمد هادي معرفة ، ج٢ ، ص٢٦٦ وذكر مراجعة الوسائل ، ج١٨ ، إلا أني لم أجدها في هذا الجزء.

٣) وماحل مصدّق : محل به إلى السلطان محلاً : كاده بسعاية إليه.

ساقه إلى النار ، وهو الدليل يدلُّ على خير سبيل ، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ، ليس بالهزل ، له ظهر وبطن فظاهره حكمة (حكم) وباطنه علم ، ظاهره أنيق وباطنه عميق ، له تخوم وعلى تخومه تخوم[١] لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه ، فيه مصابيح الهدى ومنار (ومنازل) الحكمة ودليل على المعروف لمن عرفه (صفه)[٢] .

تنبيه: وردت الألفاظ حكمة ، ومنازل وعرفه في العياشي ولفظ حكم ومنار وصفه في الصافي وفي البرهان.

٢. عن يوسف بن عبد الرحمن رفعه إلى الحارث الأعور قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) فقلت: يا أمير المؤمنين إنا إذا كنا عندك سمعنا الذي نسدّ (نشد) به ديننا ، وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة لا ندري ما هي؟. قال: أو قد فعلوها؟ قال: قلت: نعم. قال: سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: أتاني جبرئيل فقال: يا محمد سيكون في أمتك فتنة ، قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من ولاّه من جبار فعمل بغيره قصمه الله ومن التمس الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم لا تزيغه الأهوية ولا تلبسه الألسنة ولا يخلق على الرّد ولا ينقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء لم تكنّه الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ❖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ ﴿الجن:١-٢﴾ من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن اعتصم به هُدي إلى صراط مستقيم ، هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد[٣].

---

١) الأنيق الحسن المعجب والتخوم جمع تخم ، منتهى الشيء.

٢) العياشي ، ج١ ، ص١٣-١٤.

٣) العياشي ، ج١ ، ص١٤-١٥ ، نقلاً عن البحار ، ج١٩. والبرهان ، ج١. والصافي ، ج١.

من المناسب أن نذكر ما ذكره الرسول الأعظم(ﷺ) عندما خطب يوم الجمعة حيث ورد:

٣. عن أبي جميلة المفضل بن صالح عن بعض أصحابه قال: خطب رسول الله(ﷺ) يوم الجمعة بعد صلاة الظهر انصرف إلى الناس فقال: يا أيها الناس إني قد نبّأني اللطيف الخبير أنه لن يعمر من نبي إلا نصف عمر الذي ممن قبله وإني لأظنّني أوشك أن أُدعى فأُجيب ، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون ، فهل بلغتكم فما إذاً أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد بأنك قد بلغت ونصحت وجاهدت ، فجزاك الله عنّا خيراً قال: اللهم اشهد ثم قال: يا أيها الناس ألم تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنّة حقٌ وأن النار حقٌ وأن البعث حقٌ من بعد الموت قالوا: اللهم نعم ، قال: اللهم اشهد ، ثم قال: يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ألا من كنت مولاه فعليٌ مولاه اللهم والِ مَنْ والاه ، وعادِ من عاداه ، ثم قال: أيها الناس إني فرطكم وأنتم واردون عليَّ الحوض وحوضي أعرض ما بين بصرى وصنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة الأواني سائلكم حين تردُون عليَّ عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما حتى تلقوني قالوا: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيدي الله وطرف في أيديكم ، فاستمسكوا به لا تضلُوا ولا تذلُوا والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أن لا يتفرّقا حتى يلقياني وسألت الله لهما ذلك فأعطانيه فلا تسبقوهم فتضلُوا ، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ، فلا تعلموهم فهم أعلم منكم[1].

٤. عن أبي عبد الله مولى بني هاشم عن أبي سخيلة قال: حججت أنا وسلمان الفارسي من الكوفة فمررت بأبي ذر فقال: انظروا إذا كانت بعدي فتنة وهي كائنة فعليكم بخصلتين ، بكتاب الله وبعليّ بن أبي طالب ، فإني سمعت رسول الله(ﷺ) يقول لعليّ: هذا أول من آمن بي ، وأول من يصافحني يوم القيامة ، وهو الصديق

---

١) تفسير العياشي ، ج١ ، ص١٥ ، نقلاً عن البحار ج٧ . والبرهان ، ج١ . وإثبات الهداة ، ج٣.

الأكبر وهو الفاروق يفرّق بين الحق والباطل وهو يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب المنافقين[١].

٥. عن الحسن بن موسى الخشاب رفعه قال: قال أبو عبد الله(عليه السلام): لا يرجع (لا يرفع) الأمر والخلافة إلى آل أبي بكر أبداً ولا إلى آل عمر ولا إلى آل بني أُميّة ، ولا في ولد طلحة والزبير أبداً ، وذلك أنهم بتروا القرآن ، وأبطلوا السنن وعطّلوا الأحكام[٢].

٦. عن مسعدة بن صدقة قال: قال أبو عبد الله(عليه السلام): إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن ، وقطب جميع الكتب ، عليها يستدير محكم القرآن ، وبها نوّهت الكتب ويستبين الإيمان ، وقد أمر رسول الله(صلى الله عليه وآله) أن يُقتدى بالقرآن وآل محمد ، وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها:

إني تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر ، والثقل الأصغر ، فأما الأكبر فكتاب ربيّ ، وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي فاحفظوني فيهما فلن تضلُّوا ما تمسكتم بهما[٣].

من هذا أردنا أن نثبت أن القرآن مصان من التحريف وأنه لا زيادة ولا نقصان فيه رداً لما ادعوه بأن القرآن ضاع منه الكثير وكذلك ما روي عنهم أن الشيخ والشيخة من القرآن وكذا سورتي الخلع والحفد وغير ذلك من الادعاءات الباطلة التي قالوا بها ونسبوها إلى الشيعة بأن القرآن محرف مع أنهم أسقطوا آية بسم الله الرحمن الرحيم ، وقد يطول الكلام في هذا وان الذي نريد بحثه هو النسخ في القرآن ، ولقد أوضحنا معناه عند أهل اللغة وعند أهل الأصول وعند المحققين ولا بأس بتلخيصه في هذا الباب:

---

١) نفس المصدر السابق.

٢) تفسير العياشي ، ج١ ، ص١٦ نقلاً عن البحار ج١٩. والبرهان ،ج١. والصافي ، ج١.

٣) نفس المصدر السابق.

❖ بأن النسخ: هو رفع تشريع سابق بتشريع لاحق ، بحيث لا يمكن اجتماعهما معاً ، إما ذاتاً ، إذا كان التنافي بينهما بيّناً ، أو بدليل خاص ، من إجماع أو نصٍ صريح.

إن أفراد الموضوع العام في حال رفع الحكم عن بعض أفراده ليس نسخاً ، وذلك التشريع السابق لم يرتفع نهائياً. لأنه تخصيص في العام ، أو تقييد في الحكم المطلق.

ومحدودية الحكم الصريحة من أول الأمر فإن انتهاء أمده لا يكون نسخاً. وإنما النسخ رفع حكم يكون بطبعه ظاهراً في البقاء والاستمرار لولا مجيء الناسخ ببيان جديد.

وإذا كان هناك حرج أو اضطرار أو ضرر شخصي أو لمصلحة وقتية حسب ما يفصل الفقهاء لا يكون من النسخ في شيء ، لأن جميع ذلك لم يكن من ارتفاع التشريع ، وإنما هو تبدل الموضوع بطروء أحد هذه العناوين ، فلو جاز للمضطَر أن يأكل من الميتة بقدر ما يسد رمقه فإن مثل هذا الجواز لا يكون نسخاً للحرمة الأصليَة والتي كان موضوعها الإنسان المختار[1].

وفي حقيقة النسخ الأولية أي بمعنى نشأة رأي جديد مستحيل عليه تعالى. إذ هو بذاك المعنى يستدعي تبدّل رأي المشرع بظهور خطأ أو نقص في تشريعه السابق ، عثر عليه متأخراً فأبدل رأيه إلى تشريع آخر ناسخ للأول ، ويكون هذا الأخير هو الكامل الصحيح في نظره حالياً ويجوز تبدل رأيه ثانياً وثالثاً وهكذا ما دام يحتمل خطؤه في كل تشريع.

وهذا المعنى إنما يخصّ أولئك المتشرعين غير المحيطين بالمصالح والمفاسد الكامنة وراء الأمور ، تلك الإحاطة الشاملة. أما العالم بالخفايا المحيط بجوامع الواقعيات في

---

[1]) التمهيد في علوم القرآن ، ج٢ ، ص٢٦٨ ، محمد هادي معرفة.

طول الزمان وعرضه على حد سواء ، فيمتنع عليه خطأ في إصابة الواقع ، أو يفوته نقص كان غافلاً عنه ثم وجده ، كل ذلك مستحيل بشأنه تعالى.

إذن فالنسخ المنسوب إليه تعالى نسخ في ظاهره ، أما الواقع فلا نسخ أصلاً ، وإنما هو حكم مؤقت وتشريع محدود من أول الأمر ، وأنه تعالى لم يشرّعه حين شرّعه إلا وهو يعلم أنّ له أمداً ينتهي إليه ، وإنما المصلحة الواقعية اقتضت هذا التشريع المؤقت ، وقد شرعه تعالى وفق تلك المصلحة المحدودة من أول الأمر.

ولكن لمصلحة في التكليف أخفى تعالى بيان الأمد ، وأجّله إلى وقته المحدود. ثم في نهاية الأمد جاء البيان إلى الناس ، أن هذا التشريع قد انتهى بهذا الأجل.

فالنسخ في حقيقته الدينية ليس سوى تأخير بيان الأمد المضروب من الأول ، ولعل في تأخير هذا البيان مصلحة للأمة ، منها الاختبار بتوطينهم على الطاعة فيما كان التكليف السابق شاقاً مثلاً وغير ذلك من مصالح يراها المولى الحكيم.

وعليه فالتعبير عن هذه الظاهرة الدينية بالنسخ تعبير ظاهري حسب ما كان يزعمه الناس ، حيث فهموا من إطلاق التشريع السابق بقاءَه واستمراره ، وبعد أن جاء بيان الأمد متأخراً مصحوباً بتشريع لاحق ، حسبوه نسخاً واقعياً للتشريع القديم لما لمسوا من خواص النسخ فيه. وهذه استعارة في التعبير وليس من الحقيقة في شيء.

لقد مر بنا فيما تقدم أن المحققين والباحثين تصوروا النسخ في القرآن له أقسام وهذه الأقسام منها مرفوض بعيد عن قدسية القرآن كونه كتاب الله ومع هذا نجد أنفسنا على منوالهم في التقسيم سائرين لكن علينا أن نرفع أيدينا عن المرفوض رأساً كما هو نهج أهل البيت في مدرستهم.

١. نسخ الحكم والتلاوة معاً:

وهو إسقاط آية من القرآن تتناول حكم تشريعي ، وكان المسلمون يقرؤونها ويلتزمون بما حكمت ، ثم بطل هذا الحكم ورفعت الآية ولم تثبت كآية في القرآن ، مثل هذا النوع من النسخ يرفضه أتباع مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) وذلك لأن القرآن ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿فصلت:٤٢﴾.

وقد حاول القدماء من المحدثين في إثبات هذا القسم من النسخ في القرآن ، واستدلوا بأن جاء في حديث مسند إلى عائشة في موضوع فيما أنزل من القرآن (عشر رضعات معلومات يحرمنّ) ثم نسخن بخمس معلومات. قالت: وتوفي رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهنّ فيما يقرأ من القرآن[1].

وهذا أمر عجيب حقاً لأن إثباته يجرنا إلى القول بالتحريف ، كيف تكون آية فيها حكم تشريعي؟ وهي كانت تقرأ إلى وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، ثم نسيت والقرآن محفوظ في صدور الصحابة والقراء والعهد قريب. وهذا ما يقره العقل السليم وينكره المسلمون. وهناك من يحاول إثبات هذا القسم ومنهم من أبطل هذا القسم من النسخ وحاول الكثير ضرب هذا القسم وأحاديثه عرض الجدار ، لأن إثباته يشوش آيات القرآن.

وقد ناقش هذا القسم من النسخ ، الزركشي في برهانه وغيره في كتبهم إلى أن قالوا ، أن المسلمين قد أجمعوا على أن القرآن هو ما تواتر نقله ، فلا يمكن إثبات هذا الحكم بكونه قرآناً لأنه من روايات الآحاد التي اشتملت على أن الآية الفلانية كانت قرآناً ونسخت وهذا بدوره فتح الطريق أمام أعداء الإسلام أن يدخلوا ما يوجب

---

[1]) صحيح مسلم ، ج٤ ، ص١٦٧. سنن الترمذي ، ج٣ ، ص٤٥٩ وغيرها من الكتب التي تناولت هذه المواضيع.

الشك في كتاب الله. فإذن مثل هذه الروايات باطلة ومرفوضة لأنها توجب التحريف في القرآن وهذا ما لا يقول به مسلم.

٢. نسخ التلاوة دون الحكم :

وهو إسقاط آية من القرآن الكريم ، كان المسلمون يقرأونها ، ولها حكم شرعي ، ثم نسيت هذه الآية ومحيت ولم يبقى لها وجود ، بينما التمسك بما حكمت تلك الآية وحكمها بقى على استمراره لم ينسخ ، ومثل هذا النوع من النسخ عند أتباع مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) مرفوض كما هو الحال في القسم الأول وذلك لاعتماده وتمسك القائلين به على أخبار الآحاد ، وهي لا تفيد سوى الظن وهذا لا يمكن التمسك به لأن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

وكما عرفت أن نزول الآيات له مصلحة ومثل هذا ينفي المصلحة من نزولها ، بما أنها مشتملة على حكم ثابت ، فلماذا تمحى الآية نفسها والمصلحة تقتضي بقاءها ليسند الحكم إليها.

وهذا هو الذي دفع أعداء الإسلام وجحدت نبوة محمد(صلى الله عليه وآله) من التشنيع بالمسلمين وفي الكتاب المجيد. والالتزام بهذا إلتزام بتحريف القرآن والذي مضمون بالحفظ كونه كتاب إلهي خالد. ومن هنا أبطل الإمامية هذا القول رأساً لأنه ينافي قداسة القرآن الكريم.

وقد ناقش الأعلام (قدس) هذا القسم من النسخ منهم :

السيد الإمام الخوئي(قدس) قال: أجمع المسلمون على أن النسخ لا يثبت بخبر الواحد كما أن القرآن لا يثبت به ، وذلك أن الأمور المهمة التي جرت العادة بشيوعها بين الناس ، وانتشار الخبر عنها على فرض وجودها لا تثبت بخبر الواحد فإن اختصاص نقلها ببعض دون بعض بنفسه دليل على كذب الراوي أو خطئه ،

وعلى هذا فكيف يثبت بخبر الواحد أن آية الرجم من القرآن ، وإنها قد نسخت تلاوتها ، وبقي حكمها ، نعم قد تقدم أن عمر أتى بآية الرجم وادعى أنها من القرآن فلم يقبل قوله المسلمون ، لأن نقل هذه الآية كان منحصراً به ، ولم يثبتوها في المصاحف ، فالتزم المتأخرون بأنها آية منسوخة التلاوة باقية الحكم[1].

إن أكثر علماء السنة وكذلك فقهائهم والمحققين أنهم التزموا بهذا القول المستند إلى أخبار الآحاد وادعوا أنها أخبار صحيحة السند ، وهذا هتك لحرمة القرآن على القول بثبوت حجية هذه الروايات.

وقد ذهب العلامة محمد هادي معرفة: إلى نقاش طويل في عرض إسهاب ابن حزم الأندلسي: قال: وفيما يلي عرض لما أسهبه ابن حزم الأندلسي بهذا الشأن ، وهو الإمام المحقق صاحب مذهب واختيار ، ومن ثم فإن ذلك منه غريب جداً.

قال: فأما قول من لا يرى الرجم أصلاً فقول مرغوب عنه ، لأنه خلاف الثابت عن رسول الله(ﷺ) وقد كان نزل به القرآن ، ولكنه نسخ لفظه وبقي حكمه ، ثم يروي عن سفيان عن عاصم عن زرّ قال: قال لي أُبيّ بن كعب: كم تعدّون سورة الأحزاب؟ قلت: إما ثلاثاً وسبعين آية أو أربعاً وسبعين آية. قال: إن كانت لتقارن سورة البقرة أو لهي أطول منها ، وإن كان فيها لآية الرجم. قلت: أبا المنذر ، وما آية الرجم؟ قال: ((إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيزٌ حكيم)). قال: هذا إسناد صحيح كالشمس لا مغمز فيه.

ثم روى بطريق آخر عن منصور ، عن عاصم ، عن زرّ ، وقال: فهذا سفيان الثوري ومنصور شهدا على عاصم ، وما كذبا ، فهما الثقتان الإمامان البدران ، وما كذب عاصم على زرّ ولا كذب زرّ على أُبيّ.

---

[1]) البيان في تفسير القرآن ، ج٥٠ ، عن موسوعته (قدس) ، ص٢٨٤.

قال أبو محمد: ولكنها نسخ لفظها وبقي حكمها ، ولو لم ينسخ لفظها لأقرأها أُبيّ بن كعب زراً بلا شك ، ولكنه أخبره بأنها كانت تعدل سورة البقرة ولم يقل له: إنها تعدل الآن ، فصح نسخ لفظها.

ثم يروي آية الرجم عن زيد وابن الخطاب ويقول: إسناد جيد.

ويروي عن عائشة ، قالت : لقد نزلت آية الرجم والرضاعة ، فكانتا في صحيفة تحت سريري ، فلما مات رسول الله(ﷺ) تشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها. قال: وهذا حديث صحيح ، وليس هو على ما ظنوا ، لأن آية الرجم إذ نزلت حفظت وعرفت وعمل بها رسول الله(ﷺ) إلا انه لم يكتبها نسّاخ القرآن في المصاحف ، ولا أثبتوا لفظها في القرآن ، وقد سأله عمر بن الخطاب ذلك فلم يجبه. فصح نسخ لفظها ، وبقيت الصحيفة التي كتبت فيها كما قالت عائشة ، فأكلها الداجن ولا حاجة بأحد إليها[1].

وهذا أغرب من آية الرجم والرضاع ، من هذا المحقق مع دقة نظره.

بأنه يقول: لا حاجة إليها مع أنها سند حكم تشريعي ثابت ، وانه لا يعلم بها أحد من كتبة الوحي ولم يكتبوها إلا أنها كتبت في صحيفة وهي عند عائشة فأكلتها الداجن وهذا مما لا يستقيم مع ما ورد على لسان النبي(ﷺ): ((حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة)).

فمثل ذلك الغريب الذي لا يستسيغه العقل السليم مرفوض ومضروب به عرض الجدار.

بهذا اكتفي بالرد على هذا القسم من النسخ. والله العالم.

---

[1]) التمهيد في علوم القرآن ، ج٢ ، ص٢٨١ نقلاً عن المحلّى ، ج١١ ، ص٢٣٤-٢٣٦.

٣. نسخ الحكم دون التلاوة:

وهذا يختص بالآية القرآنية الثابتة في الكتاب وهي المقروء التي يقرؤها المسلمون على مر العصور إلا أن الحكم من ناحية مفادها التشريعي وعدم جواز العمل بها لمجيء الناسخ الذي حول حكمها.

وهذا القسم هو المشهور بين العلماء والمفسرين واتفق الجميع على جوازه وعلى تحققه فعلاً ، فقد قالوا بوجود آيات منسوخة في القرآن لكنهم اختلفوا في العدد وقد بينا فيما مرّ أن هناك المكثر والمقل والمنكر لوجود المنسوخ في القرآن.

واتفقوا على إمكان النسخ ، وعلى وجود آيات ناسخة لأحكام كانت ثابتة في الشرائع السابقة وأحكام كانت ثابتة في صدر الإسلام. ولأجل أن نصل لمعرفة نسخ الحكم الثابت في القرآن وهذا يكون على أقسام ثلاثة.

❖ إن الحكم الثابت في القرآن ينسخ بالسنة المتواترة ، أو بالإجماع القطعي والذي يكشف عن صدور النسخ عن المعصوم(عليه السلام) ، وهذا القسم من النسخ لا إشكال فيه عقلاً ونقلاً ، فإذا ثبت في مورد من الموارد فيكون متبع كما هو الحال في آيات العِدَد والمواريث ، مثل آية الامتاع إلى الحول بشأن المتوفى عنها زوجها حيث لا منافاة بينها وبين آيات العِدَد والمواريث ، ومثل هذا ثبت بالسنة القطعية وإجماع المسلمين على إنها منسوخة.

- وقد خاض العلماء في ذلك كثيراً أي مورد نسخ القرآن بالسنة كون القرآن قطعي الصدور والسنة ظنية ، إن علاقة الكلام فيما إذا كانت السنة قطعية الصدور ومتواترة ، إلى جانب الإجماع للأمة على مدى العصور.

- وان القرآن ينسخ مفاد آية بآية أخرى ، بحيث تكون الآية ناظرة إلى مفاد الأولى ومحولة لحكمها بالنص ، وإذا لم يكن هكذا يلزم اللغوية ، وحاشا الله أن

يضمن كتابه العزيز مثل هذا ، ومثال ذلك آية النجوى في المجادلة التي أوجبت التصدّق بين يدي مناجاة الرسول(ﷺ) ، ثم جاءت آية الإشفاق ناسخة لها ، ومثل هذا النسخ لا اختلاف فيه.

- وهناك نحو آخر من النسخ ألا وهو التنافي بين الآيتين ، حين عدم الجمع بينهما تشريعياً وفي هذا اشترطوا في الثانية نزولاً ناسخة للأولى ، وان يكون التنافي بين الآيتين كلياً لا جزئياً لأن الثانية أشبه بالتخصيص منه إلى النسخ المصطلح ، ثم تسامح في ذلك فأخذت جزئية التنافي كونه دال على النسخ ، ثم قالوا بنسخ العام بالخاص ، والإطلاق بالتقييد وهذا المبنى لمن تأول لا يأخذ به كثير من الأصوليين. لأنه يُشترط نص صريح وأثر قطعي يؤيده القدامى بإجماعهم.

لأن في القسم هذا صعوبة الوقوف على تأريخ نزول الآية في تقدمها أو تأخرها ، لأن التقدم والتأخر في المصحف لا يعني إنها سبقتها في التأريخ ، وهذا واضح في آية العدَد ﴿البقرة:٢٣٤﴾ وهي متقدمة على منسوخها وهو الإمتاع إلى الحول ، الآية ﴿البقرة:٢٤٠﴾ وأثبت هذا النسخ الإجماع ، وكيفما كان أنه لا تنافي بين الناسخ والمنسوخ واقعاً لكنه قد يكون الظاهر متنافٍ لأن الحكم المنسوخ حقيقة حكم محدود في علم الله من أول تشريعه ، غير أن ظاهره الدوام ، فيكون التنافي بين الناسخ المتأخر وبين المنسوخ شكلياً محضاً.

وهناك عناوين للنسخ منها النسخ المشروط وهو ما يصطلح عليه بالنسخ المؤقت أو النسخ المشروط[1] ومثل هذا النسخ هو أن الحكم المنسوخ كانت تحيطه ظروف وأحوال استوجبت تحوله إلى تشريع حكم جديد ، وذلك قد يكون صالح للعود إلى حالته الأولى ، أما في بلد آخر أو فترة زمنية آتية.

لأن من الحكمة أن يعود الحكم المنسوخ إلى ساحة الوجود.

---

[1]) التمهيد ، ج٢ ، ص٢٨٥ : بتصرف.

فالناسخ والمنسوخ هو رهن الحالة التي تخصه ومقيد بمصلحة تلتئم معه فإذا دامت دام الحكم ولو زالت زال الحكم معها ، وإذا رجعت فإن الحكم يرجع معها.

مثاله: الصدقات الواجبة في سبيل الله ، حيث كان على المسلمين أن يقوموا بتجهيز الدولة من أجل إنعاش البنية المالية مهما كلف الأمر ، وهذا وارد كثيراً في القرآن باسم الإنفاق في سبيل الله ، فيكون واجباً حتماً إذا بقيت الحاجة إليه ، وبعد أن فرضت الزكاة وأخماس الغنائم زالت حاجة الدولة إلى مؤنة غيرها ، وبهذا زال ذلك التكليف ، لكن إذا مرت الأمة بكارثة أو حادثة تحتاج الدولة فيها إلى مؤنة زائدة ، هنا المصلحة تقتضي ضرائب تتناسب مع حاجة الدولة ويكون على المسلمين عهدة القيام بوظيفتها.

وعليه مثل هذه الأحكام لا إطلاق في نسخها ، بل هي على نحو الاستمرار والبقاء لكنها مقيدة بشروط وأحوال وهذه الشروط عند تحققها يكون الحكم منجزاً كما هو في سائر الأحكام على نحو القضايا الحقيقية وحسب المصالح.

وكذلك الصفح والمداراة مع الكفّار ، كان فريضة واجبة في صدر الإسلام عندما كان المسلمون في حالة ضعف ، لكن إن ما ورد عن الرسول الأعظم(ﷺ): ((إن الإسلام سيعود غريباً كما بدأ غريباً)) فإذا عاد غريباً لا سامح الله فإن ذلك الحكم يعود لا محالة.

ومن العناوين الأخرى للنسخ هو النسخ المتدرّج ، وهذا العنوان لم ينسخ الحكم فيه صريحاً وفي بداية الأمر ، وإنما جاء النسخ ممهداً أسبابه ليكون نسخاً تدريجياً ، ومثل ذلك إذا كانت المصلحة الإبقاء على ما كان في شريعة سابقة مهيمنة على الحياة العامة ، بحيث لا يمكن أن تقلع جذورها بسهولة ، إلا بتقديم مقدمات توهنها وتزعزع شأوتها ، كي تنهار نهائياً بنفسها ، كما كان التدرج في تشريع محاربة الخمر وغيرها.

مثل تشريع جواز ضرب النساء عند النشوز ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ ﴿النساء:٣٤﴾.

هذا إقرار لتشريع جاهلي ، حيث كان الرجال يتحكمون في أمر النساء بلا مبالاة. فجاء الإسلام ليحد من هذه السنة الجاهلية ، في إضعافها شيئاً فشيئاً ، ومن ثم هدمها وقلع جذورها من الأساس.

يرى أبناء الجاهلية أن ضرب النساء وإيلامهن مندوحة تأديبهن ، وكأن ذلك من حق القوامة عليهن فيما حسبوا ، وهذه فكرة كانت سائدة ومتمكنة في الأعماق وللآن في الأوساط العشائرية وحتى عند أهل المدن الراقية ، يرى الرجال أن من حقهم الشرعي أن يؤذوا نساءهم ويؤدبوهنّ بالضرب والإيلام ولا حرج عندهم في ذلك.

فقلع جذور هذه العادة الراسخة صعبة وهي بحاجة إلى مرونة في العمل المستمر ، وهذا الذي قام به الإسلام ضمن مكافحته لكثير من عادات الجاهلية والتي كانت مهيمنة .

فقد أقرّ شريعة ضرب النساء لا ليثبتها ، بل ليمهد الطريق إلى رفعها وقمعها وهذا هو الملاحظ من سيرة النبي(ﷺ) وسيرة أصحابه وعلى طول التأريخ.

ولما نزلت الآية هرعت جماعات من المسلمين إلى رسول الله(ﷺ) يستشفون حقيقة الأمر ، فأوضح النبي أن ليس هناك ما حسبوا ، وإنما هي ظاهرة شكلية وليست رخصة في ضرب النساء وإذا كان الرجل مؤمناً خيراً عليه إكرام زوجته ، وان المؤمن الخيّر من اقتدى بالرسول(ﷺ) في حياته الزوجية حيث كان أبر الناس بنسائه.

ثم أنه قال(صلى الله عليه وآله) موبّخاً من أهان زوجته:

((أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد ، يضربها أول النهار ثم يضاجعها آخره)) ثم قال: ((ولن يضرب خياركم)) وهو نفي تأبيد تأكيداً على تلازمه مع الإيمان وقال فيمن ضربوا نساءهم: ((ليس أولئك خياركم))[1].

وجاء في جامع الأخبار للصدوق: عن النبي(صلى الله عليه وآله):

((إني أتعجب ممن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منها. لا تضربوا نساءكم بالخشب فإن فيه القصاص ، ولكن اضربوهنّ (أي أدبوهن) بالجوع والعرى ، حتى تريحوا في الدنيا والآخرة)).

وفي حديث آخر: ((أحفظوا وصيّتي في أمر نساءكم حتى تنجوا من شدّة الحساب ، ومن لم يحفظ وصيتي فما أسوأ حاله بين يدي الله)) [2].

وهذا الحديث صريح بمراد الضرب على نحو التأديب ولا يكون بالعصا والسوط كما يُفعل مع البهائم ولكن بالتضييق في المطعم والملبس وهذا أرفق بتعديل المعيشة معها.

وفي حديث أبي جعفر الباقر(عليه السلام) عن النبي(صلى الله عليه وآله):

((أيضرب أحدكم المرأة ثُمّ يظلّ معانقها)) وعن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): ((إنما المرأة لعبة ، من اتخذها فلا يُضيّعها)) [3] وقال(صلى الله عليه وآله):

---

[1]) التمهيد ، ج٢ ، ص٢٨٧ ، نقلاً عن الدر المنثور ، ج٢ ، ص١٥٥.

[2]) التمهيد ، ج٢ ، ص٢٨٧ ، نقلاً عن البحار ، ج١٠٣ ، ص٢٤٩ عن جامع الأخبار للصدوق ، ص١٥٨.

[3]) وسائل الشيعة ، ج١٤ ، ص١١٩.

((خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي)) [١] وقال(ﷺ): ((ملعون ملعون من ضيّع من يعول)) [٢].

أما الترخيص في الضرب فقد فسره النبي(ﷺ) ضرباً غير مبرّح. والمبرّح: المتعب المجهد ، وبرّح به الأمر : آذاه شديداً. والبُرَحاء: الشدّة والأذى.

قال الحسن وغيره: ضرباً غير مبرّح ، غير مؤثر. أي لا يكون له أثر حمرة ولا سواد. أي أنه ضرب ضعيف لا إيلام فيه.

قال قتادة: ضرباً غير مبرّح أي غير شائن. والشائن: ما غيّر لون الجلدة.

وسئل ابن عباس: ما الضرب غير المبرّح ؟ قال: السّواك وشبهه يضربها به[٣].

فالحكم في الآية ترخيص ظاهري في الضرب ، تمهيداً للتأكيد على المنع منه نهائياً ، حيث مقتضى الإيمان الصادق هي متابعة النبي (ﷺ) سنة وسيرة.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿الأحزاب:٢١﴾ فضلاً عن وجوب إطاعته فيما يقول.

إذن فالآية في ظاهرها منسوخة. وكان تفسيرها من قبل النبي (ﷺ) هو الناسخ لهذا الظهور البدائي في واقع لحال[٤].

وكذلك الأمر بشأن ملك اليمين ، في ظاهره أقره الإسلام لا كنظام ، ولكن تمهيد على سبيل إلغائه. حيث جاء الإسلام والرّق نظام معترف به في أنحاء المعمورة ، كونه عملة اقتصادية واجتماعية متداولة لا ينكرها أحد ، ولا يوجد من يفكر في تغييرها ومن هنا كان تغيير هذا النظام أو محوه أمراً بحاجة إلى تدرج ومهل وربما في فترة غير قصيرة.

ففي عرف الرومان كان الرق شيئاً لا بشراً ، أي إنه كسائر الأمتعة لا حقوق له وان كانت واجباته ثقيلة. فالإسلام جاء ليرفع هذه الشريحة إلى مستواها الإنساني

---

١) نفس المصدر السابق ، ص١٢٢.

٢) من لا يحضره الفقيه ، ج٣ ، ص١٠٣.

٣) جامع البيان ، ج٥ ، ص٤٣-٤٤.

٤) التمهيد ، ج٢ ، ص٢٨٩.

أولاً ليكون مساوياً لأخيه الإنسان وان كان سيداً ثانياً ، وتحريره تمهيداً إلى إلغاء نظام الرق في نهاية الأمر.

واهتم أئمة الهدى سلام الله عليهم أجمعين بهذا الأمر ، وهذا الإمام زين العابدين(عليه السلام) في رسالة الحقوق يقول: ((وأما حق مملوكك فإن تعلم أنه خلق ربك وابن أبيك وأمك ولحمك ودمك...))[١].

ورغب في مخاطبتهم بالأخاء وان يقول السيد لعبده ، يا أخي ولا يقول هذا عبدي وهذه أَمَتي وليقل فتاي وفتاتي. وأن يشاركوهم في الأعمال ويساووهم في الملبس والمأكل وسائر معايش الحياة كما كان يفعل الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) مع غلامه قنبر[٢].

قال الإمام الصادق(عليه السلام): ((مَنْ افترى على مملوكٍ عزّر ، لحرمة الإسلام))[٣].

وبهذا أصبح الرقيق في ظل الإسلام إنساناً له كرامته ومتمتعاً بكافة حقوقه كسائر المسلمين على حد سواء ، فالإسلام أجاز إمامته وتصديه للمناصب في دولة الإسلام ، وكما آخى النبي(صلى الله عليه وآله) بين بلال وأبي رويحة الخثعمي وبين زيد وعمه حمزة[٤].

تلك خطوات واسعة للتحرير الروحي من خلال رده إلى إنسانيته ولذا كان الرسول (صلى الله عليه وآله) ينتظر هذه الغاية الكريمة ويترقبها حيث قال (صلى الله عليه وآله): ((ما زال جبرائيل يوصيني بالمماليك حتى ظننت أنه سيجعل لهم وقتاً إذا بلغوا ذلك الوقت أعتقوا))[٥].

وبهذا جفت منابع الرّق كلها عدا منبع واحد لم يكن من المصلحة تجفيفه وهو رقّ الحرب ، فقد كان العرف السائد استرقاق أسرى الحرب أو قتلهم ، وهذا قديم جداً وجاء الإسلام والناس على هذا الحال لأنها معاملة بالمثل وهي قانون عادل.

---

١) رسالة الحقوق وعنه في الخصال أبواب الخمسين ، ص٥٦٨.

٢) التمهيد ، ج٢ ، ص٢٩٠ ، نقلاً عن بحار الأنوار ، ج٧٤ ، ص١٤٣-١٤٤.

٣) البحار ، ج٧٩ ، ص١١٩.

٤) سيرة بن هشام ، ج٢ ، ص١٥١-١٥٣.

٥) من لا يحضره الفقيه ، ج٤ ، ص٧. التمهيد ، ج٢ ، ص٢٩١.

وتجدر الإشارة أن الآية الوحيدة التي تعرضت لأسرى الحرب ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ ﴿محمد:٤﴾ ففي الآية لا يوجد ذكر للاسترقاق من أجل أن لا يكون تشريعاً دائماً للبشرية. فذكر الفداء وإطلاق السراح بدون مقابل لأنهما قانونان دائمان يقتصر البشرية عليهما في معاملة الأسرى ، فكان الاسترقاق مبدأ خضعوا له لضرورة عدم انفكاكه عن ذلك العصر ، ولم يكن خضوعاً لنص في التشريع الإسلامي.

ويجد الباحث الكثير من أعراف الجاهلية جاراها الإسلام ، ولكن لغرض إمحائها مثل الظهار والأيلاء واللعان حيث وضع الإسلام أحكاماً لقلعها من الجذور ومكافحتها ، وكذلك ولاء العتق وولاء ضمان الجريرة والأمتاع بالميراث وغيرها.

النسخ في القرآن وما يدور حوله من شبهات

هناك شبهات أثارها ناكروا النسخ ، فإنهم يزعمون عدم إمكان النسخ في شريعة الله ، وبالتالي عدم وقوعه في القرآن ، وقد تنوعت الشبهات وباختلاف المستويات نذكر منها الأهم :

الأولى :

أن النسخ في التشريع كالبداء في التكوين وهو مستحيل في شأنه سبحانه ، لأنها عبارة عن نشأة رأي جديد والظفر بمصلحة كانت خافية في بدء الأمر ، والمعروف أن علمه تعالى أزلي لا تبديل فيه سواء بالرأي أو بتجدد علم ، فغير المعقول أن الله يخطأ في تشريع قديم ليأتي بجديد ينسخه.

نقول أن النسخ كالبداء ولكن لا على معناه الحقيقي ، الذي هو نشأة رأي جديد ، وانما هو ظهور للناس بعد ما خفي عليهم ، وذلك لأجل مصلحة في هذا الخفاء في بدء الأمر.

إن الله تعالى يشرع حكماً الظاهر فيه الاستمرار والدوام ، وهذا الذي يألفه الناس في دوام الأحكام المطلقة لكن الواقع أنه من أول الأمر كان محدوداً بأمد معلوم

عنده تعالى ، ولم يظهر للناس إلا بعد انتهاء أمده المذكور لمصلحة في ذلك الخفاء وفي هذا الإظهار المتأخر.

وقد يعترض معترض لماذا تحديد الأحكام إذا كانت هناك مصلحة تقتضي المصلحة وإذا لم تكن هناك مصلحة فلا مقتضي لأصل التشريع.

إن المصالح لها ظروف وأحوال تختلف بحسبها ، كما هي وصفة الطبيب الحاذق تختلف حسب حالة المريض واختلاف البيئة والمحيط الذي يعيش فيه. فربَ مصلحة تستدعي تشريعاً يتناسب مع البيئة الخاصة والمستوى الخاص ، فإذا تغير هذا الواقع فإن المصلحة أن يكون تبديل التشريع السابق إلى تشريع جديد يلتئم مع هذا الأخير.

وإذا كان هذا التحديد من أول الأمر لِمَ لم ينبه عنه سبحانه؟.

لعل هناك مصلحة استدعت هذا الخفاء ومنها ترويض وتوطين النفوس المؤمنة على الطاعة والانقياد ، خصوصاً عندما يكون التشريع الأول أشد وأصعب ، فيتحول إلى تشريع أسهل وأخف وهذا من رحمته لهذه الأمة.

الثانية :

إن الآية المنسوخة في القرآن وجودها بسبب الاشتباه عند المكلفين فيظنونها آية محكمة فيعملون بها أو يلتزمون بحكمها ، وهذا هو إغراء بالجهل وهو قبيح.

هذه الشبهة تذكرنا بالآية ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ﴿الشمس:٧-٨﴾ أي أن الاختيار بيد الإنسان ، وأن الجهل يعود إلى نفسه ، ولم يكن جهلاً عند العقلاء عذر مقبول ، لأن الإسلام بهذا بدأ بحركة إصلاحية آخذة بالتدرج نحو الكمال ، فإذا كانت المصلحة تستدعي تشريع سابق بتشريع لاحق فيكون لزاماً على المكلفين أن يتنبهوا لهذا الاحتمال في التشريع ، مع العلم أن في القرآن محكم ومتشابه وخاص وعام وحلال وحرام وإطلاق وتقييد وناسخ ومنسوخ ، وعلى المكلف أن لا يتسرع بالأخذ بالآية إلا أن يعرف نوع هذه الآية كما مرَ في حديث أمير المؤمنين(عليه السلام): إلى القاضي في مسجده وكذلك قول الإمام الصادق(عليه السلام) لأبي حنيفة وقد مر فيما تقدم.

الثالثة :

آيات ناسخة وآيات منسوخة في القرآن يستدعي وجود تناف بين آياته الكريمة ، وهذا يتناقض مع قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ﴿النساء:٨٢﴾ وبهذا تمسك السيد الخوئي(قدس) في نكران وجود هكذا نسخ في القرآن الكريم.

إن الاختلاف الذي تنفيه الآية هو ما إذا كان حقيقياً في ظرف الواقع ، أما إذا كان شكلياً وفي ظاهر الأمر أي كما في الناسخ والمنسوخ فلا يوجد تناقض.

حيث يشترط في الاختلاف الحقيقي (التناقض) أمور ثمانية كما بينه العلامة المظفر في المنطق في أحكام القضايا منها وحدة الزمان ووحدة الملاك والشرط ، وإذا تخلف أحدهما فلا تنافي ولا اختلاف كما في الناسخ فإن ظرفه متأخراً ، وملاكه مصلحة أخرى ، تبدلت عن مصلحة سابقة كانت مستدعية لذلك الحكم المنسوخ ، فالتنافي بين الناسخ والمنسوخ بدويٌ ظاهري ، لكن بعد التعمق وملاحظة فترتي النزول ومناسبة النزول للأولى ومن ثم الثانية ، فهذا التنافي والاختلاف يرتفع.

الرابعة :

ما الحكمة وراء إثبات آية في القرآن وهي منسوخة الحكم وهي ألفاظ يقرؤها الناس عبر القرون ؟.

إن الحكمة وراء ذلك أي وجود آيات منسوخة في القرآن هو من أجل معرفة مرونة الشريعة ولها طريق مجاراة وهي سياسة ترافق حركة الزمان ، خصوصاً في بدء تشريعها ووجود صعوبات في طريق تنفيذ هذه الشريعة فلابد من كفاحها تدريجياً وهذا الأمر نهجه الإسلام إلى أن أظهره الله على الدين كله وهذا الانتقال شاق بل الأشق منه ترك العقائد والموروثات والعادات ، التي عرف بها العرب وهم يتحمسون لما يعتقدون من مفاخرهم وأمجادهم ، فلو تركوه فجأةً لأدى ذلك إلى الفشل ولوئدت الدعوة من أول الأمر حيث لا تجد أنصاراً يدافعون عنها ، وذلك لأن الطفرة من النوع المستحيل الذي لا يطيقه الإنسان ، لذا جاءت الدعوة تمشي على مهل متآلفة معهم ومتلطفة في دعوتهم ، تسير بهم نحو الكمال تدريجياً لتصل

بهم إلى الرقي منتهزة فرصة الألفة والمران والأحداث الجادة عليهم لتجعلهم يتحولون من الأسهل إلى السهل ومن السهل إلى الصعب ، ومن الصعب إلى الأصعب ، وبهذا نجح الإسلام النجاح الغير معهود في امتزاجه وسرعته في النفوس ونهضة البشرية بسببه.

مثل التدرج في تحريم الخمر ومشكلة عرب الجاهلية بالأمس ، وهي من أعقد المشكلات على اعتبارها مظهر الفتوة وعنوان الشهامة ، فكانت مجاراتهم على ما هم عليه إلى أن نزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ ﴿البقرة:٢١٩﴾ ، مما جعل النفوس تستعد لتسأل عن التحريم وبهذا استطاع الإسلام أن يتغلب على عادات الجاهلية فأولاً قطع الفروع ليتمكن من قلع الجذور.

فبهذا على الدعاة إلى الإسلام أن يقمعوا مناشيء الفساد ويحولوا دون تفشيه بين العباد.

ومن هنا يكون النسخ هو أن لا نسخ في آية قرآنية إطلاقاً نسخاً بمعناه المصطلح ، أي زوال حكم آية نهائياً ليخلفه حكم جديد أبدي ، نعم يوجد في القرآن نسخ بمعناه القديم العام ، أي التخصيص لعموم أو التقييد لإطلاق وهذا معروف لا ضير فيه فتنقطع جذور الشبهة[1].

مشكلة القراءات والأحرف السبعة

في الحقيقة إن هذا الموضوع يراد له كتاب مستقل بحد ذاته وهذا لا يتسنى لنا ذكره في هذا الكتاب ولكن لا بأس بلمحة مختصرة عن هذا الموضوع المهم فعلاً ، وجدير بالدراسة والتحقيق لبيان مبنى مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) في موضوع الأحرف السبعة واختلاف القراءات ، ومقارنتها مع ما ذكره العامة في هذا الموضوع وقد يجرنا قولهم إلى موضوع التحريف في القرآن لكن أكتفي بالشطر الأول وهو الأحرف السبعة واختلاف القراءات فقط ، لأن هذا موضوع طويل جداً ولكن سأختصره جهد الإمكان وكونه من المواضيع المهمة.

---

[1]) التمهيد ، ج٢ ، ص٢٩٥.

❖ حديث الأحرف السبعة :

لقد اهتم المسلمون بمسألة اختلاف القراءات وعلاقتها بحديث نزول القرآن على سبعة أحرف وكثر في هذا الموضوع الكلام والبحث والتحقيق ومنذ القرن الأول من تاريخ المسلمين.

فنتناوله على مبنى الفريقين :

- أتباع مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) :

هؤلاء حسموا أمرهم في هذا الموضوع بالرجوع إلى ما ورد عن الأئمة الطاهرين المعصومين(عليهم السلام) من عترة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) في خصوص الأحرف السبعة ، والعامة خصصوا أبواباً في صحاحهم ومسانيدهم وادعوا تواتره ، ومع هذا اضطربوا وحاروا وأوَلوا معاني أثبتوها لهذه الأحرف السبعة.

فالإمامية لم يرد عندهم حديث ((نزول القرآن على سبعة أحرف)) خصوصاً في الكتب الحديثية الأربعة ، بل ذكره الشيخ الصدوق في كتابه الخصال والذي يقول عنه يشتمل على الأعداد المحمودة والمذمومة ، في باب السبعة ، ونص الحديث :

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار ، عن العباس بن معروف عن محمد بن يحيى الصيرفي ، عن حماد بن عثمان قال: قلت لأبي عبد الله(عليه السلام):

إن الأحاديث تختلف عنكم ؟ قال: فقال: إن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وأدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه ، ثم قال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿ص:٣٩﴾ [1].

وقد أورده بهدف إيراد ما وصل إليه من الروايات المتضمنة للفظ ((سبعة)). حتى لم يكن بنظره صحيحاً فهو يروي رواية صحيحة عن الإمام الصادق(عليه السلام):

قال الإمام الصادق(عليه السلام): ((القرآن واحد ، نزل من عند واحد على واحد ، وإنما الاختلاف من جهة الرواة))[1]. وهذا الحديث أورده ثقة الإسلام الكليني أيضاً

---

[1]) الخصال ، ص٣٥٨ وقد أورد فيه ١١٦ حديثاً. ناسخ القرآن ومنسوخه ، ص٧٣ ، لأبي القاسم سعد بن عبد الله الأشعري القمي ، ت٣٠١.

عن الإمام الباقر(عليه السلام) ونصه: ((الحسين بن محمد ، عن معلّى بن محمد ، عن الوشاء ، عن جميل بن دراج ، عن محمد بن مسلم ، عن زرارة ، عن أبي جعفر(عليه السلام) قال: ((إن القرآن واحد ، نزل من عند واحد ، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة)).

وأورد عن الإمام الصادق(عليه السلام) : ((علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمر بن أُذينة ، عن الفضيل بن يسار ، قال: قلت لأبي عبد الله(عليه السلام): إن الناس يقولون: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف ، فقال: كذبوا أعداء الله ، ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد))[٢].

والرواية الأخيرة تنفي بوضوح نزول القرآن على سبعة أحرف ، ويظهر أن المقصود بالسؤال من الأحرف هو المعنى الذي ذهب إليه العامة ، وهو: نزول القرآن بسبع لغات من لغات العرب ، وتجويزهم قراءة القرآن بأي لفظ من ألفاظ هذه اللغات ، وهو المقصود من النفي والتكذيب في حديث الإمام(عليه السلام) ؛ لوجود عبارة: ((إن الناس يقولون)) والمقصود بهم العامة ، الذين يخالفون مذهب أهل البيت(عليهم السلام) في الفقه والاعتقادات[٣].

والحديث يؤكد أن للقرآن نصاً لفظياً واحداً ، وهو على حرف واحد لغةً وألفاظاً ، وأن اختلاف القراءات ليس له ارتباط بنزول القرآن ولا بالنبي(صلى الله عليه وآله) بل هو حسب تعبير الإمام(عليه السلام) من جهة الرواة والقراء.

والرواية لم تكن نافية للمعاني والمعارف التي يمكن استحصالها من آيات القرآن ، حيث وردت أحاديث من أن ((للقرآن بطناً وللبطن بطن)) وأن ((لكتاب الله ظاهراً وباطناً)) وأن ((ما من آية من القرآن إلا ولها ظهر وبطن))[٤].

---

١) الاعتقادات للشيخ الصدوق ، باب ٣٣ . والاعتقاد في مبلغ القرآن.

٢) الكافي ، ج٢ ، ص٦٣٠ ، باب النوادر من كتاب فضل القرآن.

٣) ناسخ القرآن ومنسوخه ، ص٧٤-٧٥ ، وفي البحار أيضاً.

٤) المحاسن ، ج١ ، ص٢٧٠. بصائر الدرجات ، ص٢١٦. تفسير العياشي ، ج١ ، ص١٢. بحار الأنوار ، ج٩٢ ، ص٨٤.

كذلك ورد عن الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) والإمام الباقر(عليه السلام): أن القرآن نزل أربعة أرباع وثلاثة أثلاث ، وكان من معاني الحرف: الجهة أو الوجه ، وحرف كل شيء: حده كالسيف وغيره ومنه: الحرف ، وهو الوجه ، تقول: هو من أمره على حرف واحد ، أي طريقة واحدة ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ ﴿الحج:١١﴾ ، أي على وجه واحد. وهو أن يعبده على السّراء دون الضراء وقيل: على حرف: الطريقة الا يدخل فيها على التمكين[١].

على هذا لا يكون هناك مانعاً من قبول رواية الخصال بالنظر إلى أن المراد من الأحرف السبعة: وجوه المعاني والمعارف التي تتضمنها آيات القرآن الكريم ، لا كما فهمه العامة وطبقوه خطأً على وجوه اللغات والألفاظ ، ويؤيد ذلك ما أردفه الإمام(عليه السلام) عقب ذكر ((سبعة أحرف)) مباشرة ، وهو: ((وأدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه)) فالظاهر أنه توضيح لمراده من السبعة أحرف.

- أما العامة :

فقد قال السيوطي: ((ورد حديث: أنزل القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة ، فهؤلاء واحد وعشرون صحابياً ، وقد نص أبو عبيد على تواتره ، ثم قال: ((اختلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولاً)) وذكر ستة عشر قولاً فقط.

وقال ابن حجر ، ذكر القرطبي عن ابن حبان أنه : بلغ الاختلاف في الأحرف السبعة إلى خمسة وثلاثين قولاً ولم يذكر القرطبي إلا خمسة أقوال وينقل هذه الأقوال في مقدمة تفسيره[٢].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت:٢٢٤هـ): ((سبعة أحرف ، يعني: سبع لغات من لغات العرب ، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ، هذا لم يُسمع به قط ، ويقول: هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن ، فبعضه نزل بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة أهل اليمن ، وكذلك

---

١) معجم مقاييس اللغة ، ج٢ ، ص٤٢. الصحاح ، ج٤ ، ص١٣٤٢.

٢) الإتقان ، ج١ ، ص١٣٥-١٣٦. تفسير الطبري ، ج١ ، ص٢٤ مقدمة التفسير.

سائر اللغات ، ومعانيها مع هذا كله واحد ، إنما هو كقول أحدكم: هلمّ وتعال وأقبِل ، ثم نقل قول ابن سيرين: في قراءة ابن مسعود ((إن كانت إلا زقية واحدة)) وفي قراءتنا:

((إن كانت إلا صيحة واحدة)) والمعنى فيهما واحد ، وعلى هذا سائر اللغات))[1].

وقال السيوطي في التاسع من الأقوال التي ذكرها: ((المراد: سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة ، نحو: أقبِل وتعال وهلمّ وعجل وأسرع ، وإلى هذا ذهب سفيان بن عيينة ، وابن جرير ،وابن وهب ، وخلائق ، ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء ويدلّ له: ما أخرجه أحمد والطبراني من حديث أبي بكرة)).

ثم قال في القول العاشر: ((المراد: سبع لغات ، وإلى هذا ذهب أبو عبيد وثعلب والزهري وآخرون ، واختاره ابن عطية ، وصححه البيهقي في الشعب ، وتعقب بأن: لغات العرب أكثر من سبعة ، وأُجيب بأن المراد: أفصحها)).

وهذا المعنى هو المشهور والمتداول بينهم والمقبول عندهم أنهم يجوزون قراءة حروف وكلمات القرآن بأكثر من وجه ، اعتماداً على حديث ((نزول القرآن على سبعة أحرف)) ، وهذه الروايات كثيرة فمن أراد الاطلاع عليها عليه أن يراجع البيان للإمام الخوئي (قدس) ومجمع البيان والتبيان وبحار الأنوار وغيرها من المطولات.

وإليك رأي الشيخ الطوسي والشيخ الطبرسي في هذه الأقوال:

أختار الشيخ من الأقوال في هذه المسألة المختار منها ، قال:

((واعلموا أن العرف من مذهب أصحابنا ، والشائع من أخبارهم ورواياتهم: أن القرآن نزل بحرف واحد ، على نبي واحد ، غير إنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القرّاء ، وأن الإنسان مخيّر بأي قراءة شاء قرأ ، وكرهوا تجويد قراءة بعينها ، بل أجازوا القراءة بالمجاز الذي يجوز بين القرّاء ، ولم يبلغوا بذلك حدّ التحريم والحظر)).

---

[1]) غريب الحديث ، لابن سلام ، ج٣ ، ص١٥٩.

وروى المخالفون لنا عن النبي (ﷺ) أنه قال: ((نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ وكافٍ)) ، وفي بعضها: ((على سبعة أبواب)) وكثرت في ذلك رواياتهم.

واختلفوا في تأويل الخبر ، فاختار قوم أن معناه:

١. على سبعة معان: أمر ، ونهي ، ووعد ، ووعيد ، وجدل ، وقصص ، وأمثال.

٢.وروى ابن مسعود ، عن النبي(ﷺ) ، أنه قال: ((نزل القرآن على سبعة أحرف: زجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال)).

٣. وروى أبو قلامة ((قلابة)) عن النبي(ﷺ) أنه قال: ((نزل القرآن على سبعة أحرف: أمر ، وزجر ، وترغيب ، وترهيب ، وجدل ، وقصص ، وأمثال)).

٤. وقال آخرون: ((نزل القرآن على سبعة أحرف)) ، أي: سبع لغات مختلفة ، مما لا يغيّر حكماً في تحليل وتحريم ، ومثل: هلمّ. ويقال من لغات مختلفة ، ومعانيها مؤتلفة ، وكانوا مخيّرين في أول الإسلام في أن يقرأوا بما شاءوا منها.

ثم أجمعوا على أحدها ، فصار ما أجمعوا عليه مانعاً مما أعرضوا عنه.

٥. وقال آخرون: ((نزل على سبع لغات من اللغات الفصيحة ، لأن القبائل بعضها أفصح من بعض)). وهو الذي اختاره الطبري.

٦. وقال بعضهم: ((هي على سبعة أوجه من اللغات ، متفرقة في القرآن ، لأنه لا يوجد حرف قرئ على سبعة أوجه)).

٧. وقال بعضهم: ((وجه الاختلاف في القراءات سبعة...)).

ثم قال: ((وهذا الخبر عندنا ، وإن كان خبراً واحداً لا يجب العمل به ، فالوجه الأخير أصلح الوجوه على ما رُويّ عنهم (عليهم السلام) من جواز القراءة بما اختلف القرّاء فيه.

وأما القول الأول فهو على ما تضمنه ، لأن تأويل القرآن لا يخرج عن أحد الأقسام السبعة: إما أمر ، أو نهي ، أو وعد ، أو وعيد ، أو خبر ، أو قصص ، أو مثل. وهو الذي ذكره أصحابنا في أقسام تفسير القرآن))[1].

والشيخ الطبرسي وافق الشيخ الطوسي فيما اختاره: قال: الظاهر من مذهب الإمامية: أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما تداوله القراء بينهم من القراءات ، إلا أنهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء وكرهوا تجريد ((تجويد)) قراءة مفردة.

والشائع في أخبارهم: أنّ القرآن نزل بحرف واحد ، وما روته العامة عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: ((نزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شافٍ وكافٍ)) ، أختلف في تأويله ، فأجرى قوم لفظ الأحرف على ظاهره ، ثم حملوه على وجهين:

- **أحدهما :** إنّ المراد: سبع لغات مما لا يغير حكماً في تحليل ، ولا تحريم ، مثل: هلمّ ، وأقبِل ، وتعال. وكانوا مخيّرين في مبتدأ الإسلام في أن يقرأوا بما شاءوا منها ، ثم أجمعوا على أحدها ، وإجماعهم حجّة ، فصار ما أجمعوا عليه مانعاً مما أعرضوا عنه.
- **والآخر:** إنّ المراد: سبعة أوجه من القراءات.. وذُكر أنّ الاختلاف في القراءة على سبعة أوجه ، ثم قال: ((وقال الشيخ السعيد أبو جعفر الطوسي قدس الله روحه: هذا الوجه أصلح ، لما روي عنهم (عليهم السلام) من جواز القراءة بما اختلف القرّاء فيه.

وحمل جماعة من العلماء الأحرف على المعاني والأحكام التي ينتظمها القرآن دون الألفاظ ، واختلفت أقوالهم فيها: فمنهم من قال: إنها: وعد ، ووعيد ، وأمر ، ونهي ، وجدل ، وقصص ، ومثل.

وروي عن ابن مسعود ، عن النبي(صلى الله عليه وآله)، أنه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف: زجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال.

وروى أبو قلابة ، عن النبي(صلى الله عليه وآله) ، أنه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف: أمر ، وزجر ، وترغيب ، وترهيب ، وجدل ، وقصص ، ومثل.

وقال بعضهم: ناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، ومجمل ومفصّل ، وتأويل لا يعلمه إلا الله عز وجلّ[1].

---

[1]) مجمع البيان ، ج١ ، ص٣٨-٣٩.

وهناك بحث شيق ووافي لموضوع القراءات السبعة أورده الإمام الخوئي (قدس) في تفسير البيان حيث أنّ السيد أخذ الألفاظ في الحديث واحدة بعد أخرى. وفي وجوه الأحرف السبعة:

١.المعاني المتقاربة.

٢.الأبواب السبعة.

٣.الأبواب السبعة في معنى آخر.

٤.اللغات الفصيحة.

٥.لغات مضر.

٦.الاختلاف في القراءات.

٧. الكثرة في الآحاد.

٨.سبع قراءات.

واخترت من بين هذه العناوين :

❖ اللغات الفصيحة:

إن الأحرف السبعة هي اللغات الفصيحة من لغات العرب ، وأنها متفرقة في القرآن ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن ، وبعضه بلغة كنانة ، وبعضه بلغة تميم ، وبعضه بلغة ثقيف ، ونسب هذا القول إلى جماعة ، منهم: البيهقي ، والأبهري ، وصاحب القاموس.

ويرده:

١.أن الروايات المتقدمة قد عينت المراد من الأحرف السبعة ، فلا يمكن حملها على أمثال هذه المعاني التي لا تنطبق على موردها.

٢.إن حمل الأحرف على اللغات ينافي ما روي عن عمر من قوله: نزل القرآن بلغة مضر[1] ، وأنه أنكر على ابن مسعود قراءته ((عتى حين)) أي ((حتى حين))

وكتب إليه أن القرآن لم ينزل بلغة هذيل ، فأقرئ الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل [١].

وما روي عن عثمان أنه قال: ((للرهط القرشيين الثلاثة ، إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم [٢].

وما روي: ((من أن عمر وهشام بن حكيم اختلفا في قراءة سورة الفرقان ، فقرأ هشام قراءة. فقال رسول الله(ﷺ) هكذا أُنزلت ، وقرأ عمر قراءة غير تلك القراءة فقال رسول الله(ﷺ): هكذا أُنزلت ، ثم قال رسول الله(ﷺ): إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف)) [٣].

فإن عمر وهشام كان كلاهما من قريش ، فلم يكن حينئذ ما يوجب اختلافهما في القراءة ، ويضاف إلى جميع ذلك أن حمل الأحرف على اللغات قول بغير علم ، وتحكم من غير دليل.

٣.إن القائلين بهذا القول إن أرادوا أن القرآن اشتمل على لغات أخرى ، كانت لغة قريش خالية منها ، فهذا المعنى خلاف التسهيل على الأمة ، الذي هو الحكمة في نزول القرآن على سبعة أحرف ، على ما نطقت الروايات بذلك ، بل هو خلاف الواقع ، فإن لغة قريش هي اللغة المهيمنة على سائر لغات العرب. وقد جمعت من هذه اللغات ما هو أفصحها ، ولذلك استحقت أن توزن بها العربية ، وأن يرجع إليها في قواعدها.

وإن أرادوا أن القرآن مشتمل على لغات أخرى ولكنها تتحد مع لغة قريش ، فلا وجه للحصر بلغات سبع ، فإن في القرآن ما يقرب من خمسين لغة ، فعن أبي بكر الواسطي: في القرآن من اللغات خمسون لغة ، وهي لغات قريش ، وهذيل ، وكنانة ، وخثم ، والخزرج ، وأشعر وغيره... [٤].

---

١) نفس المصدر.

٢) صحيح البخاري ، ج١ ، ص١٥٦ .كتاب المناقب ، باب نزول القرآن بلسان قريش.

٣) صحيح البخاري ، كتاب الخصومات.

٤) الإتقان ، ج١ ، ص٢٠٤ ، النوع ٣٧.

❖ **لغات مضر** :

إن الأحرف السبعة هي سبع لغات من لغات مضر خاصة ، وإنها متفرقة في القرآن ، وهي لغات قريش ، وأسد ، وكنانة ، وهذيل ، وتميم ، وضبّة ، وقيس.

ويرد عليه جميع ما أوردناه في اللغات الفصيحة.

◆ **الاختلاف في القراءات** :

إن الأحرف السبعة هي وجوه الاختلاف في القراءات. قال بعضهم: إني تدبّرت وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعاً.

- فمنها: ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ ﴿هود:٧٨﴾ بضم أطهر وفتحه.

- ومنها: ما تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب مثل: ﴿رَبُّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ ﴿سبأ:١٩﴾ بصيغة الأمر والماضي.

- ومنها: ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف مثل: ((كالعهن المنفوش)) ، و ((كالصوف المنفوش)).

- ومنها: ما تتغير صورته ومعناه مثل: ((وطلح منضود)) و ((وطلع منضود)).

- ومنها: بالتقديم والتأخير مثل: ((وجاءت سكرة الموت بالحق)) و ((وجاءت سكرة الحق بالموت)).

- ومنها: بالزيادة والنقصان: ((تسع وتسعون نعجة أنثى)) و ((أما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين)). ((فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم)).

ولم يذكر سوى هذه الستة التي وجدوها سبعة.

ويردّه :

١.إن ذلك قول لا دليل عليه ، ولا سيما أن المخاطبين في تلك الروايات لم يكونوا يعرفون من ذلك شيئاً.

٢. إن من وجوه الاختلاف المذكورة ما يتغير فيه المعنى وما لا يتغير ، ومن الواضح أن تغير المعنى وعدمه لا يوجب الانقسام إلى وجهين ، لأن حال اللفظ

والقراءة لا تختلف بذلك ، ونسبة الاختلاف إلى اللفظ في ذلك من قبيل وصف الشيء بحال متعلقة. ولذلك الاختلاف في ((طلح منضود ، وكالعهن المنفوش)) قسماً واحداً.

٣.إن من وجوه الاختلاف المذكور بقاء الصورة للفظ ، وعدم بقائها ، ومن الواضح أيضاً أن ذلك لا يكون سبباً للانقسام ، لأن بقاء الصورة إنما هو في المكتوب لا في المقروء.

والقرآن رسمه للمقروء لا للمكتوب والمنزل من السماء إنما كان لفظاً لا كتابة.

وعلى هذا يكون الاختلاف في ((وطلح. وننشزها)) وجهاً واحداً لا وجهين.

٤.إن صريح الروايات المتقدمة أن القرآن نزل في ابتداء الأمر على حرف واحد. ومن البين أن المراد بهذا الحرف الواحد ليس هو أحد الاختلافات المذكورة فكيف يمكن أن يراد بالسبعة مجموعها.

٥.إن كثيراً من القرآن موضع إتقان بين القراء ، وليس مورداً للاختلاف ، فإذا أضفنا موضع الاتفاق إلى موارد الاختلاف بلغ ثمانية. ومعنى هذا أن القرآن نزل على ثمانية أحرف.

٦.أن مورد الروايات المتقدمة هو اختلاف القراء في الكلمات ، وقد ذكر ذلك في قصة عمر وغيرها. وعلى ما تقدم فهذا الاختلاف حرف واحد من السبعة ، ولا يحتاج رسول الله(ﷺ) في رفع خصومتهم إلى الاعتذار بأن القرآن نزل على الأحرف السبعة ، وهل يمكن أن يحمل نزول جبريل بحرف ، ثم بحرفين ، ثم بثلاثة ، ثم بسبعة على هذه الاختلافات ؟.

وقد أنصف الجزائري في قوله: ((والأقوال في هذه المسألة كثيرة ، وغالبها بعيد عن الصوب)). وكان القائلين بذلك ذهلوا عن مورد حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف ، فقالوا ما قالوا[1].

---

[1]) البيان ، ص١٨٨: نقلاً عن التبيان ، ص٥٩.

◆ **اختلاف القراءات بمعنى آخر** :

إن الأحرف السبعة هي وجوه الاختلاف في القراءة ، ولكن بنحو آخر غير ما تقدم. وهذا القول اختاره الزرقاني ، وحكاه عن أبي الفضل الرازي في اللوائح. فقال: الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف .

الأول: اختلاف الأسماء من افراد ، وتثنية ، وجمع ، وتذكير ، وتأنيث.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ ، ومضارع ، وأمر.

الثالث: اختلاف الوجوه في الإعراب.

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة.

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير.

السادس: الاختلاف بالأبدال.

السابع: اختلاف اللغات ((اللهجات)) كالفتح ، والإمالة ، والترقيق ، والتفخيم ، والإظهار ، والإدغام ، ونحو ذلك.

ويرد عليه:

ما أوردنا فيما تقدم ، ويرده أيضاً: أن الاختلاف في الأسماء يشترك مع الاختلاف في الأفعال في كونهما اختلافاً في الهيئة ، فلا معنى لجعله قسماً آخر مقابلاً له. ولو راعينا الخصوصيات في هذا التقسيم لوجب علينا أن نعد كل واحد من الاختلاف في التثنية ، والجمع ، والتذكير ، والتأنيث ، والماضي ، والمضارع ، والأمر قسماً مستقلاً.

ويضاف إلى ذلك أن الاختلاف في الإدغام ، والإظهار ، والروم ، والإشمام ، والتخفيف والتسهيل في اللفظ الواحد لا يخرجه عن كونه لفظاً واحداً. وقد صرح بذلك ابن قتيبة على ما حكاه الزرقاني عنه [1].

والصحيح أن وجوه الاختلاف في القراءة ترجع إلى ستة أقسام:

الأول: الاختلاف في هيئة الكلمة دون مادتها ، كالاختلاف في لفظة ((باعد)) بين صيغة الماضي والأمر ، وفي كلمة ((أمانتهم)) بين الجمع والأفراد.

---

[1]) البيان ، ص١٩٠ نقلاً عن مناهل العرفان ، ص١٥٤.

الثاني: الاختلاف في مادة الكلمة دون هيئتها ، كالاختلاف في لفظة ((ننشزها)) بين الراء والزاي.

الثالث: الاختلاف في المادة والهيئة كالاختلاف في ((العهن والصوف)).

الرابع: الاختلاف في هيئة الجملة بالإعراب ، كالاختلاف ((وأرجلكم)) بين النصب والجر.

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير ، وقد تقدم مثال ذلك.

السادس: الاختلاف بالزيادة والنقيصة ، وقد تقدم مثاله أيضاً.

◆ **الكثرة في الآحاد** :

إن لفظ السبعة يراد منه الكثرة في الآحاد ، كما يراد من لفظ السبعين والسبعمائة الكثرة في العشرات أو المئات. ونسب هذا القول إلى القاضي عيّاض ومن تبعه.

ويرده :

إن هذا خلاف ظاهر الروايات ، بل خلاف صريح بعضها ، على أن هذا لا يعدّ قولاً مستقلاً عن الوجوه الأخرى ، لأنه لم يعين معنى الحروف فيه ، فلابد وأن يراد من الحروف أحد المعاني المذكورة في الوجوه المتقدمة ، ويرد عليه ما يرد من الإشكال على تلك الوجوه.

◆ **سبع قراءات** :

ومن تلك الوجوه أن الأحرف السبعة ((موضوعة البحث)) هي سبع قراءات.

ويردّه :

إن هذه القراءات السبع إن أريد بها السبع المشهورة ، فقد أوضحنا للقارئ بطلان هذا الاحتمال في البحث عن تواتر القراءات وقد تقدم ذلك في باب نظره في القراءات.

وإن أريد بها قراءات سبع على إطلاقها ، فمن الواضح أن عدد القراءات أكثر من ذلك بكثير ، ولا يمكن أن يوجه ذلك بأن غاية ما ينتهي إليه اختلاف القراءات أكثر من ذلك بكثير ، الواحدة هي السبع ، لأنه إن أريد أن الغالب في كلمات القرآن أن تقرأ على سبعة وجوه فهذا باطل ، لأن الكلمات التي تقرأ على سبعة وجوه قليلة

جداً. وإن أريد أن ذلك موجود في بعض الكلمات وعلى سبيل الإيجاب الجزئي فمن الواضح أن في كلمات القرآن ما يقرأ بأكثر من ذلك فقد قرأت كلمة ((وعبد الطاغوت)) باثنين وعشرين وجهاً ، وفي كلمة ((أُفٍّ)) أكثر من ثلاثين وجهاً. ويضاف إلى ما تقدم أن هذا القول لا ينطبق على مورد الروايات ، ومثله أكثر الأقوال في المسألة.

◆ **اللهجات المختلفة** :

إن الأحرف السبع يراد بها اللهجات المختلفة في لفظ واحد ، اختاره الرافعي في كتابه [1] وتوضيح القول: إن لكل قوم من العرب لهجة خاصة في تأدية الكلمات ، ولذلك نرى العرب يختلفون في تأدية الكلمة الواحدة حسب اختلاف لهجاتهم ، فالقاف في كلمة ((يقول)) مثلاً يبدلها العراقي بالكاف الفارسية ، ويبدلها الشامي بالهمزة ، وقد أُنزل القرآن على جميع هذه اللهجات للتوسعة على الأمة ، لأن الالتزام بلهجة خاصة من هذه اللهجات فيه تضييق على القبائل الأخرى التي لم تألف هذه اللهجة ، والتعبير بالسبع إنما هو رمز إلى ما ألفوه من معنى الكمال في هذه اللفظة ، فلا ينافي ذلك كثرة اللهجات العربية وزيادتها على السبع.

الردّ :

وهذا الوجه – على أنه أحسن الوجوه التي قيلت في هذا المقام – غير تام أيضاً.

١. لأنه ينافي ما ورد عن عمر وعثمان من أن القرآن نزل بلغة قريش ، وأن عمر منع ابن مسعود من قراءة ((عتى حين)).

٢. ولأنه ينافي مخاصمة عمر مع هشام بن الحكيم في القراءة ، مع أن كليهما من قريش.

٣. ولأنه ينافي مورد الروايات ، بل وصراحة بعضها في أن الاختلاف كان في جوهر اللفظ ، لا في كيفية أدائه ، وأن هذا من الأحرف التي نزل بها القرآن.

٤. ولأن حمل لفظ السبع – على ما ذكره خلاف – ظاهر الروايات ، بل وخلاف صريح بعضها.

---

[1] إعجاز القرآن ، ص٧٠.

٥. ولأن هذا القول جواز القراءة فعلاً باللهجات المتعددة ، وهو خلاف السيرة القطعية من جميع المسلمين ، ولا يمكن أن يدّعي نسخ جواز القراءة بغير اللهجة الواحدة المتعارفة ، لأنه قول بغير دليل ، ولا يمكن لقائله أن يستدل على النسخ بالإجماع القطعي على ذلك ، لأن مدرك الإجماع إنما هو عدم ثبوت نزول القرآن على اللهجات المختلفة. فإذا فرضنا ثبوت ذلك كما يقول أصحاب هذا القول فكيف يمكن تحصيل الإجماع على ذلك ؟ مع أن إصرار النبي(ﷺ) على نزول القرآن على سبعة أحرف إنما هو للتوسعة على هذه الأمة ، فكيف يمكن أن يختص ذلك بزمان قليل بعد نزول القرآن ، وكيف يصح أن يقوم على ذلك إجماع أو غيره من الأدلة؟ ومن الواضح أن الأمة – بعد ذلك – أكثر احتياجاً إلى التوسعة ، لأن المعتنقين للإسلام في ذلك الزمان قليلون ، فيمكنهم أن يجتمعوا في قراءة القرآن على لهجة واحدة ، وهذا بخلاف الأزمنة المتأخرة ، ولنقتصر على ما ذكرناه من الأقوال فإن فيه كفاية عن ذكر البقية والتعرض لجوابها وردّها.

وحاصل ما تقدم: أن نزول القرآن على سبعة أحرف لا يرجع إلى معنى صحيح ، فلابد من طرح الروايات الدالة عليه ، ولاسيما بعد أن دلت أحاديث الصادقين(عليهم السلام) على تكذيبها ، وأن القرآن إنما نزل على حرف واحد وأن الاختلاف قد جاء من قبل الرواة.

هذا ما أردت أن أصل إليه في هذا الموضوع وسأعود لذكر الآيات الناسخة والمنسوخة ، إن شاء الله تعالى.

الآيات التي قيل بنسخها

١. آية النجوى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿المجادلة:١٢﴾.

بدأت بهذه الآية المباركة ، لما لها مساس بأعظم شخصية في الإسلام بعد النبي الأعظم(صلى الله عليه وآله) ، ألا وهي شخصية مولاي ومولى المسلمين في أرجاء المعمورة ذلك سيد الموحدين وقائد الغر المحجلين ويعسوب الدين علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، هذه الشخصية التي ظُلمَت من خلال ترك وصية الرسول(صلى الله عليه وآله) ، وهذا ليس بغريب لكن الغريب أنهم جحدوا مناقبه الجمة وسابقته في الإسلام ودفاعه عن الحق ولا يخاف لومة لائم لذا كانت راية رسول الله(صلى الله عليه وآله) في يمينه في جميع حروبه ما عدا غزوة تبوك حيث جعله خليفته على المدينة ، وذلك بأن الله أوحى إليه ((يا محمد إن العلي الأعلى يقرأ عليك ويقول لك إما أن تخرج أنت ويقيم علي وإما أن يخرج علي وتقيم أنت فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله) ذاك لعلي فقال علي السمع والطاعة لأمر الله وأمر رسوله ، وان كنت أحب أن لا أتخلف عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) في حال من الأحوال فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله) أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فقال رضيت يا رسول الله فقال له رسول الله(صلى الله عليه وآله): يا أبا الحسن إن لك أجر خروجك معي في مقامك بالمدينة وإن الله قد جعلك أمة وحدك كما جعل إبراهيم تمنع جماعة المنافقين والكفار هيبتك عن الحركة على المسلمين فلما خرج رسول الله(صلى الله عليه وآله) وشيعة علي(عليه السلام) ، خاض المنافقون وقالوا إنما خلفه محمد بالمدينة لبغضه له ملالة منه وما أراد بذلك إلا أن يبيته المنافقون فيقتلوه ويحاربوه فيهلكوه فاتصل ذلك برسول الله(صلى الله عليه وآله) فقال علي(عليه السلام) تسمع ما يقولون يا رسول الله فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله) أما يكفيك أنك جلدة ما بين عيني ونور بصري وكالروح في بدني))[1].

---

[1] بحار الأنوار ، ج٢١ ، ص٢٥٩-٢٦١.

هكذا كانت مكانة علي بن أبي طالب(عليه السلام) عند الله وعند رسوله(صلى الله عليه وآله)، وهذا مجرد تذكير وإلا مناقب أمير المؤمنين لا تحصى ومن جملتها هذه الآية والتي نزلت وكان المسلمون يكثرون السؤال عن أمور لم تك ذات أهمية وبهذه الأمور كانوا يشغلون النبي(صلى الله عليه وآله) من دون فائدة يرجونها ، فنزلت الآية بفرض صدقة عند كل مسألة ، وكانت فرضاً على الأغنياء دون الفقراء ، فابتعد أصحاب الأموال حفاظاً على أموالهم ، وذكر المفسرون وأصحاب السير لم يعمل بهذه الفريضة سوى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، وذكروا روايات كثيرة وأحاديث العمل بآية النجوى منها:

❖ ففي البحار عن المناقب لابن شهر آشوب :

إن الجود جودان : جود نفسي وجود مالي.

عن شريك والليث والكلبي وأبو صالح والضحاك والزجاج ومقاتل بن حيان ومجاهد وقتادة وابن عباس قالوا: كانت الأغنياء يكثرون مناجاة الرسول فلما نزل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ ﴿المجادلة:١٢﴾ انتهوا ، فاستقرض علي(عليه السلام) دينار وتصدق به فناجى النبي(صلى الله عليه وآله) عشر نجوات ثم نسخته الآية التي بعدها.

قال: أمير المؤمنين(عليه السلام) ، كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم فكان كلما أردت أن أناجي رسول الله(صلى الله عليه وآله) قدمت درهماً نسختها الآية الأخرى.

الواحدي في أسباب نزول القرآن وفي الوسيط أيضاً والثعلبي في الكشف والبيان ما رواه علي بن علقمة ومجاهد أن علياً قال: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا عمل بها أحد بعدي ثم تلا هذه الآية.

وفي جامع الترمذي وتفسير الثعلبي واعتقاد الأشنهي عن الأشجعي والثوري وسالم بن أبي حفصة وعلي بن علقمة الأنماري عن علي(عليه السلام) في هذه الآية:

فبيّ خفف الله ذلك عن هذه الأمة.

وفي مسند الموصلي فبه خفف الله عن هذه الأمة زاد أبو القاسم الكوفي في الرواية أن الله امتحن الصحابة بهذه الآية فتقاعسوا[1] كلهم عن مناجاة الرسول(ﷺ) فكان الرسول احتجب في منزله عن مناجاة أحد إلا من تصدق بصدقة فكان معي دينار وساق(ﷺ) كلامه إلى أن قال فكنت أنا سبب التوبة من الله على المسلمين حين عملت بالآية فنسخت ولو لم أعمل بها حتى كان عملي بها سبباً للتوبة عليهم لنزل العذاب عند امتناع الكل عن العمل بها. وقد استحقوا العذاب لقوله ﴿أَأَشْفَقْتُمْ﴾ وقال مجاهد ما كان إلا ساعة واحدة وقال مقاتل بن حيان كان ذلك ليالي عشر وكانت الصدقة مفوضة إليهم غير مقدرة ، فنسخه الله عنهم قوله ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿المجادلة:١٣﴾.

عن أبي هريرة وابن عمر أنه قال عمر بن الخطاب كان لعلي ثلاث لو كان لي واحدة منهن كانت أحب إليّ من حمر النعم تزويجه فاطمة وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى[2].

إن الأعراض يفوّت المنافع والمصالح العامة ، وحتى تحفظ تلك المنافع رفع الله عنهم وجوب الصدقة بين يدي المناجاة كي تقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، ليكون النفع خاص بالفقراء ، وأمر الله سبحانه وتعالى بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وإطاعة الله ورسوله. ومن هنا لامناص من الالتزام بالنسخ ، وان حكم الآية الأولى رفع ونسخ بالآية الثانية ، فتكون الآية الناسخة ناظرة إلى انتهاء أمد الحكم في الآية المنسوخة ، ولكن هذا ليس له اختصاص بالمصلحة وإنما كان لمانع وهو حرص الأمة على المال ، وهذا الإشفاق من تقديم الصدقة بين يدي المناجاة كان مانعاً من استمرار الحكم ودوامه ، فهذا الحكم بالوجوب نسخ ، والحكم بالترخيص بدله.

قد يقال: كيف جعل الله الحكم ((وجوب الصدقة بين يدي النجوى)) ؟ مع أنه عالم من الأزل بوجود المانع؟.

---

[1] تقاعس الرجل عن الأمر ، أي تأخر ولم يتقدم فيه ، الصحاح.

[2] بحار الأنوار ، ج٤١ ، ص٢٥-٢٧.

نقول: إن نسخ هذا الحكم بعد جعله هو امتحاناً وتنبيهاً للأمة من أجل إتمام الحجة ، بما أظهروا إثارة المال على مناجاة الرسول(صلى الله عليه وآله). وهذا الحكم لم يعمل به سوى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، والمناجاة وتركها ليس فيه معصية لله ، كون المناجاة لم تكن واجبة ، والصدقة ووجوبها كان بشرط المناجاة ، فعدم حصول المناجاة لا وجوب للصدقة وإذا تركت المناجاة لا معصية ، إلا أن الاهتمام بالمال كان أكثر من الاهتمام بالمناجاة.

ومن هنا يصدق على الآية أنه رفع حكمها الامتحاني بالآية الثانية فلا تكون ناسخة بالمعنى الاصطلاحي ، بل يكون النسخ بالمعنى اللغوي ، وهذا كشف منّه الله سبحانه على عباده واتضح عدم اهتمامهم بمناجاة النبي(صلى الله عليه وآله) ، وإظهاراً لمقام أمير المؤمنين(عليه السلام) من بين كافة المسلمين ، فالآية كانت أمراً امتحانياً كأمر إبراهيم يذبح إسماعيل(عليه السلام).

فقد جاء عن طريق الخاصة والعامة أن المناجي للرسول هو أمير المؤمنين(عليه السلام) دون الناس أجمعين فهي فضيلة له من وجهتين. سد خلّة بعض الفقراء ، ومن جهة محبة نجوى الرسول(صلى الله عليه وآله) ففيها القرب منه ، وسواء كان هذا الأمر حقيقياً أم امتحانياً فبه ظهر فضله سلام الله عليه ((وإظهار أن نجواه أحب إلى المناجي من المال))[1].

وبهذا أكتفي في موضوع آية النجوى والله أعلم.

وما دمنا في رحاب سيد الموحدين ووصي رسول رب العالمين ويعسوب الدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) عندما كان يجيب عن أسئلة شيعته وقد سألوه عن الناسخ والمنسوخ وقد مرّ عليك كلامه في ذلك عندما كنا نتكلم عن معنى النسخ ، فكانت الشيعة إذا تفرغت من تكاليفها تسأله عن قسم قسم فيخبرها ، فمما سألوه عن الناسخ والمنسوخ فقال صلوات الله عليه :

إن الله تبارك وتعالى بعث رسوله(صلى الله عليه وآله) بالرأفة والرحمة فكان من رأفته ورحمته أنه لم ينقل قومه في أول نبوته عن عادتهم حتى استحكم الإسلام في قلوبهم وحلّت الشريعة في صدورهم فكانت من شريعتهم في الجاهلية أن المرأة إذا زنت حبست في

---

[1] البيان في تفسير القرآن ، للإمام الخوئي ، ص٣٧٩ – ٣٨٠.

بيت وأقيم بأودها حتى يأتي الموت وإذا زنى الرجل نفوه عن مجالسهم وشتموه وآذوه وعيروه ولم يكونوا يعرفون غير هذا.

١. قال الله تعالى في أول الإسلام :

﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ❖ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ﴿النساء:١٥-١٦﴾.

فلما كثر المسلمون وقوي الإسلام واستوحشوا أمور الجاهلية أنزل الله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ﴿النور:٢﴾ إلى آخر الآية فنسخت هذه الآية آية الحبس والأذى.

٢. ومن ذلك أن العدة كانت في الجاهلية على المرأة سنة كاملة وكان إذا مات الرجل ألقت المرأة خلف ظهرها شيئاً بعرة وما جرى مجراها ثم قالت البعل أهون عليَ من هذه فلا أكتحل ولا أمتشط ولا أتطيب ولا أتزوج سنة فكانوا لا يخرجونها من بيتها بل يجرون عليها من تركة زوجها سنة فأنزل الله تعالى في أول الإسلام: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ ﴿البقرة:٢٤٠﴾ فلما قوي الإسلام أنزل الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿البقرة:٢٣٤﴾ إلى آخر الآية.

٣. ثم قال (عليه السلام) : ومن ذلك أن الله تبارك وتعالى لما بعث محمداً(صلى الله عليه وآله) أمره في بدو أمره أن يدعوا بالدعوة فقط وأنزل عليه :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ❖ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ❖ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ❖ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿الأحزاب:٤٥-٤٨﴾.

فبعث بالدعوة فقط وأمره أن لا يؤذيهم.

فلما أرادوه بما هموا به من تبييته، أمره الله تعالى بالهجرة وفرض عليه القتال ، قال سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ﴿الحج:٣٩﴾ فلما أمر الناس بالحرب جزعوا وخافوا فأنزل الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ❖ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾﴿النساء:٧٧-٧٨﴾.

فنسخت آية القتال آية الكف.

٤. فلما كان يوم بدر وعرف الله تعالى حرج المسلمين أنزل على نبيه:

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ﴿الأنفال:٦١﴾.

فلما قوي الإسلام وكثر المسلمون أنزل الله: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿محمد:٣٥﴾.

فنسخت هذه الآية التي أذن لهم فيها أن يجنحوا ثم أنزل سبحانه وتعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ ﴾ ﴿التوبة:٥﴾ إلى آخر الآية.

٥. ومن ذلك أن الله تعالى فرض القتال على الأمة فجعل على الرجل الواحد أن يقاتل عشرة من المشركين فقال: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ ﴿الأنفال:٦٥﴾ إلى آخر الآية ثم نسخها سبحانه فقال: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ ﴿الأنفال:٦٦﴾ إلى آخر الآية فنسخ بهذه الآية ما قبلها فصار من فرّ من المؤمنين في الحرب إن كان عدد المشركين أكثر من رجلين لرجل لم يكن فاراً من الزحف وإن كان العدة رجلين لرجل فاراً من الزحف.

٦. وقال ومن ذلك نوع آخر وهو أن رسول الله(ﷺ) لما هاجر إلى المدينة آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار وجعل المواريث على الأخوة في الدين لا في ميراث الأرحام وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ ﴿الأنفال:٧٢﴾.

فأخرج الأقارب من الميراث وأثبته لأهل الهجرة وأهل الدين خاصة ثم عطف بالقول فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿الأنفال:٧٣﴾ ، فكان من مات من المسلمين يصير ميراثه وتركته لأخيه في الدين دون القرابة والرحم الوشيجة فلما قوي الإسلام أنزل الله:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ ﴿الأحزاب:٦﴾ ، فهذا المعنى نسخ آية الميراث.

٧. ومنه وجه آخر وهو أن رسول الله(ﷺ) لما بُعث كانت الصلاة إلى قبلة بيت المقدس سنة بني إسرائيل وقد أخبرنا الله بما قصه في ذكر موسى(عليه السلام) أن يجعل بيته قبلة وهو قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ ﴿يونس:٨٧﴾ ، وكان رسول الله(ﷺ) في أول مبعثه يصلي إلى بيت المقدس جميع أيام مقامه بمكة وبعد هجرته إلى المدينة بأشهر فعيرته اليهود وقالوا أنت تابع لقبلتنا فأحزن رسول الله(ﷺ) ذلك منهم فأنزل الله تعالى عليه وهو يقلب وجهه في السماء وينتظر الأمر ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ ﴿البقرة:١٤٤﴾ لئلا يكون للناس عليكم حجة يعني اليهود في هذا الموضع.

ثم أخبرنا الله عز وجل بالعلة التي من أجلها لم يحول قبلته من أول مبعثه فقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ

يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿البقرة:١٤٣﴾. فسمى سبحانه الصلاة هاهنا إيماناً وهذا دليل واضح على أن كلام الباري سبحانه لا يشبه كلام الخلق كما لا يشبه أفعاله أفعالهم ولهذه العلة وأشباهها لا يبلغ أحد كنه معنى حقيقة تفسير كتاب الله تعالى وتأويله إلا نبيه(ﷺ) وأوصياؤه.

٨. ومن ذلك ما كان مثبتاً في التوراة من الفرائض في القصاص وهو قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ...﴾ ﴿المائدة:٤٥﴾ إلى آخر الآية. فكان الذكر والأنثى والحر والعبد شرعاً سواء فنسخ الله تعالى ما في التوراة بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ ﴿البقرة:١٧٨﴾ فنسخت هذه الآية: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾.

٩. ومن ذلك أيضاً آصار غليظة كانت على بني إسرائيل في الفرائض فوضع الله تعالى تلك الآصار عنهم وعن هذه الأمة فقال سبحانه: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿الأعراف:١٥٧﴾.

١٠. ومنه أنه تعالى لما فرض الصيام فرض أن لا ينكح الرجل أهله في شهر رمضان بالليل ولا بالنهار على معنى صوم بني إسرائيل في التوراة فكان ذلك محرماً على هذه الأمة وكان الرجل إذا نام في أول الليل قبل أن يفطر فقد حرم عليه الأكل بعد النوم أفطر أو لم يفطر.

وكان رجل من أصحاب رسول الله(ﷺ) يعرف بـ ((مطعم بن جبير)) شيخاً فكان في الوقت الذي حضر فيه الخندق حفر في جملة المسلمين وكان ذلك في شهر رمضان فلما فرغ من الحفر وراح إلى أهله صلى المغرب وأبطأت عليه زوجته بالطعام فغلب عليه النوم فلما أحضرت إليه الطعام أنبهته فقال لها استعمليه أنت فإني نمت وحرم عليّ وطوى إليه وأصبح صائماً فغدا إلى الخندق وجعل يحفر مع الناس فغشي عليه فسأله رسول الله(ﷺ) عن حاله فأخبره وكان من المسلمين شبان ينكحون نساءهم بالليل سراً لقلة صبرهم فسأل النبي الله سبحانه في ذلك فأنزل الله عليه:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ ﴿البقرة:١٨٧﴾ فنسخت هذه الآية ما تقدمها.

١١. ونسخ قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿الذاريات:٥٦﴾ قوله عز وجل ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ❖ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ ﴿هود:١١٨-١١٩﴾ أي للرحمة خلقهم.

١٢. ونسخ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ ﴿النساء:٨﴾ ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ﴿النساء:٨﴾، قوله سبحانه: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ ﴿النساء:١١﴾ إلى آخر الآية.

١٣. ونسخ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿آل عمران:١٠٢﴾ نسخها قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ﴿التغابن:١٦﴾.

١٤. ونسخ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ ﴿النحل:٦٧﴾ آية التحريم وهو قوله جلّ ثناؤه ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ﴿الأعراف:٣٣﴾ والإثم هاهنا هو الخمر.

١٥. ونسخ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿مريم:٧١﴾ قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ❖ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ❖ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ ﴿الأنبياء:١٠١-١٠٣﴾.

١٦. ونسخ قوله سبحانه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ ﴿البقرة:٨٣﴾، يعني اليهود حين هادنهم رسول الله(ﷺ) فلما رجع من غزاة تبوك أنزل الله تعالى:

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ﴿التوبة:٢٩﴾ فنسخت هذه الآية تلك الهدنة.

وسئل صلوات الله عليه عن أول ما أنزل الله عز وجل من القرآن فقال(عليه السلام): أول ما أنزل الله عز وجل من القرآن بمكة سورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿العلق:١﴾ وأول ما نزل بالمدينة سورة البقرة.

ثم سألوه صلوات الله عليه عن تفسير المحكم في كتاب الله عز وجل فقال أما المحكم الذي لم ينسخه شيء من القرآن فهو قول الله عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ ﴿آل عمران:٧﴾.

وإنما هلك الناس في المتشابه لأنهم لم يقفوا على معناه ولم يعرفوا حقيقته فوضعوا له تأويلات من عند أنفسهم بآرائهم واستغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء ونبذوا قول رسول الله(صلى الله عليه وآله) وراء ظهورهم. والمحكم مما ذكرته في الأقسام مما تأويله في تنزيله من تحليل ما أحل الله سبحانه في كتابه وتحريم ما حرم الله من المآكل والمشارب والمناكح.

❖ ومنه ما فرض الله عز وجل من الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ومما دلهم به مما لا غنا بهم عنه في جميع تصرفاتهم مثل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ ﴿المائدة:٦﴾ ، وهذا من المحكم الذي تأويله في تنزيله لا يحتاج في تأويله إلى أكثر من التنزيل ومنه قوله عز وجل:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ ﴿المائدة:٣﴾. فتأويله في تنزيله.

❖ ومنه قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ﴾ ﴿النساء:٢٣﴾ إلى آخر الآية فهذا كله محكم لم ينسخه شيء قد استغني بتنزيله من تأويله وكل ما يجري هذا المجرى.

♦ ثم سألوه(عليه السلام) عن المتشابه من القرآن فقال: وأما المتشابه من القرآن فهو الذي انحرف منه متفق اللفظ مختلف المعنى مثل قوله عز وجل: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿المدثر:٣١﴾ فنسب الضلالة إلى نفسه في هذا الموضع وهذا ضلالهم عن طريق الجنة بفعلهم ونسبه إلى الكفار في موضع آخر ونسبه إلى الأصنام في آية أخرى.

فمعنى الضلالة على وجوه فمنه : ❖ ما هو محمود. ❖ ومنه ما هو مذموم. ❖ ومنه ما ليس بمحمود ولا مذموم. ❖ ومنه ضلال النسيان ، فالضلال المحمود هو المنسوب إلى الله تعالى وقد بيناه، والمذموم قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ ﴿طه:٨٥﴾، وقوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ ﴿طه:٧٩﴾ ومثل ذلك في القرآن كثير.

وأما الضلال المنسوب إلى الأصنام فقوله تعالى في قصة إبراهيم(عليه السلام): ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ❖ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ ﴿إبراهيم:٣٥-٣٦﴾ الآية، والأصنام لم تضلنّ أحداً على الحقيقة وإنما ضل الناس بها وكفروا حين عبدوها من دون الله عز وجل.

وأما الضلال الذي هو النسيان فهو قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ ﴿البقرة:٢٨٢﴾.

وقد ذكر الله تعالى الضلال في مواضع من كتابه فمنه ما نسبه إلى نبيه على ظاهر اللفظ كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ﴿الضحى:٧﴾، معناه وجدناك في قوم لا يعرفون نبوتك فهديناهم بك.

وأما الضلال المنسوب إلى الله تعالى الذي هو ضد الهدى والهدى هو البيان وهو معنى قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ ﴿السجدة:٢٦﴾، معناه أي ألم أبين لهم مثل قوله سبحانه ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ ﴿فصلت:١٧﴾ أي بينا لهم.

وجه آخر وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ ﴿التوبة:١١٥﴾ وأما معنى الهدى فقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ﴿الرعد:٧﴾، ومعنى الهادي هاهنا المبين لما جاء به المنذر من عند الله.

وقد احتج قوم من المنافقين على الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ ﴿البقرة:٢٦﴾ وذلك أن الله تعالى لما أنزل على نبيه(صلى الله عليه وآله): ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ﴿الرعد:٧﴾ فقال طائفة من المنافقين فإذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً فأجابهم الله تعالى بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿البقرة:٢٦﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿البقرة:٢٧﴾.

فهذا معنى الضلال المنسوب إليه تعالى لأنه أقام لهم الإمام الهادي لما جاء به المنذر فخالفوه وصرفوا عنه بعد أن أقروا بفرض طاعته ولما بيّن لهم ما يأخذون وما يذرون فخالفوه ضلوا هذا مع علمهم بما قاله النبي(صلى الله عليه وآله) وهو قوله لا تصلوا عليّ صلاة مبتورة إذا صليتم عليّ بل صلوا على أهل بيتي ولا تقطعوهم مني فإن كل نسب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي[1] ولما خالفوا الله تعالى ضلوا وأضلوا فحذر الله تعالى الأمة من إتباعهم.

وقال سبحانه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ﴿المائدة:٧٧﴾ والسبيل هاهنا الوصي وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا

---

١) أمالي الطوسي ، المجلس الثاني عشر ، ص٣٤٠. وفي البحار ، ج٩٣ ، ص١٤ ((ولا تقطعوهم مني فإن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي)).

السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ ﴿الأنعام:١٥٣﴾ فخالفوا ما وصاهم به الله تعالى واتبعوا أهواءهم فحرفوا دين الله جلّت عظمته وشرائعه وبدلوا فرائضه وأحكامه وجميع ما أمروا به كما عدلوا عمن أمروا بطاعته وأخذ عليهم العهد بموالاتهم واضطرهم ذلك إلى استعمال الرأي والقياس فزادهم ذلك حيرة والتباساً.

وأما قوله سبحانه: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿المدثر:٣١﴾. فكان تركهم اتباع الدليل الذي أقام الله لهم ضلالة لهم فصار ذلك كأنه منسوب إليه تعالى لما خالفوا أمره في اتباع الإمام ثم افترقوا واختلفوا ولعن بعضهم بعضاً واستحل بعضهم دماء بعض فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى يؤفكون.

ولما أردت قتل الخوارج بعد أن أرسلت إليهم ابن عباس لإقامة الحجة عليهم قلت يا معشر الخوارج أنشدكم الله ألستم تعلمون أن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً ومحكماً ومتشابهاً وخاصاً وعاماً قالوا: اللهم نعم فقلت اللهم اشهد عليهم ثم قلت أنشدكم الله هل تعلمون ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وخاصه وعامه قالوا: اللهم لا قلت أنشدكم الله هل تعلمون أني أعلم ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وخاصه وعامه قالوا: اللهم نعم فقلت من أضل منكم إذ قد أقررتم بذلك ثم قلت اللهم إنك تعلم أني حكمت فيهم بما أعلمه.

ثم قال صلوات الله عليه وأوصاني رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقال يا عليّ إن وجدت فئة تقاتل بهم فاطلب حقك وإلا فالزم بيتك فإني قد أخذت لك العهد يوم غدير خم بأنك خليفتي ووصيي وأولى الناس بالناس من بعدي فمثلك كمثل بيت الله الحرام يأتونك الناس ولا تأتيهم[1].

يا أبا الحسن حقيق على الله أن يدخل أهل الضلال[2] الجنة وإنما أعني بهذا المؤمنين الذين قاموا في زمن الفتنة على الائتمام بالإمام الخفي المكان المستور عن

---

[1] البحار ، ج٩٣ ، ص١٥.

[2] هذه الجملة يأتي بيانها بعد فقرات.

الأعيان فهم بإمامته مقرون وبعروته مستمسكون ولخروجه منتظرون موقنون غير شاكين صابرون مسلمون وإنما ضلوا عن مكان إمامهم وعن معرفة شخصه.

يدل على ذلك أن الله تعالى إذا حجب عن عباده عين الشمس التي جعلها دليلاً على أوقات الصلاة فموسع عليهم تأخير الوقت ليتبين لهم الوقت بظهورها ويستيقنوا أنه قد زالت فكذلك المنتظر لخروج الإمام(عليه السلام) المتمسك بإمامته موسع عليه جميع فرائض الله الواجبة عليه مقبولة منه بحدودها غير خارج عن معنى ما فرض عليه فهو صابر محتسب لا تضره غيبة إمامه.

ثم سألوه صلوات الله عليه عن لفظ الوحي في كتاب الله تعالى فقال منه وحي النبوة ومنه وحي الإلهام ومنه وحي الإشارة ومنه وحي أمر ومنه وحي كذب ومنه وحي تقدير ومنه وحي خبر ومنه وحي الرسالة.

- فأما تفسير وحي النبوة والرسالة فهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ﴿النساء:١٦٣﴾ إلى آخر الآية.
- وأما وحي الإلهام فقوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ﴿النحل:٦٨﴾، ومثله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ ﴿القصص:٧﴾.
- وأما وحي الإشارة فقوله عز وجلّ: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ﴿مريم:١١﴾ أي أشار إليهم لقوله تعالى: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ ﴿آل عمران:٤١﴾.
- وأما وحي التقدير فقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ ﴿فصلت:١٢﴾ ، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ ﴿فصلت:١٠﴾.
- وأما وحي الأمر فقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ ﴿المائدة:١١١﴾.
- وأما وحي الكذب فقوله عز وجلّ: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ ﴿الأنعام:١١٢﴾ إلى آخر الآية.

- وأما وحي الخبر فقوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ ﴿الأنبياء:٧٣﴾.

وسألوه صلوات الله عليه عن متشابه الخلق فقال هو على ثلاثة أوجه ورابع فمنه خلق الاختراع فقوله سبحانه: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ﴿الأعراف:٥٤﴾.

وأما خلق الاستحالة فقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ﴿الزمر:٦﴾. وقوله تعالى:﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ ﴿الحج:٥﴾ ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ ﴿الحج:٥﴾.

وأما خلق التقدير فقوله لعيسى(عليه السلام): ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ ﴿المائدة:١١٠﴾ إلى آخر الآية.

وأما خلق التغيير فقوله تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ ﴿النساء:١١٩﴾.

وسألوه(عليه السلام) عن المتشابه في تفسير الفتنة فقال:

﴿الم ❖ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ﴿العنكبوت:١-٢﴾. وقوله لموسى(عليه السلام) ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ ﴿طه:٤٠﴾.

ومنه فتنة الكفر وهو قوله تعالى:﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ ﴿التوبة:٤٨﴾ وقوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ ﴿البقرة:٢١٧﴾ يعني هاهنا الكفر ، وقوله سبحانه في الذين استأذنوا رسول الله(صلى الله عليه وآله) في غزوة تبوك أن يتخلفوا عنه من المنافقين فقال الله تعالى فيهم :

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ ﴿التوبة:٤٩﴾ يعني ائذن لي ولا تكفرني فقال عز وجلّ: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ﴿التوبة:٤٩﴾.

ومنه فتنة العذاب وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ ﴿الذاريات:١٣﴾ أي يعذبون ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿الذاريات:١٤﴾ أي ذوقوا عذابكم.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ ﴿البروج:١٠﴾ أي عذبوا المؤمنين.

ومنه فتنة المحبة للمال والولد كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ﴿التغابن:١٥﴾ أي إنما حبكم لها فتنة لكم.

ومنه فتنة المرض وهو قوله سبحانه: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿التوبة:١٢٦﴾ أي يمرضون ويعتلون.

وسألوه صلوات الله عليه عن المتشابه في القضاء فقال هو عشرة أوجه مختلفة المعنى :

- ❖ فمنه قضاء فراغ.
- ❖ وقضاء عهد.
- ❖ ومنه قضاء إعلام.
- ❖ ومنه قضاء فعل.
- ❖ ومنه قضاء إيجاب.
- ❖ ومنه قضاء كتاب.
- ❖ ومنه قضاء إتمام.
- ❖ ومنه قضاء حكم وفصل.
- ❖ ومنه قضاء خلق.
- ❖ ومنه قضاء نزول الموت.

أما تفسير قضاء الفراغ من الشيء : فهو قوله تعالى:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ ﴿الأحقاف:٢٩﴾، معنى ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ أي فلما فرغ وكقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ﴿البقرة:٢٠٠﴾.

أما قضاء العهد: فقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ﴿الإسراء:٢٣﴾، أي عهد ومثله في سورة القصص ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ ﴿القصص:٤٤﴾ أي عهدنا إليه.

أما قضاء الإعلام : فهو قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ ﴿الحجر:٦٦﴾ وقوله سبحانه:﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ ﴿الإسراء:٤﴾ أي أعلمناهم في التوراة ما هم عاملون.

أما قضاء الفعل : فقوله تعالى في سورة طه: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ ﴿طه:٧٢﴾ أي أفعل ما أنت فاعل ومنه في سورة الأنفال:﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ ﴿الأنفال:٤٢﴾ أي يفعل ما كان في علمه السابق ومثل هذا في القرآن كثير.

أما قضاء الإيجاب للعذاب : كقوله تعالى في سورة إبراهيم(عليه السلام): ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ﴿إبراهيم:٢٢﴾ أي لما وجب العذاب ومثله في سورة يوسف(عليه السلام) ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ ﴿يوسف:٤١﴾ معناه أي وجب الأمر الذي عنه تساءلان.

أما قضاء الكتاب والحتم : فقوله تعالى في قصة مريم:﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿مريم:٢١﴾ أي معلوماً.

وأما قضاء الإتمام : فقوله تعالى في سورة القصص:﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ ﴿القصص:٢٩﴾ أي فلما أتم شرطه الذي شارطه عليه وكقول موسى(عليه السلام) ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ ﴿القصص:٢٨﴾ معناه إذا أتممت.

وأما قضاء الحكم : فقوله تعالى: ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الزمر:٧٥﴾ أي حكم بينهم وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿غافر:٢٠﴾ وقوله

سبحانه: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ ﴿الأنعام:٥٧﴾[1] وقوله تعالى في سورة يونس:﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ ﴿يونس:٥٤﴾.

وأما قضاء الخلق : فقوله سبحانه:﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ﴿فصلت:١٢﴾ أي خلقهن.

وأما قضاء إنزال الموت : فكقول أهل النار في سورة الزخرف ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ ﴿الزخرف:٧٧﴾ أي لينزل علينا الموت ومثله في قصة سليمان بن داود ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ ﴿سبأ:١٤﴾ يعني تعالى لما أنزلنا عليه الموت.

وسألوه صلوات الله عليه عن أقسام النور في القرآن قال: النور القرآن والنور اسم من أسماء الله تعالى والنور النورية والنور القمر والنور ضوء المؤمن وهو المولاة التي يلبس بها نوراً يوم القيامة والنور في مواضع من التوراة والإنجيل والقرآن حجة الله عز وجل على عباده وهو المعصوم ولما كلم الله تعالى ابن عمران أخبر بني إسرائيل فلم يصدقوه فقال لهم ما الذي يصحح ذلك عندكم قالوا سماعه قال فاختاروا سبعين رجلاً من خياركم.

فلما خرجوا معه أوقفهم وتقدم فجعل يناجي ربه ويعظمه فلما كلمه قال لهم أسمعتم قالوا بلى ولكنا لا ندري أهو كلام الله أم لا فليظهر لنا حتى نراه فنشهد لك عند بني إسرائيل فلما قالوا ذلك صعقوا فماتوا.

فلما أفاق موسى مما تغشاه ورآهم جزع وظن أنهم إنما أهلكوا بذنوب بني إسرائيل فقال يا رب أصحابي وأخواني آنست بهم وآنسوا بيَ وعرفتهم وعرفوني ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ ﴿الأعراف:١٥٥﴾، فقال تعالى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ﴿الأعراف:١٥٦﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ

---

[1] في الأصل ((والله يقضي بالحق وهو خير الفاصلين)) والصحيح ما أثبتناه : جاء في البحار ، ج٩٣ ، ص٢٠.

يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿الأعراف:١٥٧﴾ فالنور في هذا الموضع هو القرآن.

ومثله في سورة التغابن قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ ﴿التغابن:٨﴾ يعني سبحانه القرآن وجميع الأوصياء المعصومين حملة كتاب الله عز وجل وخزنته وتراجمته الذين نعتهم الله في كتابه فقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ ﴿آل عمران:٧﴾ وهم المنعوتون الذين أنار الله بهم البلاد وهدى بهم العباد قال الله تعالى في سورة النور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ ﴿النور:٣٥﴾ إلى آخر الآية فالمشكاة رسول الله(صلى الله عليه وآله) والمصباح الوصي والأوصياء(عليهم السلام) والزجاجة فاطمة والشجرة المباركة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والكوكب الدري القائم المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً.

ثم قال تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ ﴿النور:٣٥﴾ أي ينطق به ناطق ثم قال تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿النور:٣٥﴾.

ثم قال عز وجل ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ❖ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ ﴿النور:٣٦-٣٧﴾. وهم الأوصياء.

وقال الله تبارك وتعالى في سورة الأنعام في ذكر التوراة وأنها نور: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ ﴿الأنعام:٩١﴾. وقال الله تعالى في سورة يونس: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ ﴿يونس:٥﴾ ، ومثله في سورة نوح(عليه السلام) قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ ﴿نوح:١٦﴾ ، وقال سبحانه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ ﴿الأنعام:١﴾ يعني الليل والنهار وقال سبحانه في سورة البقرة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ﴿البقرة:٢٥٧﴾ يعني من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان فسمي الإيمان هاهنا نوراً ومثله في سورة إبراهيم(عليه السلام) ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ﴿إبراهيم:١﴾.

وقال عز وجل في سورة الصف: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿الصف:٨﴾.

وفي سورة براء: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿التوبة:٣٢﴾ يعني نور الإسلام بكفرهم وجحودهم ، وقال سبحانه في سورة النساء:﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ ﴿النساء:١٧٤﴾ ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿النور:٣٥﴾ ، وقال سبحانه في سورة الحديد في ذكر المؤمنين ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ﴿الحديد:١٢﴾.

وفيها ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ ﴿الحديد:١٣﴾ أي نمشي في ضوئكم ومثل هذا في القرآن كثير.

وسألوه صلوات الله عليه عن أقسام الأمة في كتاب الله تعالى فقال قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ ﴿البقرة:٢١٣﴾. منها الأمة أي الوقت المؤقت كقوله سبحانه في سورة يوسف: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ ﴿يوسف:٤٥﴾ أي بعد وقت. وقوله تعالى:﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ ﴿هود:٨﴾ أي إلى وقت معلوم والأمة هي الجماعة، قال الله تعالى:﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ ﴿القصص:٢٣﴾ والأمة الواحد من المؤمنين، قال الله تعالى:﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ ﴿النحل:١٢٠﴾ ، والأمة جمع دواب وجمع طيور قال الله تعالى:﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ ﴿الأنعام:٣٨﴾ أي جماعات يأكلون ويشربون ويتناسلون وأمثال ذلك.

وسألوه صلوات الله عليه عن الخاص والعام في كتاب الله تعالى فقال إن من كتاب الله تعالى آيات لفظها الخصوص والعموم ومنه آيات لفظها لفظ الخاص ومعناه عام ومن ذلك لفظ عام يريد به الله تعالى العموم وكذلك الخاص أيضاً.

فأما ما ظاهره العموم ومعناه الخصوص فقوله عز وجل ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿البقرة:٤٧﴾.

فهذا اللفظ يحتمل العموم ومعناه الخصوص لأنه تعالى إنما فضلهم على عالم أزمانهم بأشياء خصهم بها مثل المن والسلوى والعيون التي فجرها لهم من الحجر وأشباه ذلك ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿آل عمران:٣٣﴾ أراد الله تعالى أنه فضلهم على عالمي زمانهم وكقوله تعالى:

﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿النمل:٢٣﴾ يعني سبحانه بلقيس وهي مع هذا لم تؤت أشياء كثيرة مما فضل الله تعالى به الرجال على النساء ومثل قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ ﴿الأحقاف:٢٥﴾ يعني الريح وقد تركت أشياء كثيرة لم تدمرها.

ومثل قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ ﴿البقرة:١٩٩﴾ أراد سبحانه بعض الناس وذلك أن قريشاً كانت في الجاهلية تفيض من المشعر الحرام ولا يخرجون إلى عرفات كسائر العرب فأمرهم الله سبحانه أن يفيضوا من حيث أفاض رسول الله(ﷺ) وأصحابه وهم في هذا الموضع الناس على الخصوص وارجعوا عن سنتهم.

وقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ ﴿النساء:١٦٥﴾ يعني بالناس هاهنا اليهود فقط وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿الأنفال:٢٧﴾ وهذه الآية نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر ، وقوله عز وجل: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ ﴿التوبة:١٠٢﴾ نزلت في أبي لبابة وإنما هو رجل واحد.

وقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ ﴿الممتحنة:١﴾ نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وهو رجل واحد فلفظ الآية عام ومعناها خاص وان كانت جارية في الناس.

وقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ﴿آل عمران:١٧٣﴾ نزلت هذه الآية في نعيم بن مسعود الأشجعي وذلك أن رسول الله(ﷺ) لما رجع من غزاة أحد وقد قُتل عمه حمزة وقُتل من المسلمين من قُتل وجُرح من جُرح وانهزم من انهزم ولم ينله القتل والجرح أوحى الله تعالى إلى رسول الله(ﷺ) أن اخرج في وقتك هذا لطلب قريش ولا تخرج معك من أصحابك إلا كل من كانت به جراحة فأعلمهم بذلك فخرجوا معه على ما كان بهم من الجراح حتى نزلوا منزلاً يقال له حمراء الأسد[١] وكانت قريش قد جدت السير فرقاً فلما بلغهم خروج رسول الله(ﷺ) في طلبهم خافوا فاستقبلهم رجل من أشجع يقال له نعيم بن مسعود يريد المدينة فقال له أبو سفيان صخر بن حرب يا نعيم هل لك أن أضمن لك عشر قلائص[٢] وتجعل طريقك على حمراء الأسد فتخبر محمداً أنه قد جاء مدد كثير من حلفائنا من العرب كنانة وعشيرتهم والأحابيش[٣] وتهول عليهم ما استطعت فلعلهم يرجعون عنا.

---

١) حمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة إليه انتهى رسول الله(ﷺ) يوم أحد في طلب المشركين. معجم البلدان.

٢) قلائص : جمع قلوص وهي الفتيّة من الإبل ، بمنزلة الجارية الفتاة من النساء ، - وقلص - أصلٌ صحيح يدل على انضمام شيءٍ بعضه إلى بعض سُميت قلوصاً لتجمع خلقها ، كأنها تقلصت من أطرافها حتى تجمعت. وبها سُميت القلوص من الإبل وهي الفتية المجتمعة الخلق. لسان العرب ، ج٧. مقاييس اللغة ، ج٥.

٣) الأحابيش : جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة ، الصحاح.

بطنٌ اختلف فيه فقال ابن قتيبة: هم بنو المصطلق والحياء بن سعد بن عمرو ، وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا بذنب ((حُبشي)) وهو جبل بأسفل مكة ، وتحالفوا بالله إنا ليدٌ على غيرنا ، ما سجى ليل ، ووضح نهار ، وما سار حُبشي مكانه ، فسموا أحابيش قريش باسم الجبل. وقال حماد الراوية: سموا أحابيش لاجتماعهم والتجمع في كلام العرب هو: التحبش. وقال الجوهري: بطنٌ من قريش. وقال الفدّاء: من بطون كنانة بن خزيمة ، ثم قال وليسوا من الحبشة كما يتوهم بعضهم.

والأحابيش هم : بنو الهون بن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناف من كنانة وبنو المصطلق من خزاعة ، فلما سميت تلك الأحياء بالأحابيش من تجمعها سار التحبيش في الكلام التجمع. معجم قبائل العرب ، ج١ . المعارف لابن قتيبة ، ص٦١٦.

فأجابه إلى ذلك وقصد حمراء الأسد فأخبر رسول الله(ﷺ) بذلك وان قريشاً يصبحون بجمعهم الذي لا قوام لكم به فاقبلوا نصيحتي وارجعوا فقال أصحاب رسول الله(ﷺ) حسبنا الله ونعم الوكيل إعلم إنا لا نبالي بهم فأنزل الله سبحانه على رسوله:﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ❖ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ﴿آل عمران:١٧٢-١٧٣﴾ وإنما كان القائل لهم نعيم بن مسعود فسماه الله تعالى باسم جميع الناس وهكذا كل ما جاء تنزيله بلفظ العموم ومعناه الخصوص.

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ﴿المائدة:٥٥﴾ وأما ما لفظه خصوص ومعناه عموم فقوله عز وجل: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ﴿المائدة:٣٢﴾ فنزل لفظ الآية خصوصاً في بني إسرائيل وهو جارٍ على جميع الخلق عاماً لكل العباد من بني إسرائيل وغيرهم من الأمم ومثل هذا كثير في كتاب الله.

وقوله سبحانه: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿النور:٣﴾ نزلت هذه الآية في نساء كنّ بمكة معروفات بالزنا منهنّ سارة وحنتمة ورباب حرم الله تعالى نكاحهنّ فالآية جارية في كل من كان من النساء مثلهنّ ومثله قوله سبحانه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ﴿الفجر:٢٢﴾ ومعناه جميع الملائكة.

وأما ما لفظه ومعناه مستقبل فمنه ذكره عز وجل أخبار القيامة والبعث والنشور والحساب فلفظ الخبر ما قد كان ومعناه أنه سيكون قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ

وحبيش جبل بمكة وأهل الحديث يقولون حُبْشي موضع على عشرة أميال. وحَبَش كلمة واحدة تدل على التجمع ، فالأحابيش جماعات يتجمعون من قبائل شتى. معجم ما استعجم للبكري الاندلسي ، ج٢ ، ص٤٢٢. معجم مقاييس اللغة. لسان العرب ، ج٦. تاج العروس ، ج٩.

مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ إلى قوله ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾﴿الزمر:٦٨-٧٣﴾ ، فلفظه ماض ومعناه مستقبل ومثله قوله سبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ ﴿الأنبياء:٤٧﴾ وأمثال هذا كثير في كتاب الله تعالى.

وأما ما نزل بلفظ العموم ولا يراد به غيره فقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿الحج:١﴾ وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ ﴿الحجرات:١٣﴾ وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ﴿النساء:١﴾ وقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الفاتحة:١﴾ وقوله ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ﴿البقرة:٢١٣﴾ أي على مذهب واحد وذلك كان من قبل نوح(عليه السلام) ولما بعثه الله اختلفوا ثم بعث النبيين مبشرين ومنذرين.

وأما ما حرّف من كتاب الله فقوله كنتم خير أئمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فحرفت إلى خير أُمةٍ ومنهم الزناة واللاطة والسراق وقطّاع الطريق والظَلَمة وشُراب الخمر والمضيعون لفرائض الله تعالى والعادلون عن حدوده ، أفَتُرى الله تعالى مدح من هذه صفته.

ومنه قوله عز وجلّ في سورة النحل أن تكون أئمة هي أربى من أئمة فجعلوها أُمّةٌ وقوله في سورة يوسف: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ﴿يوسف:٤٩﴾ أي يمطرون فحرفوه وقالوا يعصرون وظنوا بذلك الخمر قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ ﴿النبأ:١٤﴾ وقوله تعالى فلما خرّ تبينت الإنس أن لو كانت الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين فحرفوها بأن قالوا: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ ﴿سبأ:١٤﴾.

وقوله في سورة هود(عليه السلام): ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ ﴿هود:١٧﴾ يعني رسول الله(صلى الله عليه وآله) ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ ﴿هود:١٧﴾ وصيه إماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى أولئك يؤمنون به فحرفوا وقالوا: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ

شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ ﴿هود:١٧﴾ فقدموا حرفاً على حرف فذهب معنى الآية.

وقال سبحانه في سورة آل عمران ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون لآل محمد فحذفوا آل محمد.

وقوله تعالى وكذلك جعلناكم أئمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ومعنى وسطاً بين الرسول وبين الناس فحرفوها وجعلوها أُمّةً ومثله في سورة عم يتساءلون ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً فحرفوها وقالوا تراباً وذلك أن رسول الله كان يكثر من مخاطبتي بأبي تراب ومثل هذا كثير.

أقول إن في هذا القسم عندما قال الإمام(عليه السلام) وأما ما حَرَفَ من كتاب الله قد يتبادر إلى الذهن أن الإمام(عليه السلام) يقول بالتحريف ، وهذا باطل كون ((حَرَفَ)) أصل يحتمل وجوه:

- ❖ حدُ الشيء : فَحرفُ كل شيء حده مثل السيف.
- ❖ وتقدير الشيء : المحراف : حديدة (ميل) يقدر بها الجراحات عند العلاج.
- ❖ والعدول : الانحراف عن الشيء ، حرفته أنا عنه ، أي عدلتُ به عنه ومنه تحريف الكلام ، وهو عدله عن جهته.
- ❖ والتحريف في القرآن : تغير الكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه.
- ❖ وتحريف الكلام : تغييره وصرفه عن معناه[1].

فإن هناك فرقٌ بين حَرَفَ وبين حرّف وقد يطلق لفظ التحريف ويراد منه عدة معاني على نحو الاشتراك[2] :

١. فبعض منها واقع في القرآن باتفاق من المسلمين .
٢. وبعض منها لم يقع فيه باتفاق منهم أيضاً.
٣. وبعضٌ منها وقع الخلاف بينهم :

---

١) ومثل هذا قد بيناه في مطاوي البحث ، ولكن هنا لابد من التذكير بها حتى لا يقال إنا نقول بالتحريف.

٢) كتاب العين ، ج٣ ، ص٢١١. معجم مقاييس اللغة ، ج٢ ، ص٤٢. لسان العرب ، ج٩ ، ص٤٣.

- أولاً : نقل الشيء عن موضعه وتحويله إلى غيره ، ومنه قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ ﴿النساء:٤٦﴾ ، لا خلاف بين المسلمين في وقوع مثل هذا التحريف في كتاب الله ، فإن كل من فسر القرآن بغير حقيقته ، وحمله على غير معناه فقد حرفه ، وترى كثير من أهل البدع والمذاهب الفاسدة قد حرف القرآن بتأويلهم آياته على آراءهم وأهوائهم ، وقد ورد المنع عن التحريف بهذا المعنى ، وذُمَ فاعله في عدة من الروايات ، منها رواية الكافي بإسناده عن الباقر(عليه السلام) أنه كتب في رسالته إلى سعد الخير: ((وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده ، فهم يروونه ولا يرعونه ، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية ، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية[1])).
- ثانياً : النقص أو الزيادة في الحرف أو الحركات ، مع حفظ القرآن وعدم ضياعه ، وإن لم يكن متميزاً في الخارج عن غيره. ومثل هذا التحريف واقعٌ في القرآن قطعاً بهذا المعنى ، ومعنى ذلك أن القرآن المنزل إنما هو مطابق لإحدى القراءات وغيرها فهو إما زيادة أو نقيصة فيه.
- ثالثاً : النقص أو الزيادة بكلمة أو كلمتين ، مع التحفظ على نفس القرآن المنزل. والتحريف بهذا المعنى قد وقع في صدر الإسلام ، وفي زمان الصحابة قطعاً ، ويدلنا على ذلك ، إجماع المسلمين على أن عثمان أحرق جملة المصاحف وأمر ولاته بحرق كل مصحف غير ما جمعه ، وهذا يدل على أن هذه المصاحف كانت مخالفة لما جمعه وإلا لم يكن هناك سبب موجب لإحراقها ، وقد ألف كثير من العلماء ما ورد من الاختلاف بين المصاحف ، وعلى هذا فالتحريف واقعٌ لا محالة أما من عثمان أو من كتّاب تلك المصاحف ، فالتحريف وقع بتلك المصاحف التي انقطعت بعد عهد عثمان والقرآن الموجود ليس فيه زيادة ولا نقصان فيه.

---

١) الكافي ، الحديث١٦.

- رابعاً : التحريف بالزيادة والنقيصة في الآية والسورة مع التحفظ على القرآن المنزل والتسالم على قراءة النبي(صلى الله عليه وآله) إياها. والتحريف بهذا المعنى أيضاً واقع في القرآن قطعاً ، فالبسملة مما تسالم على أن النبي(صلى الله عليه وآله) قرأها قبل كل سورة غير التوبة. ومع هذا وقع الخلاف بين علماء السنة في كونها من القرآن. فكان جمعٌ منهم يقول أنها ليست من القرآن. وقد مرّ عليك آراءهم أي آراء المذاهب الأربعة. والشيعة متسالمون على جزئية البسملة في كل سورة غير سورة التوبة.
- خامساً : التحريف بالزيادة بمعنى أن بعض المصحف الذي بأيدينا ليس من الكلام المنزل وهذا التحريف باطل بإجماع المسلمين.
- سادساً : التحريف بالنقيصة بمعنى أن المصحف الذي بين أيدينا لا يشتمل على جميع القرآن الذي نزل من السماء فقد ضاع بعضه على الناس وهذا التحريف هو الذي وقع فيه الخلاف فأثبته قوم ونفاه آخرون. والمعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن وأن الموجود بين أيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم(صلى الله عليه وآله) ، فتدبر...

والذي قصده الإمام(عليه السلام) هو حرف معنى الآية عن حقيقة معناها.

وأما الآية التي نصفها منسوخ ونصفها متروك بحاله لم ينسخ وما جاء من الرخصة بعد العزيمة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ ﴿البقرة:٢٢١﴾ وذلك أن المسلمين كانوا ينكحون في أهل الكتاب من اليهود والنصارى وينكحونهم حتى نزلت هذه الآية نهياً أن ينكح المسلم من المشرك أو ينكحونه.

ثم قال تعالى في سورة المائدة ما نسخ هذه الآية فقال: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ﴿المائدة:٥﴾ فأطلق عز وجل مناكحتهن بعد أن كان

نهى وترك قوله: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ ﴿البقرة:٢٢١﴾ على حاله لم ينسخه.

فأما الرخصة التي هي الإطلاق بعد النهي فإن الله تعالى فرض الوضوء على عباده بالماء الطاهر وكذا الغسل من الجنابة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ﴿المائدة:٦﴾، فالفريضة من الله عز وجل الغسل بالماء عند وجوده لا يجوز غيره والرخصة فيه إذا لم يجد الماء التيمم بالتراب من الصعيد الطيب.

ومثله قوله عز وجل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ﴿البقرة:٢٣٨﴾ فالفرض أن يصلي الرجل الصلاة الفريضة على الأرض بركوع وسجود تام ثم رخص للخائف فقال سبحانه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ ﴿البقرة:٢٣٩﴾ ومثله قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ ﴿النساء:١٠٣﴾ ومعنى الآية أن الصحيح يصلي قائماً والمريض يصلي قاعداً ومن لم يقدر أن يصلي قاعداً صلى مضطجعاً ويومي نائماً فهذه رخصة جاءت بعد العزيمة.

ومثله قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ إلى قوله ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ﴿البقرة:١٨٥﴾ ثم رخص للمريض والمسافر بقوله سبحانه:﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ﴿البقرة:١٨٤﴾ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ﴿البقرة:١٨٥﴾ فانتقلت فريضة العزيمة الدائمة للرجل الصحيح لموضع القدرة وزالت الضرورة تفضلاً على العباد.

وأما الرخصة التي ظاهرها خلاف باطنها فإن الله تعالى نهى المؤمن أن يتخذ الكافر ولياً ثم مَنَّ عليه بإطلاق الرخصة له عند التقية في الظاهر أن يصوم بصيامه ويفطر بإفطاره ويصلي بصلاته ويعمل بعمله ويظهر له استعماله ذلك موسعاً عليه فيه وعليه أن يدين الله تعالى في الباطن بخلاف ما يظهر لمن يخافه من المخالفين المستولين

على الأمة قال الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ﴿آل عمران:٢٨﴾ فهذه رخصة تفضل الله بها على المؤمنين رحمة لهم ليستعملوها عند التقية في الظاهر وقال رسول الله(ﷺ) إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه[1].

وأما الرخصة التي صاحبها فيها بالخيار فإن الله تعالى رخص أن يعاقب العبد على ظلمه فقال الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ﴿الشورى:٤٠﴾ وهذا هو فيه بالخيار إن شاء عفا وان شاء عاقب.

والمنقطع المعطوف في التنزيل هو أن الآية من كتاب الله عز وجل كانت تجيء بشيء ما ثم تجيء منقطعة المعنى بعد ذلك ، وتجيء بمعنى غيره ثم تعطف بالخطاب على الأول مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿لقمان:١٣﴾ ثم انقطعت وصية لقمان لابنه فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ ﴿لقمان:١٤﴾ إلى قوله ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿لقمان:١٥﴾ ثم عطف بالخطاب على وصية لقمان لابنه فقال:﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿لقمان:١٦﴾.

ومثل قوله عز وجل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ﴿النساء:٥٩﴾ ثم قال تعالى في موضع آخر عطفاً على هذا المعنى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿التوبة:١١٩﴾ كلاماً معطوفاً على أولي الأمر منكم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ﴿البقرة:٤٣﴾ ثم قال تعالى في الأمر بالجهاد: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ﴿البقرة:٢١٦﴾ الآية. ومثله قوله عز وجل في سورة المائدة: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ ﴿المائدة:٣﴾

---

[1] بحار الأنوار ، ج٩٣ ، ص٣٠.

، ثم قطع الكلام بمعنى ليس يشبه هذا الخطاب فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ﴿المائدة:٣﴾ ثم عطف على المعنى الأول والتحريم الأول فقال سبحانه:﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿المائدة:٣﴾.

وكقوله عز وجل: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿الأنعام:١١﴾ ثم اعترض تعالى بكلام آخر فقال: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ﴿الأنعام:١٢﴾ ثم عطف على الكلام الأول فقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الأنعام:١٢﴾.

وكقوله في سورة العنكبوت: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ❖ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ ﴿العنكبوت:١٦-١٧﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿العنكبوت:١٨﴾ ثم استأنف القول بكلام غيره فقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ❖ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ❖ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ❖ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ❖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿العنكبوت:١٩-٢٣﴾.

ثم عطف القول على الكلام الأول في وصف إبراهيم فقال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ ﴿العنكبوت:٢٤﴾.

ثم جاء تعالى بتمام قصة إبراهيم(عليه السلام) في آخر الآيات.

ومثله قوله عز وجل ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ ﴿الإسراء:٥٥﴾ ثم قطع الكلام فقال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ﴿الإسراء:٥٦﴾.

ثم عطف على القول الأول فقال تمامه في معنى ذكر الأنبياء وذكر داود ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ ﴿الإسراء:٥٧﴾.

ومثله قوله عز وجل: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿البقرة:٢٨٥﴾ ، ثم استأنف الكلام فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ﴿البقرة:٢٨٦﴾ ، ثم رجع وعطف تمام القول الأول فقال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ﴿البقرة:٢٨٦﴾ إلى آخر السورة هذا وأشباهه كثير في القرآن.

وأما ما جاء ي أصل التنزيل حرف مكان حرف فهو قوله عز وجل لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم معناه ولا الذين ظلموا منهم وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ ﴿النساء:٩٢﴾ معناه ولا خطأ وكقوله: ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ❖ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ ﴿النمل:١٠-١١﴾ وإنما معناه ولا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ ﴿التوبة:١١٠﴾ وإنما معناه إلى أن تقطع قلوبهم ومثله كثير في كتاب الله عز وجل.

وأما ما هو متفق اللفظ مختلف المعنى قوله: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ ﴿يوسف:٨٢﴾ وإنما عنى أهل القرية وأهل العير وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ ﴿الكهف:٥٩﴾ وإنما عنى أهل القرى وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ ﴿هود:١٠٢﴾ يعني أهلها.

وأما احتجاجه تعالى على الملحدين في دينه وكتابه ورسله فإن الملحدين أقروا بالموت ولم يقروا بالخالق فأقروا بأنهم لم يكونوا ثم كانوا ، قال الله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ❖ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ❖ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ ﴿ق:١-٣﴾ ، وكقوله عز وجل ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ❖ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿يس:٧٨-٧٩﴾ ، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ❖ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿الحج:٣-٤﴾.

فرد الله تعالى عليهم وما يدلهم على صفة ابتداء خلقهم وأول نشئهم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ ﴿الحج:٥﴾ ، فأقام سبحانه على الملحدين الدليل عليهم من أنفسهم ثم قال مخبراً لهم ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ❖ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ❖ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ ﴿الحج:٥-٧﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ ﴿فاطر:٩﴾ ، فهذا مثال إقامة الله عز وجل لهم الحجة في إثبات البعث والنشور بعد الموت.

وقال أيضاً في الرد عليهم ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ❖ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ❖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ﴿الروم:١٧-١٩﴾.

ومثله قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ❖ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ❖ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ❖ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ❖ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ﴿الروم:٢١- ٢٥﴾.

واحتج سبحانه عليهم وأوضح الحجة وأبان الدليل وأثبت البرهان عليهم من أنفسهم ومن الآفاق ومن السماوات والأرض بمشاهدة العيان ودلائل البرهان وأوضح البيان في تنزيل القرآن كل ذلك دليل على الصانع القديم المدبر الحكيم الخالق العليم الجبار العظيم سبحان الله رب العالمين.

وأما الرد على عبدت الأصنام والأوثان فقوله تعالى حكاية عن قول إبراهيم في الاحتجاج على أبيه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ ﴿مريم:٤٢﴾ وقوله حين كسر الأصنام فقالوا له من كسرها ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿الأنبياء:٥٩﴾ إلى قوله: ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ ﴿الأنبياء:٦٠-٦١﴾ ، ولما جاء قالوا له: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ❖ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ❖ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ❖ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ ﴿الأنبياء:٦١- ٦٥﴾ ، ثم قال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ❖ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿الصافات:٩٥- ٩٦﴾ فلما انقطعت حجتهم ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿الأنبياء:٦٨﴾ إلى آخر القصص.

فقال الله تعالى: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿الأنبياء:٦٩﴾.

ومثل ذلك قول الله عز وجل لقريش على لسان نبيه(ﷺ) ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ❖ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ

بهَا﴾ ﴿الأعراف:١٩٤- ١٩٥﴾ ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ ﴿الأعراف:١٧٩﴾ ، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿الفرقان:٤٤﴾ وقوله سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ﴿الإسراء:٥٦﴾ ومثل ذلك كثير.

وأما الرد على الثنوية[1] من الكتاب فقوله عز وجل: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿المؤمنون:٩١﴾ فأخبر الله تعالى لو كان معه آلهة لانفرد كل له منهم بخلقه ولأبطل كل منهم فعل الآخر وحاول منازعته فأبطل تعالى إثبات إلهين خالقين بالممانعة وغيرها.

ولو كان ذلك لثبت الاختلاف وطلب كل إله أن يعلو على صاحبه فإذا شاء أحدهم أن يخلق إنساناً وشاء الآخر أن يخلق بهيمة اختلفا وتباينا في حال واحد واضطرهما ذلك إلى التضاد والاختلاف والفساد وكل ذلك معدوم وإذا بطلت هذه الحال كذلك ثبت الوحدانية بكون التدبير واحداً والخلق متفق غير متفاوت والنظام مستقيم.

وأبان سبحانه لأهل هذه المقالة ومن قاربهم أن الخلق لا يصلحون إلا بـ انع واحد فقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ﴿الأنبياء:٢٢﴾ ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿المؤمنون:٩١﴾ والدليل على أن الصانع واحد حكمة التدبير وبيان التقدير.

وأما الرد على الزنادقة فقوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿يس:٦٨﴾ فأعلمنا تعالى أن الذي ذهب إليه الزنادقة من قولهم إن العالم يتولد بدوران الفلك ووقوع النطفة في الأرحام لأن عندهم أن النطفة إذا وقعت تلقاها الأشكال التي تشاكلها فيتولد حينئذ بدوران القدرة والأشكال التي تتلقاها

---

[1] الثنوية : هم أصحاب الاثنين الأزليين ، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس ، فإنهم قالوا بحدوث الظلام ، وذكروا سبب حدوثه ، وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم ، واختلافهما في الجوهر والطبع ، والفعل والخير ، والمكان والأجناس ، والأبدان والأرواح. الملل والنحل ، ج١ ، ص٢٣٢-٢٤٤.

مرور الليل والنهار والأغذية والأشربة والطبيعة فتتربى وتنتقل وتكبر فعكس تعالى قوله بقولهم ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ ﴿يس:٦٨﴾ معناه أن من طال عمره وكبر سنه رجع إلى مثل ما كان عليه في حال صغره وطفوليته فيستولي عليه ذلك النقصان في جميع آلاته والضعف في جميع حالاته ولو كان الأمر كما زعموا من أنه ليس للعباد خالق مختار لوجب أن يكون تلك النسمة أو ذلك الإنسان زائداً أبداً ما دامت الأشكال التي أدعوا أن بها كان قوام ابتدائها قائمة والفلك ثابت والغذاء ممكن ومرور الليل والنهار متصل.

ولما صح في العقول معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ ﴿يس:٦٨﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ ﴿الحج:٥﴾ علم أن هذا من تدبير الخالق المختار وحكمته ووحدانيته وابتداعه للخلق فتثبت وحدانيته جلت عظمته وهذا احتجاج لا يمكن للزنادقة دفعه بحال ولا يجدون حجة في إنكاره.

ومثله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ❖ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ❖ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿يس:٧٧-٧٩﴾ فرد سبحانه عليهم احتجاجهم بقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿يس:٧٩﴾ إلى آخر السورة.

وأما الرد على الدهرية[1] الذين يزعمون أن الدهر لم يزل أبداً على حال واحدة وأنه ما من خالق ولا مدبر ولا صانع ولا بعث ولا نشور قال تعالى حكاية

---

[1] الدهرية : وهم الزنادقة : وهم يقولون : لا رب ولا جنة ولا نار ، وما يهلكنا إلا الدهر.. الذين يقولون ببقاء الدهر ولا يؤمنون بالحياة الأخرى ، وقالوا ما قال القرآن العزيز عنهم: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ ﴿الجاثية:٢٤﴾ ويقال لهم المعطلة أيضاً ، والتعطيل مذهب قوم من العرب بعضهم أنكر الخالق والبعث والإعادة..وبعضهم اعترف بالخالق جل وعلا وأنكر البعث ، وهم الذين أخبر سبحانه عنهم بقوله: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ﴿يس:٧٨﴾. الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٣٥.

لقولهم ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ ﴿الجاثية:٢٤﴾ ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ❖ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ❖ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ﴿الإسراء:٤٩-٥١﴾ ومثل هذا في القرآن كثير.

وذلك رد على من كان في حياة رسول الله(ﷺ) يقول هذه المقالة من أظهر له الإيمان وأبطن الكفر والشرك وبقوا بعد رسول الله(ﷺ) وكانوا سبب هلاك الأمة فرد الله تعالى بقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ﴿الحج:٥﴾ إلى قوله سبحانه ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ ﴿الحج:٥﴾ ثم ضرب للبعث والنشور مثلاً فقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ ﴿الحج:٥﴾ ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ ﴿فصلت:٣٩﴾ وما جرى ذلك في القرآن.

وقوله سبحانه في سورة ﴿ق﴾ رداً على من قال ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ ﴿ق:٤-١١﴾ ، وهذا وأشباهه رد على الدهرية والملحدة ممن أنكر البعث والنشور.

وأما ما جاء في القرآن على لفظ الخبر ومعناه الحكاية فمن ذلك قوله عز وجل ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ ﴿الكهف:٢٥﴾.

وقد كانوا ظنوا أنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم ثم قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿الكهف:٢٦﴾ الآية.

فخرجت ألفاظ هذه الحكاية على لفظ ليس معناه معنى الخبر وإنما هو حكاية لما قالوه والدليل على ذلك أنه حكاية قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ﴿الكهف:٢٢﴾ إلى آخر الآية وقوله عز وجل عند ذكر عدتهم ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿الكهف:٢٢﴾.

مثل حكايته عنهم في ذكر المدة ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ❖ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ﴾ ﴿الكهف:٢٥-٢٦﴾ ، فهذا معطوف على قوله

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ﴿الكهف:٢٢﴾ فهذه الآية من المنقطع المعطوف وهي على لفظ الخبر ومعناه وحكاية.

ومثله قوله عز وجل ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ﴿آل عمران:٩٣﴾ ، وإنما خرج هذا على لفظ الخبر وهو حكاية عن قوم من اليهود ادعوا ذلك فرد الله تعالى عليهم ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿آل عمران:٩٣﴾ ، أي انظروا في التوراة هل تجدون فيها تصديق ما ادعيتموه.

ومثله في سورة الزمر قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ﴿الزمر:٣﴾ فلفظ هذا خبر ومعناه حكاية ومثله كثير.

وأما الرد على النصارى فإن رسول الله(ﷺ) احتج على نصارى نجران[1] لما قدموا عليه ليناظروه فقالوا يا محمد ما تقول في المسيح قال هو عبد الله يأكل ويشرب قالوا فمن أبوه فأوحى الله إليه يا محمد سلهم عن آدم هل هو إلا بشر مخلوق يأكل ويشرب وأنزل الله عليه:

---

[1] نجران : في عدة مواضع ، منها: في مخاليف – المخلاف ، بلغة اليمن: الكورة ، الناحية – اليمن من ناحية مكة .. على سبع مراحل منها .. فتحت في زمن النبي الأكرم (ﷺ) ، في سنة عشر صلحاً على الفيء ، وعلى أن يقاسموا العُشر ونصف العُشر.. فيها ((بيعة)) بناها بنو عبد الملك بن الديان الحارثي ، على شكل بناء الكعبة ، وعظموها مضاهاةً للكعبة ، وسموها: ((كعبة نجران)) ، وكان فيها أساقفة مقيمون ((معتمون)) وهم الذين جاؤوا إلى النبي(ﷺ) ودعاهم إلى المباهلة ، ومنها: موضع قرب الكوفة ، على الطريق بينها وبين واسط ، لما أخرج عمر أهل نجران منها سكنوا هذا الموضع وسمي باسمهم. ومنها: في البحرين ، على ما قيل ، ومنها: في حوران من نواحي دمشق..وقيل هي قرية أصحاب الأخدود في اليمن.

و ((دير نجران)) : في موضعين ، أحدهما باليمن ، لآل ((عبد المدان بن الديان)) من بني الحارث بن كعب ، ومنه جاء القوم الذين أرادوا مباهلة النبي(ﷺ).

والثاني : بأرض دمشق من نواحي حوران ببصرى ، واليه ورد النبي(ﷺ) وعرفه الراهب بحيرا في القصة المشهورة في أخبار معجزات النبي(ﷺ). سيرة ابن هشام ، ج١ ، ص١٩. معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٦٦ و ج٢ ، ص٢٣٨.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿آل عمران:٥٩﴾ فسألهم عن آدم فقالوا نعم قال فأخبروني من أبوه فلم يجيبوه بشيء ولزمتهم الحجة فلم يقروا بل لزموا السكوت فأنزل الله تعالى عليه:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿آل عمران:٦١﴾.

فلما دعاهم إلى المباهلة قال علماؤهم لو باهلنا بأصحابه بأهلناه ولم يكن عندنا صادق في قوله فأما أن يباهلنا بأهل بيته خاصة فلا نباهله وأعطوه الرضا وشرط عليهم الجزية والسلاح حقناً لدمائهم وانصرفوا.

وأما السبب الذي به بقاء الخلق فقد بيّن الله عز وجل في كتابه أن بقاء الخلق من أربعة وجوه الطعام والشراب واللباس والكِن[1] والمناكح للتناسل مع الحاجة مع ذلك كله إلى الأمر والنهي.

فأما الأغذية فمن أصناف النبات والأنعام المحلل أكلها قال الله تعالى في النبات ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ❖ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ❖ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ❖ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ❖ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ❖ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ❖ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ❖ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ﴿عبس:٢٥-٣٢﴾.

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ❖ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ ﴿الواقعة:٦٣-٦٤﴾ وقال سبحانه ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ❖ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ❖ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ ﴿الرحمن:١٠-١٢﴾ ، وهذا وشبهه مما يخرجه الله تعالى من الأرض سبباً لبقاء الخلق.

وأما الأنعام فقوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ❖ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ﴿النحل:٥-٦﴾ وقوله سبحانه

---

[1] الأكنان والأكنّة : جمع الكِنّ – بالكسرة – وهو كل ما يُستتر به لدفع الحر والبرد ، من الأبنية والمساكن .. وكِنّ الشيء : ستره. لسان العرب. النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج٤.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ ﴿النحل:٦٦﴾.

وأما اللباس والأكفان قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ ﴿النحل:٨١﴾ وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿الأعراف:٢٦﴾ ، والخير هو البقاءُ والحياة.

وأما المناكح فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ﴿الحجرات:١٣ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ﴿البقرة:٢١﴾ وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿النساء:١﴾.

وقال عز وجل ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ﴿النور:٣٢﴾ وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿الروم:٢١﴾.

ومثل هذا في كتاب الله تعالى كثير في معنى النكاح وسبب التناسل.

والأمر والنهي وجه واحد لا يكون معنى معاني الأمر إلا ويكون بعد ذلك نهياً ولا يكون وجه من وجوه النهي إلا ومقرون به الأمر قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ﴿الأنفال:٢٤﴾ إلى آخر الآية فأخبر سبحانه أن العباد لا يحيون إلا بالأمر والنهي كقوله تعالى: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ ﴿الحج:٧٧﴾ فالخير هو سبب البقاء والحياة.

وفي هذا أوضح دليل على أنه لابد للأمة من إمام يقول بأمرهم فيأمرهم وينهاهم ويقيم فيهم الحدود ويجاهد العدو ويقسم الغنائم ويفرض الفرائض ويعرفهم أبواب

ما فيه صلاحهم ويحذرهم ما فيه مضارهم إذ كان الأمر والنهي أحد أسباب بقاء الخلق وإلا سقطت الرغبة والرهبة ولم يرتدع ولفسد التدبير وكان ذلك سبباً لهلاك العباد في أمر البقاء والحياة في الطعام والشراب والمساكن والملابس والمناكح من النساء والحلال والحرام والأمر والنهي ، إذ كان سبحانه لم يخلقهم بحيث يستغنون عن جميع ذلك ووجدنا أول المخلوقين وهو آدم(عليه السلام) لم يتم له البقاء والحياة إلا بالأمر والنهي قال الله عز وجل: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ ﴿البقرة:٣٥﴾ فدلهما على ما فيه نفعهما وبقاؤهما ونهاهما عن سبب مضرتهما ثم جرى الأمر والنهي في ذريتهما إلى يوم القيامة ولهذا اضطر الخلق إلى أنه لابد لهم من إمام منصوص عليه من الله عز وجل يأتي بالمعجزات ثم يأمر الناس وينهاهم.

وان الله سبحانه خلق الخلق على ضربين ، ناطق فاعل مختار وضرب مستبهم فكلف الناطق العاقل المختار وقال سبحانه ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ❖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ﴿الرحمن:٤﴾ وقال سبحانه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ❖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ❖ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ❖ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ❖ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ﴿العلق:١-٥﴾ ، ثم كلف ووضع التكليف عن المستبهم لعدم العقل والتمييز.

وأما وضع الأسماء فإنه تبارك وتعالى اختار لنفسه الأسماء الحسنى فسمى نفسه ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ ﴿الحشر:٢٣﴾ وغير ذلك وكل اسم يسمى به فلعلة ما ، ولما تسمى بالملك أراد تصحيح معنى الاسم لمقتضى الحكمة فخلق الخلق وأمرهم ونهاهم ليتحقق حقيقة الاسم ومعنى الملك والملك له وجوه أربعة : ❖ القدرة. ❖ والهيبة. ❖ والسطوة. ❖ والأمر والنهي.

فأما القدرة فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿النحل:٤٠﴾ فهذه القدرة التامة التي لا يحتاج صاحبها إلى مباشرة الأشياء بل يخترعها كما يشاء سبحانه ولا يحتاج إلى التروي في خلق الشيء بل إذا أراده صار على ما يريده من تمام الحكمة واستقام التدبير له بكلمة واحدة وقدرة قاهرة بان بها من خلقه.

ثم جعل الأمر والنهي تمام دعائم الملك ونهايته وذلك أن الأمر والنهي يقتضيان الثواب والعقاب والهيبة والرجاء والخوف وبهما بقاء الخلق وبهما يصح لهم المدح والذم ويعرف المطيع من العاصي ولو لم يكن الأمر والنهي لم يكن للملك بهاء ولا نظام ولبطل الثواب والعقاب وكذلك جميع التأويل فيما اختاره سبحانه لنفسه من الأسماء.

وقد اعترض على ذلك بأن قيل قد رأينا أصنافاً من الحيوان لا يحصى عددها يبقى ويعيش بغير أمر ولا نهي ولا ثواب لها ولا عقاب عليها وإذا جاز أن يستقيم بقاء الحيوان المستبهم ولا آمر له ولا ناهي بطل قولكم إنه لابد للناطقين من آمر وناهٍ وإلا لم يبقوا.

والرد عليهم هو أن الله تعالى لما خلق الحيوان على ضربين مستبهم وناطق أطلق للنوع المستبهم أمرين جعل قوامه وبقاءه بهما وهو ادراك الغذاء ونيله وعرفانهم بالنافع والضار بالشم والتنسيم[1] وإنما أثبت عليهم من الوبر والصوف والشعر والريش ليكفهم من البرد والحر ومنعهم أمرين النطق والفهم وسخرهم للحيوان الناطق القاتل وغير العاقل أن يتصرفوا فيهم وعليهم كما يختارون ويأمرون فيهم وينهون.

ولم يجعل في الناطقين معرفة الضار من الغذاء والنافع بالشم والتنسيم حتى أن أفهم الناس وأعقلهم لو جمعت الناس له ضروب الحشائش من النافع والضار والغذاء والسم لم يميز ذلك بعقله وفكره بل من جهة موقف فقد احتاج العاقل الفطن البصير إلى مؤدب موقف يوقفه على منافعه ويعلمه ما يضره ولما كانت بُنية الناس وما خلقهم الله بهذه الصفة لابد أن يكون عندهم علم كثير من الأغذية التي

---

[1] نسم : النون والسين والميم أصل صحيح ، يدل على خروج نَفَس أو ريح غير شديد الهبوب ونَفَس الإنسان نَسيم ، وكذا الريح اللينة الهبوب. ويقولون : من أين مَنْسِمُك أي من أين وجهتك ، والقياس واحد ، لأنه إذا أقبلَ أقبل نَسيمُهُ ولذلك سميت النفس نَسَمة. معجم مقاييس اللغة ، ص٩٨.

تقوم بها أبدانهم لأنها سبب حياتهم وكأن البهائم في ذلك أهدى منهم ثبت ما أوردناه من الأمر والنهي اللذين يتبعهما الثواب والعقاب.

قال المعترض وقد وجدنا بعض البهائم يأكل ما يكون هلاكه فيه من السموم القاتلة فلو كان هذا كما ذكرتم من أنها تعرف الضار من النافع بالشم والتنسيم لما أصابهم ذلك.

قيل هذا الذي ذكرتم لا يكون على العموم وإنما يكون في الواحد بعد الواحد لِعلَة ما لأنه ربما اضطره الجوع الشديد إلى أكل ما يكون فيه هلاكه أو لاختلاط جميع أنواع الحشائش بعضها ببعض كما إنا نجد الرجل العاقل قد يقف على ما يضره من الأطعمة ثم يأكله أما الجوع غالب أو لِعلَة يحدث أو يكر يزيل عقله أو آفة من الآفات فيأكل ما يعلم أنه يسقمه ويضره وربما كان تلف نفسه فيه وإذا كان هذا موجوداً في الإنسان الفطن العاقل فأحرى أن يجوز مثله في البهائم.

ووجه آخر هو أن الله سبحانه إذا أراد قضاء أجله خلى بينه وبين الحال التي بمثلها يتم عليه ذلك ومثل هذا يعرض دون العادة العامة ولأنا نرى الفراخ من الدجاج وما يجري مجراها من أجناس الطير يخرج من البيضة فتلقى له السموم من الحبوب القاتلة مثل حب البنج والسناء[1] فيحتذر عنه وإذا ألقي عليه غذاؤها بادرت إليه فأكلته ولم يتوقف عنه فبطل الاعتراض.

---

[1] **البنج** : نبات سام من فصيلة الباذنجانيات ، أوراقه كبيرة لزجة ، أزهاره بيضاء أو صفراء ، أو منمقة بالبنفسجي ، منبته بين الزرع والخرائب ، يستعمل في الطب للتخدير. المنجد في اللغة.

توضيح ما المراد بالبنج بزره أو ورقه قبل أن يعمل ويصير مسكراً وقد يقال إنه نوع آخر غير ما يعمل منه المسكر قال: ابن بيطار في جامعه: بنج هو السيكران بالعربية قال ديقوريدس له قضبان غلاظ وورق عراض صالحة الطول مشققة الأطراف إلى السواد عليها زغب وعلى القضبان ثمر شبيه بالجلنار في شكله متفرق في طول القضبان واحد بعد واحد منها مطبق بشيء شبيه بالترس وهذا الثمر ملئان ببزر شبيه ببزر الخشخاش وهو ثلاثة أصناف.

❖ منه ماله دهن لونه إلى لون الفرفير وورق شبيه بورق النبات الذي يقال له عين اللوبيا وورق أسود وزهره شبيه بالجلنار مشوك.

ولما ثبت لنا أن قوام الأمة بالأمر والنهي الوارد عن الله عز وجل صح لنا أنه لابد للناس من رسول من عند الله فيه صفات يتميز بها من جميع الخلق منها العصمة من سائر الذنوب وإظهار المعجزات وبيان الدلالات لنفي الشبهات ، طاهر مطهر متصل بملكوت الله سبحانه غير منفصل لأنه لا يؤدي عن الله عز وجل إلى خلقه إلا من كانت هذه صفته فصح موضع المأمومين الذين لا عصمة لهم إلا إمام

❖ ومنه ماله زهر لونه شبيه بلون التفاح وورقه وزهره ألين من ورق وحمل الصنف الأول وبزر لونه إلى الحمرة شبيه ببزر النبات الذي يقال له أروسمين وهو التوذري وهذان الصنفان يجنان ويسبتان وهما رديان لا منفعة فيهما في أعمال الطب.

وأما الصنف الثالث فإنه ينتفع به في أعمال الطب وهو ألينها قوة وأسلسها وهو ألين في المجس وفيه رطوبة تدبق باليد وعليه شيء فيما الغبار والرغب وله زهر أبيض وبزر أبيض وينبت في القرب من البحر وفي الخرابات فإن لم يحضر هذا الصنف فليستعمل بدله الصنف الذي بزره أحمر.

وأما الصنف الذي بزره أسود فينبغي أن يرفض لأنه شرها وقد يدق الثمر مع الورق والقضبان كلها رطبة وتخرج عصارتها وتجفف في الشمس وإنما تستعمل نحو من سنة فقط لسرعة العفونة إليها وقد يؤخذ البزر على حدته وهو يابس يدق ويرش عليه ماء حار في الدق وتخرج عصارته وعصارة هذا النبات هي أجود من صمغه وأشد تسكيناً للوجع وقد يدق هذا النبات ويخلط بدقيق الحنطة وتعمل منه أقراص وتخزن قال إذا أكل البنج أسبت وخلط الفكر مثل الشوكران من الطلا.

وقال الرازي يعرض لمن شرب البنج سكر شديد واسترخاء الأعضاء وزبد يخرج من الفم وحمرة في العين.

وقال عيسى بن علي من شرب من بزر البنج الأسود درهمين قتله ويعرض لشاربه ذهاب العقل وبرد البدن كله وصفرة اللون وجفاف اللسان وظلمة في العين وضيق نفس وشبيه بالجنون وامتناع الكلام.

وقال جالينوس أما البنج الذي بزره أسود فهو يحرك جنوناً أو سباتاً والذي بزره أيضاً أحمر حمرة معتدلة هو قريب من هذه القوة ولذا ينبغي للإنسان أن يتوقاهما جميعاً ويحذرهما ويجانبهما مجانبة من لا ينتفع به وأما البنج الأبيض البزر والزهرة فهو أنفع الأشياء في علاج الطب وكأنه في الدرجة الثالثة من درجات الأشياء التي تبرد. بحار الأنوار ، ج٦٢،ص١٨٠ نقلاً عن الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، ج١ ، ص١٦٠.

السنا : جنس شجيرات من فصيلة القرنيات حبه مفرطح ، منه نوع يستعمل لب ثماره للإسهال. المنجد في اللغة.

عادل معصوم يقيم حدود الله تعالى وأوامره فيهم ويجاهد بهم ويقسم غنائمهم ولا يستقيم أن يقيم الحدود من في جنبه حد الله تعالى لأن الخبيث لا يطهر بالخبيث وإنما يطهر الخبيث بالطاهر الذي يدل على ما يقرب من الله تعالى وإنما يحيون به الحياة الدنيا في حال معايشهم مما يكون عاقبته إلى حياة الأبد في الدار الآخرة ولابد ممن هذه صفته في عصر بعد عصر وأوان بعد أوان وأمة بعد أمة جارياً ذلك في الخلق ما داموا ودام فرض التكليف عليهم لا يستقيم لهم الأمر ولا يدوم لهم الحياة إلا بذلك.

ولو كان الإمام بصفة المأمومين لاحتاج إلى ما احتاجوا إليه فيكون حينئذ إماماً وليس في عدل الله تعالى وحكمه أن يحتج على خلقه بمن هذه صفته وإنما إمام الإمام الوحي الآمر له والناهي فكل هذه الصفات المتفرقة في الأنبياء فإن الله سبحانه جمعها في نبينا ووجب لذلك بعد مضيه(ﷺ) أن يكون في وصيه ثم الأوصياء.

اللهم إلا أن يدعي مدع أن الإمامة مستغنية عمن هذه صفته فيكونون بهذه الدعوى مبطلين بما تقدم من الأدلة وثبت أنه لابد من إمام عارف بجميع ما جاء محمد النبي من كتاب الله تعالى بإقامة المقدم ذكرها يجيب عنها وعن جميع المشكلات وينفي عن الأمة مواقع الشبهات لا يزال في حكمه عارف بدقيق الأشياء وجليلها يكون فيه ثمان خصال يتميز بها عن المأمومين أربعة منها نعت نفسه ونسبه أربع صفات ذاته وحالاته.

فأما التي في نعت نفسه فإنه ينبغي أن يكون معروف البيت معروف النسب منصوصاً عليه من النبي(ﷺ) بأمر من الله سبحانه بمثله يبطل دعوى من يدعي منزلته بغير نص من الله سبحانه ورسوله حتى إذا قدم الطالب من البلد القريب والبعيد أشارت إليه الأمة بالكمال والبيان.

وأما اللواتي في صفات ذاته فإنه يجب أن يكون أزهد الناس وأعلم الناس وأشجع الناس وأكرم الناس وما يتبع ذلك لعلل تقتضيه.

لأنه إذا لم يكن زاهداً في الدنيا وزخرفها دخل في المحظورات من المعاصي فاضطره ذلك أن يكتم على نفسه فمخون الله تعالى في عباده يحتاج إلى من يطهره بإقامة الحد عليه فهو حينئذ إمام مأموم وأما إذا لم يكن عالماً بجميع ما فرضه الله

تعالى في كتابه وغيره قلب الفرائض فأحل ما حرم الله فَضَلَ وأَضَلَ وإذا لم يكن أشجع الناس سقط فرض إمامته لأنه في الحرب فئة للمسلمين فلو فر لدخل فيمن قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ ﴿الأنفال:١٦﴾ وإذا لم يكن أكرم الناس نفساً دعاه البخل والشح إلى أن يمد يده فيأخذ في‌ء المسلمين لأنه خازنهم وأمينهم على جميع أموالهم من الغنائم والخراج والجزية والفيء.

فلهذه العلل يتميز من سائر الأمة ولم يكن الله ليأمر بطاعة من لا يعرف أوامره ونواهيه ولا أن يولي عليهم الجاهل الذي لا علم له ولا ليجعل الناقص حجة على الفاضل ولو كان ذلك لجاز لأهل العلل والأسقام أن يأخذوا الأدوية ممن ليس بعارف منافع الأجساد ومضارها فتتلف أنفسهم ولو أن رجلاً أراد أن يشتري ما يصلح به من متاع وغيره لكان من حزم الرأي أن يستعين بالتاجر البصير بالتجارة فيكون ذلك أحوط عليه.

وإذا كان جميع ذلك لا يصلح في هذه الأشياء الدنيوية فأحرى أن يقصد الإمام العادل في الأسباب كلها التي يتوصل بها إلى أمور الآخرة فتميز بين الإمام العادل والجاهل.

وروي عمر بن الخطاب أنه اختصم إليه رجلان فحكم لأحدهما على الآخر فقال المحكوم له بالله لقد حكمت بالحق فعلاه عمر بدرته ، وقال له: ثكلتك أمك والله ما يدري عمر أصاب أم أخطأ وإنما رأي رأيته هذا مع ما تقدمه من قول أبي بكر وليكتم ولست بخيركم وإن لي شيطاناً يعتريني فإذا ملت فقوموني فإذا غضبت فاجتنبوني لا أمثل في أشعاركم وأبشاركم فاحتج التابعون لهما لأنفسهم بأن قالوا لنا أسوة بالسلف الماضي لما عجزوا من تأدية حقائق الأحكام فلهذه العلة وقعت الاختلاف وزال الائتلاف لمخالفتهم الله تعالى.

وقال الله سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿التوبة:١١٩﴾ ثم جعل للصادقين علامات يعرفون بها فقال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ ﴿التوبة:١١٢﴾ ووصفهم أيضاً فقال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ ﴿التوبة:١١١﴾ إلى آخر الآية في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز ولا يصح أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحافظ على حدود الله سبحانه إلا العارف بالأمر والنهي دون الجاهل بهما.

فأما ما جاء في القرآن من ذكر معايش الخلق وأسبابها فقد أعلمنا سبحانه ذلك من خمسة أوجه ، وجه الإشارة ووجه العمارة ووجه الإجارة ووجه التجارة ووجه الصدقات.

وأما وجه الإشارة فقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ ﴿الأنفال:٤١﴾ الآية فجعل الله لهم خمس الغنائم والخمس يخرج من أربعة وجوه من الغنائم التي يصيبها المسلمون من المشركين ومن المعادن ومن الكنوز ومن الغوص ثم جزء هذه الخمس على ستة أجزاء فيأخذ الإمام عنها سهم الله تعالى وسهم الرسول وسهم ذي القربى(عليه السلام) ثم يقسم الثلاثة سهام الباقية بين يتامى آل محمد ومساكينهم وأبناء سبيلهم.

ثم أن للقائم بأمور المسلمين بعد ذلك الأنفال التي كانت لرسول الله(صلى الله عليه وآله) قال الله تعالى يسئلونك الأنفال قل الأنفال لله وللرسول فحرفوها وقالوا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ ﴿الأنفال:١﴾ وإنما سألوه الأنفال كلها ليأخذوه لأنفسهم فأجابهم الله تعالى بما تقدم ذكره والدليل على ذلك قوله تعالى:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الأنفال:١﴾ أي الزموا طاعة الله أن تطلبوا ما لا تستحقونه فما كان لله تعالى ولرسوله فهو للإمام.

وله نصيب آخر من الفيء والفيء يقسم قسمين فمنه ما هو خاص للإمام وهو قول الله عز وجل في سورة الحشر ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ ﴿الحشر:٧﴾ وهي البلاد التي لا يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب.

والضرب الآخر ما رجع إليهم مما غصبوا عليه في الأصل قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ﴿البقرة:٣٠﴾ ، فكانت الدنيا بأسرها لآدم(عليه السلام) إذ كان خليفة الله في أرضه ثم هي للمصطفين الذين اصطفاهم وعصمهم فكانوا هم الخلفاء في الأرض فلما غصبهم الظلمة على الحق الذي جعله الله ورسوله لهم وحصل وذلك في أيدي الكفار صار في أيديهم على سبيل الغصب حتى بعث الله تعالى رسوله محمداً(صلى الله عليه وآله) فرجع له ولأوصيائه فما كانوا غصبوا عليه أخذوه منهم بالسيف فصار ذلك مما أفاء الله به أي مما أرجعه الله إليهم.

والدليل على الفيء هو الراجع قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿البقرة:٢٢٦﴾ ، أي رجعوا من الإيلاء إلى المناكحة وقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ ﴿الحجرات:٩﴾ أي ترجع ويقال لوقت الصلاة فإذا فاء الفيء أي رجع الفيء فصلوا.

وأما وجه العمارة فقوله: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾ ﴿هود:٦١﴾ فيها فأعلمنا سبحانه أنه قد أمرهم بالعمارة ليكون ذلك سبباً لمعايشهم بما يخرج من الأرض من الحب والثمرات وما شاكل ذلك مما جعله الله تعالى معايش للخلق.

وأما وجه التجارة فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ ﴿البقرة:٢٨٢﴾ إلى آخر الآية فعرفهم سبحانه كيف يشترون المتاع في السفر والحضر وكيف يتجرون إذ كان ذلك من أسباب المعايش.

وأما وجه الإجارة فقوله عز وجل: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿الزخرف:٣٢﴾ فأخبرنا سبحانه أن الاجارة أحد معايش الخلق إذ خالف بحكمته بين هممهم وإرادتهم وسائر حالاتهم وجعل ذلك قواماً لمعايش

الخلق وهو الرجل يستأجر الرجل في صنعته واعماله وأحكامه وتصرفاته وأملاكه ولو كان الرجل منا مضطراً إلى أن يكون بناء لنفسه أو نجاراً أو صانعاً في شيء من جميع أنواع الصنائع لنفسه ويتولى جميع ما يحتاج إليه من إصلاح الثياب مما يحتاج إليه الملك فمن دونه ما استقامت أحوال العالم بذلك ولا اتسعوا له ولعجزوا عنه ولكنه تبارك وتعالى أتقن تدبيره وأبان آثار حكمته لمخالفته بين هممهم وكل يطلب ما ينصرف إليه همته مما يقوم به بعضهم لبعض وليستعين بعضهم ببعض في أبواب المعايش التي بها صلاح أحوالهم.

وأما وجه الصدقات فإنما هي لأقوام ليس لهم في الأمارة نصيب ولا في العمارة حظ ولا في التجارة مال ولا في الأجارة معرفة وقدرة ففرض الله تعالى في أموال الأغنياء ما تقوتهم ويقوم بأودهم وبين سبحانه ذلك في كتابه وكان سبب ذلك أن رسول الله(ﷺ) لما فتح عليه من بلاد العرب ما فتح وافت إليه الصدقات منهم فقسمها في أصحابه ممن فرض الله لهم فسخط أهل الجدة من المهاجرين والأنصار وأحبوا أن يقسمها فيهم فلمزوه فيما بينهم وعابوه بذلك فأنزل الله عز وجل ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ❖ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ ﴿التوبة:٥٨-٥٩﴾.

ثم بين سبحانه لمن هذه الصدقات فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ ﴿التوبة:٦٠﴾ إلى آخر الآية فأعلمنا سبحانه أن رسول الله(ﷺ) لم يضع شيئاً من الفرائض إلا في مواضعها بأمر الله تعالى عز وجل ومقتضى الصلاح في الكثرة والقلة.

وأما الإيمان والكفر والشرك وزيادته ونقصانه فالإيمان بالله تعالى هو أعلى الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأسماها حظاً فقيل له(عليه السلام) الإيمان قول وعمل أم قول بلا عمل فقال: الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان وهو

عمل كله ومنه التام ومنه الكامل تمامه ومنه الناقص البين نقصانه ومنه الزائد البين زيادته.

إن الله تعالى ما فرض الإيمان على جارحة من جوارح الإنسان إلا وقد وكلت بغير ما وكلت به الأخرى فمنه قلبه الذي يعقل به ويفقه ويفهم ويحل ويعقد ويريد وهو أمير البدن وإمام الجسد الذي لا تورد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره ونهيه ومنها لسانه الذي ينطق به ومنها أذناه اللتان يسمع بهما ومنها عيناه اللتان يبصر بهما ومنها يداه اللتان يبطش بهما ومنها رجلاه اللتان يسعى بهما ومنها فرجه الذي الباه من قبله ومنها رأسه الذي فيه وجهه وليس جارحة من جوارحه إلا وهو مخصوصة بفريضة فرض على القلب غير ما فرض على السمع وفرض على السمع غير ما فرض على البصر وفرض على البصر غير ما فرض على اليدين وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه وفرض على الوجه غير ما فرض على اللسان.

فأما ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والعقد عليه والرضا بما فرضه عليه والتسليم لأمره والذكر والتفكر والانقياد إلى كل ما جاء عن الله عز وجل في كتابه مع حصول المعجز.

فيجب عليه اعتقاده وأن يظهر مثل ما أبطن إلا للضرورة كقوله سبحانه ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ﴿النحل:١٠٦﴾ وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ ﴿البقرة:٢٢٥﴾ وقال سبحانه ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ ﴿المائدة:٤١﴾ وقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿الرعد:٢٨﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ ﴿آل عمران:١٩١﴾ وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿محمد:٢٤﴾ وقال عز وجل: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ

الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿الحج:٤٦﴾ ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى وهو رأس الإيمان.

وأما ما فرض الله على اللسان فقوله عز وجل في معنى التفسير لما عقد به القلب وأقر به أو جحده فقوله تعالى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ﴿البقرة:١٣٦﴾ الآية وقوله سبحانه ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ﴿البقرة:٨٣﴾ وقوله سبحانه ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ ﴿النساء:١٧١﴾ ﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ ﴿إبراهيم:٥٢﴾ فأمر سبحانه بقول الحق ونهى عن قول الباطل.

وأما ما فرضه على الأذنين فالاستماع لذكر الله والإنصات إلى ما يتلى من كتابه وترك الإصغاء إلى ما يسخطه فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿الأعراف:٢٠٤﴾ وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ ﴿النساء:١٤٠﴾ الآية.

ثم استثنى برحمته لموضع النسيان فقال: ﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿الأنعام:٦٨﴾ وقال عز وجل: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ❖ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿الزمر:١٧-١٨﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿القصص:٥٥﴾ وفي كتاب تعالى ما معناه معنى ما فرض الله سبحانه على السمع والإيمان.

وأما ما فرضه على العينين فمنه النظر على آيات الله تعالى وغض البصر عن محارم الله قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ❖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ❖ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ❖ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ﴿الغاشية:١٧-٢٠﴾ وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿الأعراف:١٨٥﴾ وقال سبحانه: ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾

﴿الأنعام:٩٩﴾ وقال: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ ﴿الأنعام:١٠٤﴾ وهذه الآية جامعة لإبصار العيون وإبصار القلوب قال الله تعالى:

﴿فَإِنها لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿الحج:٤٦﴾ ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ ﴿النور:٣٠﴾ معناه لا ينظر أحدكم إلى فرج أخيه المؤمن أو يمكنه من النظر إلى فرجه ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ ﴿النور:٣١﴾ أي ممن يلحقهن النظر كما جاء في حفظ الفرج والنظر سبب إيقاع الفعل من الزنا وغيره.

ثم نظم تعالى ما فرض على السمع والبصر والفرج في آية واحدة فقال: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿فصلت:٢٢﴾ يعني بالجلود هاهنا الفروج وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿الإسراء:٣٦﴾ فهذا ما فرض الله تعالى على العينين من تأمل الآيات والغض عن تأمل المنكرات وهو من الإيمان.

وأما ما فرض سبحانه على اليدين فالطهور وهو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ ﴿المائدة:٦﴾ وفرض على اليدين الإنفاق في سبيل الله تعالى فقال: ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ﴿البقرة:٢٦٧﴾.

وفرض تعالى على اليدين الجهاد لأنه من عملها وعلاجها فقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ ﴿محمد:٤﴾ وذلك كله من الإيمان.

وأما ما فرضه الله على الرجلين فالسعي بهما فيما يرضيه واجتناب السعي فيما يسخطه وذلك قوله سبحانه: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ ﴿الجمعة:٩﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ ﴿لقمان:١٨﴾ وقوله: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ ﴿لقمان:١٩﴾ وفرض الله عليهما القيام في الصلاة فقال: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ﴿البقرة:٢٣٨﴾.

ثم أخبر أن الرجلين من الجوارح التي تشهد يوم القيامة حتى يستنطق بقوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿يس:٦٥﴾ وهذا مما فرضه الله تعالى على الرجلين في كتابه وهو من الإيمان.

وأما ما افترضه على الرأس فهو أن يمسح من مقدمه بالماء في وقت الطهور للصلاة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ ﴿المائدة:٦﴾ وفرض عليه السجود وعلى اليدين والركبتين والرجلين الركوع وهو من الإيمان.

وقال فيما فرض على هذه الجوارح من الطهور والصلاة وسماه في كتابه إيماناً حين تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فقال المسلمون يا رسول الله ذهبت صلاتنا إلى بيت المقدس وطهورنا ضياعاً فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿البقرة:١٤٣﴾ فسمى الصلاة والطهور إيماناً.

وقال رسول الله(ﷺ) من لقي الله كامل الإيمان كان من أهل الجنة ومن كان مضيعاً لشيء مما فرضه الله تعالى في هذه الجوارح وتعدى ما أمره الله وارتكب ما نهاه عنه لقي الله تعالى ناقص الإيمان قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿التوبة:١٢٤﴾ وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿الأنفال:٢﴾ وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ ﴿الكهف:١٣﴾ وقال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ ﴿محمد:١٧﴾ وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ ﴿الفتح:٤﴾ الآية.

فلو كان الإيمان كله واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد فضل على أحد وتساوى الناس فبتمام الإيمان وكماله دخل المؤمنون الجنة ونالوا الدرجات فيها وبذهابه ونقصانه دخل الآخرون النار.

وكذلك السبق إلى الإيمان قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ❖ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿الواقعة:١٠-١١﴾ وقال سبحانه ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ ﴿التوبة:١٠٠﴾ وثلث بالتابعين وقال عز وجل: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ ﴿البقرة:٢٥٣﴾ وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ ﴿الإسراء:٥٥﴾ وقال: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ ﴿الإسراء:٢١﴾ وقال: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿آل عمران:١٦٣﴾ وقال سبحانه: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ ﴿هود:٣﴾ وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿التوبة:٢٠﴾.

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ ﴿الحديد:١٠﴾ وقال: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ❖ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ ﴿النساء:٩٦﴾ وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ ﴿التوبة:١٢٠﴾.

فهذه درجات الإيمان ومنازلها عند الله سبحانه ولن يؤمن بالله إلا من آمن برسوله وحججه في أرضه قال الله تعال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ ﴿النساء:٨٠﴾ وما كان الله عز وجل ليجعل لجوارح الإنسان إماماً في جسده ينفي عنها الشكوك ويثبت لها اليقين وهو القلب ويهمل ذلك في الحجج وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿الأنعام:١٤٩﴾ وقال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ ﴿النساء:١٦٥﴾ وقال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا

جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ ﴿المائدة:١٩﴾ وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ ﴿السجدة:٢٤﴾ الآية.

ثم فرض على الأمة طاعة ولاة أمره القوام لدينه كما فرض عليهم طاعة رسول الله(ﷺ) فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ﴿النساء:٥٩﴾ ثم بيّن محل ولاة أمره من أهل العلم بتأويل كتابه فقال عز وجل: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُ﴾ ﴿النساء:٨٣﴾.

وعجز كل أحد من الناس عن معرفة تأويل كتابه غيرهم لأنهم هم الراسخون في العلم المأمونون على تأويل التنزيل قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ﴿آل عمران:٧﴾ إلى آخر الآية وقال سبحانه: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ﴿العنكبوت:٤٩﴾ وطلب العلم أفضل من العبادة قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ﴿فاطر:٢٨﴾ ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿التحريم:٦﴾ ، وبالعلم استحقوا عند الله اسم الصدق وسماهم به صادقين وفرض طاعتهم على جميع العباد بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿التوبة:١١٩﴾ فجعلهم أولياءه وجعل ولايتهم وحزبهم حزبه فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿المائدة:٥٦﴾ وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ﴿المائدة:٥٥﴾.

واعلموا رحمكم الله إنما هلكت هذه الأمة وارتدت على أعقابها بعد نبيها(ﷺ) بركوبها طريق من خلا من الأمم الماضية والقرون السالفة الذين آثروا عبادة الأوثان على طاعة أولياء الله عز وجل وتقديمهم من يجهل على من يعلم فعنفها الله تعالى بقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿الزمر:٩﴾ وقال في الذين استولوا على تراث رسول الله(ﷺ) بغير حق من بعد وفاته ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ﴿يونس:٣٥﴾ فلو جاز للأمة الأيتمام بمن لا يعلم أو بمن يجهل لم يقل إبراهيم(عليه السلام) لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾

﴿مريم:٤٢﴾ فالناس أتباع من اتبعوه من أئمة الحق وأئمة الباطل قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ﴿الإسراء:٧١﴾ فمن إئتم بالصادقين حشر معهم ، قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): ((المرء مع من أحب))[1]. قال إبراهيم(عليه السلام): ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ ﴿إبراهيم:٣٦﴾.

وأصل الإيمان العلم وقد جعل الله تعالى له أهلاً ندّب إلى طاعتهم ومسألتهم فقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿النحل:٤٣﴾ ، وقال جلت عظمته ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ ﴿البقرة:١٨٩﴾ ، والبيوت في هذا الموضع اللاتي عظم الله بناءها بقوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ ﴿النور:٣٦﴾ ثم بيّن معناها لكيلا يظن أهل الجاهلية أنها بيوت مبنية فقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ﴿النور:٣٧﴾ فمن طلب العلم في هذه الجهة أدركه قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): أنا مدينة العلم[2] وفي موضع آخر أنا مدينة الحكمة وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها[3] وكل هذا منصوص في كتابه تعالى إلا أن له أهلاً يعلمون تأويله فمن عدل عنهم إلى الذين ينتحلون ما ليس لهم ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وهو تأويله بلا برهان ولا دليل ولا هدى هلك وأهلك وخسرت صفقته وضل سعيه ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ ﴿البقرة:١٦٦﴾ ، وإنما هو حق وباطل وإيمان وكفر وعلم وجهل وسعادة وشقوة وجنة ونار لن يجتمع الحق والباطل في قلب امرئ، قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ ﴿الأحزاب:٤﴾.

وإنما هلك الناس حين ساووا بين أئمة الهدى وبين أئمة الكفر وقالوا إن الطاعة مفروضة لكل من قام مقام النبي براً كان أو فاجراً فأتوا من قبل ذلك. قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ❖ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ﴿القلم:٣٥-٣٦﴾ وقال الله سبحانه: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ

---

[1]) المجالس / للمفيد ، المجلس ١٩.
[2]) عيون الأخبار ، ج١ ، ص٢٣٣.
[3]) أمالي الطوسي ، المجلس ١٥.

وَالنُّورُ﴾ ﴿الرعد:١٦﴾، وقال فيمن سموهم من أئمة الكفر بأسماء أئمة الهدى ممن غصب أهل الحق ما جعله الله لهم وفيمن أعان أئمة الضلال على ظلمهم ﴿إِنْ هِي إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ﴿النجم:٢٣﴾ فأخبرهم الله سبحانه بعظيم افترائهم على جملة أهل الإيمان بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿النحل:١٠٥﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ ﴿القصص:٥٠﴾ وبقوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ ﴿السجدة:١٨﴾ وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ ﴿محمد:١٤﴾ ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ ﴿الرعد:١٩﴾ فبيّن الله عز وجل بين الحق والباطل في كثير من آيات القرآن ولم يجعل للعباد عذراً في مخالفة أمره بعد البينات والبرهان ولم يتركهم في لبس من أمرهم ولقد ركب القوم من الظلم والكفر في اختلافهم بعد نبيهم وتفريقهم الأمة وتشتيت أمر المسلمين واعتدائهم على أوصياء رسول الله(ﷺ) بعد أن تبيّن لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية بالمخالفة فاتبعوا أهواءهم وتركوا ما أمرهم الله به ورسوله ، قال تعالى:

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ﴿البينة:٤﴾.

ثم أبان فضل المؤمنين فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ﴿البينة:٧﴾ ، ثم وصف ما أعده من كرامته تعالى لهم وما أعده لمن أشرك به وخالف أمره وعصى وليه من النقمة والعذاب ففرق بين صفات المهتدين وصفات المعتدين فجعل ذلك مسطوراً في كثير من آيات كتابه ولهذه العلة قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿محمد:٢٤﴾ فترى من هو الإمام الذي يستحق هذه الصفة من الله عز وجل المفروض على الأمة طاعته من لم يشرك بالله تعالى طرفة عين ولم يعصه في دقيقة ولا جليلة قط أم من أنفد عمره وأكثر أيامه في عبادة الأوثان ثم أظهر الإيمان وأبطن النفاق وهل من صفة الحكيم أن يطهر الخبيث بالخبيث ويقيم الحدود على الأمة من في جنبه الحدود الكثيرة وهو سبحانه يقول: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿البقرة:٤٤﴾.

أو لم يأمر الله عز وجل نبيه(ﷺ) بتبليغ ما عهده إليه في وصيه وإظهار إمامته وولايته ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ﴿المائدة:٦٧﴾ فبلغ رسول الله(ﷺ) ما قد سمع.

وأعلم أن الشياطين اجتمعوا إلى إبليس فقالوا له ألم تكن أخبرتنا أن محمداً إذا مضى نكثت أمته عهده ونقضت سنته وان الكتاب الذي جاء به يشهد بذلك وهو قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ ﴿آل عمران:١٤٤﴾ ، فكيف يتم هذا وقد نصب لأمته علماً وأقام لهم إماماً فقال لهم إبليس لا تجزعوا من هذا فإن أمته ينقضون عهده ويغدرون بوصيه من بعده ويظلمون أهل بيته ويهملون ذلك لغلبة حب الدنيا على قلوبهم وتمكن الحمية والضغائن في نفوسهم واستكبارهم وعزهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿سبأ:٢٠﴾.

وأما الكفر المذكور في كتاب الله تعالى فخمسة وجوه منها كفر الجحود ومنها كفر فقط والجحود ينقسم إلى وجهين ومنها كفر الترك لما أمر الله تعالى به ومنه كفر البراءة ومنها كفر النعم.

فأما كفر الجحود فأحد الوجهين منه جحود الوحدانية وهو قول من يقول لا رب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور وهؤلاء صنف من الزنادقة وصنف من الدهرية الذين يقولون ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ ﴿الجاثية:٢٤﴾ وذلك رأي وضعوه لأنفسهم استحسنوه بغير حجة فقال الله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ﴿البقرة:٧٨﴾ وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿البقرة:٦﴾ أي لا يؤمنون بتوحيد الله.

والوجه الآخر من الجحود هو الجحود مع المعرفة بحقيقته قال تعالى:

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ ﴿النمل:١٤﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿البقرة:٨٩﴾ ، أي جحدوه بعد أن عرفوه.

وأما الوجه الثالث من الكفر فهو كفر الترك لما أمرهم الله به وهو من المعاصي قال الله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ﴿البقرة:٨٤﴾ إلى قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ ﴿البقرة:٨٥﴾ فكانوا كفاراً لتركهم ما أمر الله تعالى به فنسبهم إلى الإيمان بإقرارهم بألسنتهم على الظاهر دون الباطن فلم ينفعهم ذلك لقوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿البقرة:٨٥﴾ إلى آخر الآية.

وأما الوجه الرابع من الكفر فهو ما حكاه تعالى من قول إبراهيم ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ ﴿الممتحنة:٤﴾ فقوله: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي تبرأنا منكم وقال سبحانه في قصة إبليس وتبريه من أوليائه من الأنس يوم القيامة ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ ﴿إبراهيم:٢٢﴾ أي تبرأت منكم وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿العنكبوت:٢٥﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ ﴿العنكبوت:٢٥﴾ الآية.

وأما الوجه الخامس من الكفر وهو كفر النعم قال الله تعالى عن قول سليمان(عليه السلام) ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ ﴿النمل:٤٠﴾ الآية وقول عز وجل: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿إبراهيم:٧﴾ وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ ﴿البقرة:١٥٢﴾.

فأما ما جاء من ذكر الشرك في كتاب الله تعالى فمن أربعة أوجه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿المائدة:٧٢﴾ فهذا شرك القول والوصف.

وأما الوجه الثاني من الشرك فهو شرك الأعمال قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿يوسف:١٠٦﴾ وقوله سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿التوبة:٣١﴾ على أنهم لم يصوموا لهم ولم يصلوا ولكنهم أمروهم ونهوهم فأطاعوهم وقد حرموا عليهم حلالاً وأحلوا لهم حراماً فعبدوهم من حيث لا يعلمون فهذا شرك الأعمال والطاعات.

وأما الوجه الثالث من الشرك شرك الزنا ، قال الله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ ﴿الإسراء:٦٤﴾ فمن أطاع ناطقاً فقد عبده فإن كان الناطق ينطق عن الله تعالى فقد عبد الله وإن كان ينطق عن غير الله تعالى فقد عبد غير الله.

وأما الوجه الرابع من الشرك فهو شرك الرياء قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿الكهف:١١٠﴾ فهؤلاء صاموا وصلوا واستعملوا أنفسهم بأعمال أهل الخير إلا أنهم يريدون به رئاء الناس فأشركوا لما أتوه من الرياء فهذه جملة وجوه الشرك في كتاب الله تعالى.

وأما ما ذكر من الظلم في كتابه فوجوه شتى فمنها ما حكاه الله تعالى عن قول لقمان لابنه ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿لقمان:١٣﴾ ومن الظلم مظالم الناس فيما بينهم من معاملات الدنيا وهي شتى قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ ﴿الأنعام:٩٣﴾.

فأما الرد على من أنكر زيادة الكفر فمن ذلك قول الله عز وجل في كتابه: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ ﴿التوبة:٣٧﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿التوبة:١٢٥﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ ﴿النساء:١٣٧﴾ الآية وغير ذلك في كتاب الله.

وأما ما فرضه سبحانه من الفرائض في كتابه فدعائم الإسلام وهي خمس دعائم وعلى هذه الفرائض الخمسة بني الإسلام فجعل سبحانه لكل فريضة من هذه

الفرائض أربعة حدود لا يسع أحداً جهلها ، أولها الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الولاية وهي خاتمتها والحافظة لجميع الفرائض والسنن.

فحدود الصلاة أربعة معروفة:

- ❖ الوقت.
- ❖ والتوجه إلى القبلة.
- ❖ والركوع.
- ❖ والسجود.

وهذه عوام في جميع الناس ، العالِم والجاهل وما يتصل بها من جميع أفعال الصلاة والأذان والإقامة وغير ذلك ولما علم الله سبحانه أن العباد لا يستطيعون أن يؤدوا هذه الحدود كلها على حقائقها جعل فيها فرائض وهي الأربعة المذكورة وجعل فيها من هذه الأربعة من القراءة والدعاء والتسبيح والتكبير والأذان والإقامة وما شاكل ذلك سُنّة واجبة من أحبها يعمل بها أعمالاً فهذا ذكر حدود الصلاة.

وأما حدود الزكاة فأربعة :

- ❖ أولها معرفة الوقت الذي يجب فيه الزكاة.
- ❖ والثاني القسمة.
- ❖ والثالث الموضع الذي يوضع فيه الزكاة.
- ❖ والرابع القدر .

فأما معرفة العدد والقسمة فإنه يجب على الإنسان أن يعلم كم يجب من الزكاة في الأموال التي فرضها الله تعالى من الإبل والبقر والغنم والذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والزبيب فيجب أن يعرف كم يخرج من العدد والقسمة ويتبعهما الكيل والوزن والمساحة فما كان من العدد فهو من باب الإبل والبقر والغنم ،وأما المساحة فمن باب الأرضين والمياه ، وما كان من المكيل فمن باب الحبوب التي هي أقوات الناس في كل بلد ، وأما الوزن فمن الذهب والفضة وسائر ما يوزن من أبواب مبلغ التجارات مما لا يدخل في العدد ولا الكيل ، فإذا عرف الإنسان ما يجب

عليه في هذه الأشياء وعرف الوضع وتوضع فيه كان مؤدياً للزكاة على ما فرض الله تعالى.

وأما حدود الصيام فأربعة حدود:

❖ أولها اجتناب الأكل والشرب.

❖ والثاني اجتناب النكاح.

❖ والثالث اجتناب القيء العمد.

❖ والرابع اجتناب الاغتماس في الماء وما يتصل بها وما يجري مجراها من السنن كلها.

وأما حدود الحج فأربعة وهي:

❖الإحرام.

❖ والطواف بالبيت.

❖ والسعي بين الصفا والمروة.

❖ والوقوف في الموقفين وما يتبعهما ويتصل بها فمن ترك هذه الحدود وجب عليه الكفارة والإعادة.

وأما حدود الوضوء للصلاة:

❖ فغسل اليدين والوجه.

❖ والمسح على الرأس وعلى الرجلين وما يتعلق ويتصل بها سُنّة واجبة على من عرفها وقدر على فعلها.

وأما حدود الإمام المستحق للإمامة:

❖ **فمنها** أن يعلم الإمام المتولي عليه أنه معصوم من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها ، لا يزل في الفتيا ولا يخطئ في الجواب ولا يسهو ولا ينسى ولا يلهو بشيء من أمر الدنيا.

◆ **والثاني** أن يكون أعلم الناس بحلال الله وحرامه وضروب أحكامه وأمره ونهيه وجميع ما يحتاج إليه الناس فيحتاج الناس إليه ويستغني عنهم.

◆ **والثالث** يجب أن يكون أشجع الناس لأنه فئة المؤمنين التي يرجعون إليها إن انهزم من الزحف انهزم الناس بانهزامه.

◆ **والرابع** يجب أن يكون أسخى الناس وإن بخل أهل الأرض كلهم لأنه إن استولى الشح عليه شح على ما في يديه من أموال المسلمين.

◆ **والخامس** العصمة من جميع الذنوب وبذلك يتميز من المأمومين الذين هم غير معصومين لأنه لو لم يكن معصوماً لم يؤمن عليه أن يدخل فيما يدخل فيه الناس من موبقات الذنوب المهلكات والشهوات واللذات ولو دخل في هذه الأشياء لاحتاج إلى من يقيم الحدود عليه فيكون حينئذ إماماً مأموماً ولا يجوز أن يكون الإمام بهذه الصفة.

وأما وجوب كونه أعلم الناس فإنه لو لم يكن عالماً لم يؤمن أن يقلب الأحكام والحدود ويختلف عليه القضايا المشكلة فلا يجيب عنها بخلافها ((أي فلا يجيب عنها لما فيها من الخلاف)).

أما وجوب كونه أشجع الناس فيما قدمناه لأنه لا يصح أن ينهزم فيبوء بغضب من الله تعالى وهذه لا يصح أن يكون صفة الإمام ، وأما وجوب كونه أسخى الناس فيما قدمناه وهذا يليق بالإمام وقد جعل الله تعالى لهذه الأربعة فرائض دليلين أبان لنا بهما المشكلات وهما الشمس والقمر أي النبي ووصيه بلا فصل.

وأما الزجر في كتاب الله عز وجل فهو ما نهى الله سبحانه ووعد العقاب لمن خالفه مثل قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ﴿الإسراء:٣٢﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿الإسراء:٣٤﴾ وقوله سبحانه: ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ ﴿آل عمران:١٣٠﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ﴿الإسراء:٣٣﴾ ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى.

وأما ترغيب العباد في كتاب الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ ﴿الإسراء:٧٩﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ

ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿غافر:٤٠﴾ وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ❖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿الزلزلة:٧-٨﴾ وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ❖ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ﴿الصف:١٠-١١﴾ وقوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ ﴿النساء:٣١﴾ وأمثال ذلك كثير في كتاب الله تعالى.

وأما الترهيب في كتاب الله فقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿الحج:١-٢﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿البقرة:٢٨١﴾ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ ﴿لقمان:٣٣﴾ إلى آخر الآية وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿غافر:٦٠﴾.

أما الجدال[1] ومعانيه في كتاب الله تعالى ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ❖ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿الأنفال:٥-٦﴾ ولما خرج رسول الله(ﷺ) إلى بدر كان خروجه في طلب العدو وقال لأصحابه إن الله عز وجل قد وعدني أن أظفر بالعير أو بقريش فخرجوا معه على هذا فلما أقبلت العير وأمره الله بقتال قريش أخبر أصحابه فقال إن قريشاً قد أقبلت وقد وعدني الله سبحانه إحدى الطائفتين أنها لكم وأمرني بقتال قريش.

قال فجزعوا من ذلك وقالوا يا رسول الله فإنا لم نخرج على أهبة الحرب ، قال وأكثر قوم منهم الكلام والجدال فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ

---

[1] والجدال على قسمين : بالحق وبالباطل ، فالجدال بالحق ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿النحل:١٢٥﴾ مأمور به ومرغب فيه ، والجدال بالباطل الغير ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ منهي عنه ومزجور عن استعماله. الاعتقادات للشيخ الصدوق ، ص٤٢. تصحيح اعتقادات الإمامية ، ص٦٨ للشيخ المفيد.

الْكَافِرِينَ﴾ ﴿الأنفال:٧﴾ وكقوله سبحانه: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ ﴿المجادلة:١﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿النحل:١٢٥﴾ ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى.

وأما الاحتجاج على الملحدين وأصناف المشركين مثل قوله حكاية عن قول إبراهيم(عليه السلام): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ ﴿البقرة:٢٥٨﴾ إلى آخر الآية وقوله سبحانه عن الأنبياء في مجادلتهم لقولهم في سورة الأعراف وغيرها وقوله تعالى حكاية عن قوم نوح(عليه السلام): ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿هود:٣٢﴾ ومثل هذا كثير موجود في مجادلة الأمم للأنبياء.

وأما ما في كتاب الله تعالى من القصص عن الأمم فإنه ينقسم على ثلاثة أقسام :

- فمنه ما مضى.
- ومنه ما كان في عصره.
- ومنه ما أخبر الله تعالى به أنه يكون بعده.

فأما ما مضى فما حكاه الله تعالى فقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ ﴿يوسف:٣﴾ ومنه قول موسى لشعيب: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿القصص:٢٥﴾ ، ومنه ما أنزل الله من ذكر شرائع الأنبياء وقصصهم وقصص أممهم حكاية عن آدم إلى نبينا(صلى الله عليه وآله) وأما الذي كان في عصر النبي(صلى الله عليه وآله) فمنه ما أنزل الله تعالى في مغازيه وأصحابه وتوبيخهم ومدح من مدح منهم وذم من ذم منهم وما كان من خير وشر وقصة كل فريق منهم مثل ما قص من قصة غزاة بدر وأحد وخيبر وحنين وغيرها من المواطن والحروب ومباهلة النصارى ومحاربة اليهود وغيره مما لو شرح لطال به الكتاب.

وأما قصص ما يكون بعده فهو كل ما حدث بعده مما أخبر النبي(صلى الله عليه وآله) به وما لم يخبر والقيامة وأشراطها وما يكون من الثواب والعقاب وأشباه ذلك.

وأما ما في كتاب الله تعالى من ضرب الأمثال فمثل قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ ﴿إبراهيم:٢٤﴾ إلى آخر الآية وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ﴿آل عمران:١١٧﴾ الآية وكقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ ﴿النور:٣٥﴾ إلى آخر الآية وإنما ضرب الله سبحانه هذه الأمثال للناس في كتابه ليعتبروا بها ويستبدلوا بها ما أراده منهم من الطاعة وهو كثير في كتابه تعالى[1].

وأما ما في كتابه تعالى في معنى التنزيل والتأويل فمنه:

- ما تأويله في تنزيله.
- ومنه ما تأويله قبل تنزيله.
- ومنه ما تأويله مع تنزيله.
- ومنه ما تأويله بعد تنزيله.

فأما الذي تأويله في تنزيله فهو كل آية محكمة نزلت في تحريم شيء من الأمور المتعارفة التي كانت في أيام العرب تأويلها في تنزيلها فليس يحتاج فيها إلى تفسير أكثر من تأويلها وذلك قوله تعالى في التحريم ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ ﴿النساء:٢٣﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ ﴿النحل:١١٥﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ﴿البقرة:٢٧٥﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿الأنعام:١٥١﴾ ومثل ذلك في القرآن كثير مما حرم الله سبحانه لا يحتاج المستمع إلى مسألة عنه.

---

[1]) وفي تفسير ومعنى الشجرة الطيبة وردت عدة معان ، فعن الرسول الأكرم(ﷺ) أنه قال: ((شجرة طيبة أنا أصلها ، وعلي فرعها ، والأئمة أغصانها ، وعلمنا ثمرها ، وشيعتهم ورقها)). الكافي ، ج١ ، ص٤٢٨.

وقوله عز وجل في معنى التحليل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ ﴿المائدة:٩٦﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ ﴿المائدة:٢﴾ وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ ﴿المائدة:٤﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ ﴿المائدة:٥﴾ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ ﴿المائدة:١﴾ وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ ﴿البقرة:١٨٧﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ﴿المائدة:٨٧﴾ ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى.

وأما الذي تأويله قبل تنزيله فمثل قوله تعالى في الأمور التي حدثت في عصر رسول الله(ﷺ) مما لم يكن الله أنزل فيها حكماً مشروحاً ولم يكن عند النبي(ﷺ) فيها شيء ولا عرف ما وجب فيها مثل ذلك من اليهود من بني قريظة والنضير وذلك أن رسول الله(ﷺ) لما هاجر إلى المدينة كان بها ثلاث بطون من اليهود من بني هارون منهم بنو قريظة وبنو النضير وبنو القينقاع فلما دخلت الأوس والخزرج في الإسلام جاءت اليهود إلى رسول الله(ﷺ) فقالوا يا محمد قد أحببنا أن نهادنك إلى أن نرى ما يصير إليه أمرك فأجابهم رسول الله(ﷺ) تكرماً وكتب لهم كتاباً أنه قد هادنهم وأقرهم على دينهم لا يتعرض لهم وأصحابه بأذية وضمنوا هم عن نفوسهم أنهم لا يكيدونه بوجه من الوجوه ولا لأحد من أصحابه.

وكانت الأوس حلفاء بني قريظة والخزرج حلفاء بني النضير وبنو النضير أكثر عدداً من بني قريظة وأكثر أموالاً وكانت عدتهم ألف مقاتل وكان عدد بني قريظة مائة مقاتل وكان إذا وقع بينهم قتل لم يرض بنو النضير أن يكون قتل بقتيل بل يقولون نحن أشرف وأكثر وأقوى وأعز.

ثم اتفقوا بعد ذلك أن يكتبوا بينهم كتاباً شرطوا فيه أيما رجل من بني النضير قتل رجلاً من بني قريظة دفع نصف الدية وحمم وجهه ومعنى حمم وجهه سخم وجهه بالسواد ومعناه حمم بالفحم ويقعد على حمار ويحول وجهه إلى ذنب الحمار

ونودي عليه في الحي ، وأيما رجل من بني قريظة قتل رجلاً من بني النضير كان عليه الدية كاملة وقتل القاتل مع دفع الدية.

فلما هاجر رسول الله(ﷺ) إلى المدينة ودخل الأوس والخزرج[1] في دين الإسلام وثب رجل من بني قريظة على رجل من بني النضير فبعث بنو النضير إلى بني قريظة ابعثوا لنا بقاتل صاحبنا لنقتله وابعثوا إلينا بالدية فامتنعوا من ذلك وقالوا هذا ليس حكم الله في التوراة وإنما هذا حكم ابتدعتموه وليس لكم علينا إلا الدية أو القتل فإن رضيتم بذلك وإلا بيننا وبينكم محمد نتحاكم إليه جميعاً.

قال فبعث بنو النضير إلى عبد الله بن أُبي بن سلول[2] وكان رأس المنافقين فقالوا قد علمت ما بيننا من الحلف والموادعة وقد كنا لكم يا معاشر الأنصار من الخزرج أنصاراً على من آذاكم وقد امتنعت علينا بنو قريظة بما شرطناه عليهم ودعونا إلى حكم محمد وقد رضينا به فاسأله أن لا ينقض شرطنا فقال لهم عبد الله بن أبي بن سلول ابعثوا إليّ رجلاً منكم ليحضر كلامي وكلام محمد فإن علمتم أنه يحكم لكم ويقركم على ما كنتم عليه فارضوا به وإن لم يفعل فلا ترضوه لحكمه.

وجاء عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله(ﷺ) ومعه رجل من اليهود فقال يا رسول الله إن هؤلاء اليهود لهم العدد والعدة والمنعة وقد كانوا كتب بينهم كتاب شرط اتفقوا عليه فيما بينهم ورضوا جميعاً به وهم صائرون إليك فلا تنقض عليهم شرطهم فاغتم من كلامه ولم يجبه ودخل(ﷺ) منزله.

---

[1] الأوس والخزرج : عرفت القبيلتان – بعد دخولهما الإسلام – بـ الأنصار. جد الأولى : أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو. وجد الثانية : الخزرج بن ثعلبة ، من بني مزيقياء ، من الأزد ، تحوّل بنوهما من اليمن إلى يثرب ((المدينة)) ، وبطونهما كثيرة متعددة ، فمن بطون الخزرج : بنو النجار ، بنو عوف ، بنو غنم ، بنو جشم وآخرون. معجم قبائل العرب ، الكحالة ، ج١ ، ص٥٠.

[2] عبد الله بن أُبي بن مالك بن الحارث بن عبيد بن سالم بن غنم بن عمرو بن الخزرج.
وسلول : امرأة من خزاعة ، هي أم أُبي.. كان من أشراف الخزرج ، وكانت الخزرج قد اجتمعت على أن يتوجوه ويسندوا إليه أمرهم قبل مبعث النبي(ﷺ) ، فلما جاء الله بالإسلام نَفَسَ على رسول الله(ﷺ) النبوة ، وأخذته العزة فلم يخلص الإسلام وأضمر النفاق حسداً وبغياً ، مات سنة ٩هـ . الطبقات لابن سعد ، ج٣ .

فأنزل الله عليه ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ ﴿المائدة:٤١﴾ يعني تعالى عبد الله بن أبي بن سلول ثم قال سبحانه: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ ﴿المائدة:٤١﴾ يعني به الرجل اليهودي الذي وافى مع عبد الله بن أبي بن سلول ليسمع ما يقول رسول الله(ﷺ) من الجواب لعبد الله وقال: ﴿لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿المائدة:٤١﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ ﴿المائدة:٤٢﴾.

وجعل الله سبحانه الأمر إلى رسوله إن شاء أن يحكم حكم بينهم وإن شاء أعرض عنهم ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ❖ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ❖ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ❖ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ❖ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ ﴿المائدة:٤٢-٤٦﴾.

ومثل ذلك الظهار[١] في كتاب الله تعالى فإن العرب كانت إذا ظاهر رجل منهم امرأته حرمت عليه إلى آخر الأبد فلما هاجر رسول الله(ﷺ) كان بالمدينة رجل من الأنصار يقال له ((أوس بن الصامت))[٢] وكان أول رجل ظاهر في الإسلام وكان كبير السن به ضعف فجرى بينه وبين أهله كلام وكانت امرأته تسمى ((خولة بنت ثعلبة الأنصاري)) فقال لها أوس أنت عليّ كظهر أمي ثم إنه ندم على ما كان منه وقال ويحك إنا كنّا في الجاهلية تحرم علينا الأزواج في مثل هذا من قبل الإسلام فلو أتيت رسول الله(ﷺ) تسأله عن ذلك.

فجاءت خولة بنت ثعلبة[٣] إلى رسول الله فقالت يا رسول الله زوجي ظاهر مني وهو أبو أولادي وابن عمي قد كان هذا الظهار في الجاهلية يحرم الزوجات على الأزواج أبداً فقال لها ما أظنك إلا أن حرمت عليه إلى آخر الأبد فجزعت جزعاً شديداً وبكت ثم قامت فرفعت يديها إلى السماء وقالت إلى الله أشكو فراق زوجي فرحمها أهل البيت وبكوا لبكائها فأنزل الله على نبيه: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ❖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ ﴿المجادلة:١-٤﴾.

---

١) الظهار : قول الرجل لامرأته : ((أنتِ عليّ كظهر أمي)) وهي كلمة كانوا يقولونها يريدون بها الفراق ، وإنما اختصوا الظهر لمكان الركوب فكأنه قال: ركوبك للنكاح حرامٌ عليّ ، وإلا فسائر أعضائها في التحريم كالظهر.. وكان الظهار طلاقا في الجاهلية فنهوا عن الطلاق بلفظ الجاهلية ، وأوجب عليهم الكفارة تغليظاً في النهي. كانوا إذا قال الرجل منهم هذا لامرأته بانت منه وطلقت ، وفي الشرع لا تبين المرأة إلا أنه لا يجوز له وطؤها إلا بعد أن يكفر. مقاييس اللغة ، ج٣ ، ص٤٧١.

٢) أوس بن الصامت بن قيس بن أحرم (أصرم) الأنصاري ، من بني عوف بن الخزرج أخو عبادة توفي سنة ٣٤ للهجرة. الاستيعاب لابن عبد البر ، ج١ ، ص١١٨.

٣) هي خولة بنت قيس بن محصن الأنصارية : وعويمر وخولة وشريك بنو عم العاصم بن عدي الأنصاري وقيل هي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن أحرم من بني عمرو بن عوف بن الخزرج. هذا الاختلاف في الاسم في الروايات. بحار الأنوار ، ج٢١ ، ص٣١٧. الاستيعاب ، ج٤ ، ص٨٣٠.

فقال لها رسول الله(ﷺ) قولي لأوس بن الصامت زوجك يعتق نسمة فقالت يا رسول الله وأنى له نسمة لا والله ما له خادم غيري قال فيصوم شهرين متتابعين قالت إنه شيخ كبير لا يقدر على الصيام قال فمريه أن يتصدق على ستين مسكيناً قالت وأنى له الصدقة فوالله ما بين لابتيها[1] أحوج منا قال فقولي فليمض إلى أم المنذر فليأخذ منها شطر وسق[2] تمر فليتصدق على ستين مسكيناً قال فعادت إلى أوس فقال لها ما وراك قالت خير وأنت ذميم إن رسول الله(ﷺ) يأمرك أن تمضي إلى أم المنذر[3] فتأخذ منها وسق تمر فتتصدق به على ستين مسكيناً.

ومثل ذلك في اللعان[4] أن رسول الله(ﷺ) لما رجع من غزاة تبوك قام إليه عويمر بن الحارث العجلاني فقال يا رسول الله إن امرأتي زنت بشريك بن السمخاط[1]

---

١) اللابة : الحرة السوداء ذات الحجارة السود وفي الحديث ((ما بين لابتيها أحوج منا)) وإنما جرى هذا أول مرة بالمدينة ، وهي بين حرتين ، حرة واقم ، وحرة ليلى فلما تمكن هذا الكلام جرى على أفواه الناس في كل بلدة فصار كأنه بين حدين. العين ، ج٨ ، ص٣٣٧.

٢) وسق : كلمة تدل على حمل الشيء.. ومنه الوسق : ستون صاعاً .. وهو جمع المتفرق : يقال وسقت الشيء إذا جمعته ، وسمي قدر المعلوم من الحمل كحمل البعير: وسقاً.. والوسق: مكيلة معلومة ، وقيل: هو حمل بعير ، وهو ستون صاعاً بصاع النبي(ﷺ) ، وهو خمسة أرطال وثلث. معجم مقاييس اللغة ، ج٦ ، ص١٠٩.

٣) أم المنذر الأنصارية – وقيل : العدوية – بنت قيس بن عمرو بن عبيد النجاري ، ابن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، وقيل اسمها : سلمى ، إحدى خالات النبي(ﷺ) ، صلّت معه القبلتين ، لها صحبة ، وحديثها عند أهل المدينة ، وكان عندها تمر الصدقة ، وهي أخت سليط بن قيس من بني مازن بن النجار. أسد الغابة ، ج٥ ، ص٦١٢.

٤) اللعان : أن يَرمي الرجل امرأته بالفجور وينكر ولدها ، فإن أقام عليها أربعة شهود عدول رُجمت ، وإن لم يقم عليها بينة لاعنها فإن امتنع من لعانها ضُرب حدَّ المفتري ثمانين جلدة ، وإن لاعنها دُرِءَ عنه الحدّ. مقاييس اللغة ، ج٥ ، ص٢٥٢. وقيل : أول من لاعن: هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف (وهو سالم) ابن امرء القيس الأوسي الأنصاري الواقفي. اسد الغابة ، ج٥ ، ص٦٦.

فأعرض عنه فأعاد عليه القول فأعرض عنه فأعاد ثالثة فقام(صلى الله عليه وآله) ودخل فنزل اللعان فخرج إليه فقال ائتني بأهلك فقد أنزل الله فيكما قرآناً فمضى وأتى بأهله وأتى معها قومها وكانت في شرف من الأنصار.

فوافوا رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهو يصلي العصر فلما فرغ أقبل عليهما وقال لهما تقدما إلى المنبر فلاعنا فتقدم عويمر[٢] إلى المنبر فتلا عليهما رسول الله(صلى الله عليه وآله) آية اللعان ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿النور:٦﴾ الآية ، فيما رماها به فقال لها رسول الله(صلى الله عليه وآله):

والعني نفسك بالخامسة فشهدت وقالت في الخامسة إن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فيما رماني به فقال لهما رسول الله(صلى الله عليه وآله) اذهبا ولن يحل لك ولن تحلي له أبداً.

فقال عويمر يا رسول الله فالذي أعطيتها فقال له إن كنت صادقاً فهو لها بما استحللته من فرجها وان كنت كاذباً فهو أبعد لك منه وفرق بينهما.

ومثله أن قوماً من أصحاب[٣] رسول الله(صلى الله عليه وآله) ترهبوا وحرموا أنفسهم من طيبات الدنيا وحلفوا على ذلك أنهم لا يرجعون إلى ما كانوا عليه أبداً ولا يدخلون

---

١) شريك بن السمخاط ((وفي رواية النعماني في تفسير القمي)) شمحاء : وهو شريك بن سمخاء وهي أمه واسم أبيه عبدة بن معتب ((مغيث)) بن الجد بن عجلان البلوي حليف الأنصار. أسد الغابة ، ج٢ ، ص٣٩٧.

٢) وهو عويمر بن الحارث بن زيد بن الجد العجلاني الأنصاري: وفي تفسير القمي : عويمر بن ساعدة العجلاني وأثبته بعضهم : عويمر بن الأبيض ، قال آخر الأبيض لقب لأحد آبائه. أسد الغابة ، ج١ ، ص٢٣.

٣) في مجمع البيان للطبرسي ، ج٣ ، ص٤٠٤ ، ذكر أسماء العشرة وهم : علي بن أبي طالب(عليه السلام) أبو بكر ، عبد الله بن مسعود ، أبو ذر الغفاري ، سالم مولى أبي حذيفة ، عبد الله بن عمر ، المقداد بن الأسود الكندي ، سلمان الفارسي ، معقل بن مقرن ، وصاحب المنزل الذي اجتمعوا فيه ، عثمان بن مظعون الجمحي وحول الموضوع كلام طويل ذكر في الاحتجاج ، ج١ ، وفي مناقب آل

فيه بعد وقتهم ذلك منهم عثمان بن مظعون[١] وسلمان وتمام عشرة من المهاجرين والأنصار فأما عثمان بن مظعون فحرم على نفسه النساء والآخر حرم الإفطار بالنهار إلى غير ذلك من مشاق التكليف.

فجاءت امرأة عثمان بن مظعون إلى بيت أم سلمة[٢] فقالت لها لم عطلت نفسك من الطيب والصبغ والخضاب وغيره فقالت لأن عثمان بن مظعون زوجي ما قربني مذ كذا وكذا قالت أم سلمة ولم ذا قالت لأنه حرم على نفسه النساء وترهب فأخبرت أم سلمة رسول الله(صلى الله عليه وآله) بذلك وخرج إلى الصحابة وقال أترغبون عن النساء إني آتي النساء وأفطر بالنهار وأنام في الليل فمن رغب عن سنتي فليس مني وأنزل الله تعالى: ﴿{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ❖ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿المائدة:٨٧-٨٨﴾ فقالوا يا رسول الله إنا قد حلفنا على ذلك فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ

أبي طالب ، ج١ ، وفي تفسير الصافي ، ج٢ ، وفي الميزان ، ج٦ ، وفي نهج البلاغة ، ج١٣ ، الخطبة القاصعة فراجع ذلك.

١) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحي القرشي ، يكنى أبا السائب ، وقيل كان أخاً للنبي(صلى الله عليه وآله) من الرضاعة ، وإنه من حكماء العرب في الجاهلية ، وإنه حرم الخمر على نفسه قبل الإسلام ، أسلم بعد ١٣ رجلاً ، وكان ملازماً لأمير المؤمنين(عليه السلام) ، هاجر إلى الحبشة ، وشهد بدراً ، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين سنة٢ للهجرة. أسد الغابة ، ج٣ ، ص٣٨٥.

٢) أم سلمة : هند بنت أبي أمية – واسمه : حذيفة ، وقيل : سهيل – ابن المغيرة بن عبد الله القرشية المخزومية .. أفضل نساء النبي(صلى الله عليه وآله) بعد أم المؤمنين خديجة (عليها السلام) ، وفضائلها كثيرة معروفة ، ومواقفها المؤيدة لأمير المؤمنين(عليه السلام) ، ومروياتها فيه مشهورة ، قال لها النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) – في حديث الكساء المعروف ونزول آية التطهير – : ((يرحمك الله أنت على خير أو إلى خير)) ، تزوجها الرسول(صلى الله عليه وآله) سنة أربع – وقيل ثلاث – بعد موت أبي سلمة ، الذي كانت هاجرت معه إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة قبل وقعة بدر الكبرى. روى عنها خلق كثير من الصحابة والتابعين ، توفيت بعد واقعة كربلاء ، آخر سنة ٦١هـ وكان عمرها ٨٤ سنة. أسد الغابة ، ج٥ ، ص٥٨٨.

تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ ﴿المائدة:٨٩﴾.

ومثله أن قوماً من الأنصار كانوا يعرفون ببني أبيرق[١] وكانوا منافقين قد أظهروا الإسلام وأسروا النفاق وهم ثلاثة إخوة يقال لهم بشر ومبشر وبشير وكان بشر يكنى أبا طعمة وكان رجلاً خبيثاً شاعراً قال فنقبوا[٢] على رجل من الأنصار يقال له بن زيد بن عامر وكان عم قتادة بن النعمان الأنصاري وكان قتادة ممن شهد بدراً فأخذوا طعاماً كان قد أعده لعياله وسيفاً ودرعاً.

فقال رفاعة لابن أخيه قتادة إن بني أبيرق قد فعلوا بيّ كذا فلما بلغ بني أبيرق ذلك جاءوا إليهما وقالوا لهما إن هذا من عمل لبيد بن سهل وكان لبيد بن سهل رجلاً صالحاً شجاعاً بطلاً إلا أنه فقير لا مال له فبلغ لبيد قولهم فأخذ سيفه وخرج إليهم فقال لهم يا بني أبيرق أترموني بالسرقة وأنتم أولى بها مني والله لتبينن ذلك أو لأمكنن سيفي منكم فلا يزالوا يلاطفونه حتى رجع عنهم وقالوا له أنت بريء من هذا.

فجاء قتادة بن النعمان[٣] إلى رسول الله(ﷺ) فقال له بأبي أنت وأمي إن أهل بيت منا نقبوا على عمي وأخذوا له كذا وكذا وهم أهل بيت سوء وذكرهم بقبيح

---

١) الأبيرق هو : الحارث بن عمرو بن حارثة بن الهيثم بن ظفر – وظفر هو : كعب. ناسخ القرآن ومنسوخه لشيخ الطائفة في عصره أبي القاسم سعد بن عبد الله الأشعري القمي ، ص١٨٠.

٢) نقبوا من : نقب الشيء ، أي خرقه ، ((نقب)) أصلٌ صحيح يدل على فتحٍ في الشيء ، ونقب الحائط ينقبه نقباً ، ونقب خُف البعير : تخرق نقباً ، والنقب والمنقبة : الطريق في الجبل ، ونقبوا في البلاد : ساروا ، وأصله السير في النقوب : الطرق ، والنقيب : نقيب القوم ، شاهدهم وضمينهم ، والمنقبة : الفعلة الكريمة ، وقياسها صحيح ، لأنها شيء حسن قد شهر ، كأنه نقب عنه ، والنقب في الحائط والجلد : كالثقب في الخشب. مقاييس اللغة ، ج٥ ، ص٤٦٦.

٣) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر ، من أصحاب رسول الله(ﷺ) ، وممن شهد بدراً ، مات سنة ٢٣ هـ وصلى عليه عمر بن الخطاب ، يلقب : ذا العينين ، إذ أصيبت عينه يوم أحد حتى وقعت على وجنته ، فردها رسول(ﷺ) مكانها بيده الشريفة ، فعادت أحسن من قبل. الكنى والألقاب ، ج٢ ، ص٢٥٦.

فبلغ ذلك بني أبيرق فمشوا إلى رسول الله(ﷺ) ومعهم رجل من بني عمهم يقال له أشتر بن عروة وكان رجلاً فصيحاً خطيباً فقال يا رسول الله إن قتادة بن النعمان عمد إلى أهل بيت منا لهم حسب ونسب وصلاح فرماهم بالسرقة وذكرهم بالقبيح وقال فيهم غير الواجب قال رسول الله(ﷺ) إن كان ما قلته حقاً فبئس ما صنع.

فاغتم قتادة من ذلك ورجع إلى عمه فقال ياليتني مت ولم أكن كلمت رسول الله(ﷺ) في هذا فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ❖ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ❖ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ﴿النساء:١٠٥-١١٣﴾.

ومثله أن قريشاً كانوا إذا حجوا وقفوا بالمزدلفة ولم يقفوا بعرفات. وكانت تلبيتهم إذا أحرموا في الجاهلية: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك ، فجاءهم إبليس في صورة شيخ وقال لهم ليس هذا تلبية أسلافكم قالوا كيف كانت تلبية أسلافنا فقال كانت اللهم لبيك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك.

فنفرت قريش من قوله فقال لا تنفروا من قولي وعلى رسلكم حتى آتي آخر كلامي فقالوا له قل فقال إلا شريك لك هو لك تملكه وما ملك ألا ترون أنه يملك الشريك والشريك لا يملكه فرضيت قريش بذلك فلما بعث الله سبحانه رسوله(ﷺ) نهاهم عن ذلك وقال إن هذا شريك فقالوا ليس بشريك لأنه لا يملكه وما ملك فأنزل الله سبحانه:

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ ﴿الروم:٢٨﴾ إلى آخر الآية فأعلمهم أنهم لا يرضون بهذا فكيف ينسبون إلى الله.

ومثله حديث تميم الداري[١] مع ابن مندي[٢] وابن أبي[٣] مارية وما كان من خبرهم في السفر وكانا رجلين نصرانيين وتميم الداري رجل من رءوس المسلمين خرجوا في سفر لهم وكان مع تميم الداري خرج له فيه متاع وآنية منقوشة بالذهب وقلادة من ذهب أخرج معه ليبيعه في بعض أسواق العرب فلما فصلوا عن المدينة اعتل تميم علة شديدة فلما حضرته الوفاة دفع جميع ما كان معه إلى ابن مندي وابن أبي مارية وأمرهما أن يوصلاه إلى أهله وذريته.

فلما قدما إلى المدينة أخذا المتاع والآنية والقلادة، فسألوهما هل مرض صاحبنا مرضاً طويلاً أنفق نفقة واسعة، قالا ما مرض إلا أياماً قلائل، قالوا فهل سرق منه شيء من متاعه في سفره هذا، قالا لا لم يسرق منه شيء، قالوا فهل أتجر معكما في سفره تجارة خسر فيها، قالا لم يتجر في شيء، قالوا فإنا افتقدنا أفضل شيء كان معه آنية منقوشة بالذهب وقلادة من ذهب، فقالا أما الذي دفعه إلينا فقد أديناه إليكم، فقدموهما إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) فأوجب عليهما اليمين فحلفا وخلى سبيلهما.

ثم إن تلك الآنية والقلادة ظهرت عليهما فجاء أولياء تميم إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) فأخبروه فأنزل الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ

---

١) تميم الداري : هو : تميم بن أوس بن خارجة بن سواد ((سود)) ، يكنى : أبا رقية ، كان نصرانياً ، أسلم سنة ٩هـ.
أقطعهُ رسول الله(صلى الله عليه وآله) – وأخاه : نعيم بن أوس عندما وفدا عليه من الشام وأسلما – ((حبرى)) و ((بيت عينون)) بالشام ، وليس لرسول الله(صلى الله عليه وآله) قطيعة بالشام غيرها. صحب الرسول(صلى الله عليه وآله) وغزا معه ، وروى عنه ، وهو أول من قصّ في مسجد الرسول(صلى الله عليه وآله) في عهد عمر ، ولم يزل بالمدينة حتى تحول إلى الشام بعد مقتل عثمان ومبايعة أمير المؤمنين(عليه السلام) بالخلافة ، ومات في فلسطين سنة ٤٠ هـ قيل في شأنه أقاويل كثيرة : أنه يختم القرآن في ركعة. الاستيعاب ، ج١ ، ص١٩٣.

٢) ابن مندي ((بندي)) قيل : إنه : عدي بن بداء ((بندا)). الإصابة ، ج٤.

٣) ابن أبي مارية : قيل : إنه : بديل بن أبي مريم ((مارية)). الإصابة ، ج١.

الْمَوْتِ﴾ ﴿المائدة:١٠٦﴾. فأطلق سبحانه شهادة أهل الكتاب على الوصية فقط إذا كان ذلك في السفر ولم يجدوا أحداً من المسلمين عند حضور الموت.

ثم قال تعالى: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ ﴿المائدة:١٠٦﴾ يعني صلاة العصر فيقسمان بالله أنهما أحق بذلك يعني تعالى يحلفان بالله أنهما أحق بهذه الدعوى منهما فإنهما كذبا فيما حلفا و﴿لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿المائدة:١٠٧﴾.

فأمر رسول الله(ﷺ) أولياءهم أن يحلفوا بالله على ما ادعوه فحلفوا فلما حلفوا أخذ رسول الله(ﷺ) الآنية والقلادة من ابن مندي وابن أبي مارية وردهما إلى أولياء تميم.

ثم قال الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾ ﴿المائدة:١٠٨﴾.

ومنه الحديث في أمر عائشة وما رماها به عبد الله بن أُبي بن سلول وحسان[1] بن ثابت ومسطح بن أثاثه[2] فأنزل الله تعالى:

---

١) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو ، يقال له شاعر رسول الله(ﷺ) ، وكان (ﷺ) يقول: ((إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله)). كان من أجبن الناس ، توفي قبل الأربعين في خلافة أمير المؤمنين(عليه السلام) وقيل : سنة ٥٠هـ ، وقيل سنة ٥٤هـ وهو ابن ١٢٠ سنة ، عاش ٦٠ سنة في الجاهلية و٦٠ في الإسلام ، وكذلك عاش أبوه ثابت ، وجده المنذر ، وأبو جده حرام ، لم يشهد مع النبي(ﷺ) شيئاً من مشاهده ، لجبنه ، ووهب له النبي(ﷺ) جاريته سيرين أخت مارية ، فأولدها عبد الرحمن بن حسان فهو وإبراهيم ابن رسول الله(ﷺ) إبنا خالة. أسد الغابة ، ص٤.

٢) مسطح ((عوف)) بن أثاثه بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي : ابن خالة أبي بكر ، شهد بدراً والمشاهد كلها ، قيل : مسطح لقبه ، واسمه عوف بن أثاثه ، توفي سنة ٣٤هـ وهو ابن ٥٦ سنة ، وقيل : شهد مسطح صفين مع أمير المؤمنين(عليه السلام) وتوفي سنة ٣٧هـ.أسد الغابة ، ج٤.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ﴿النور:١١﴾ فكل ما كان هذا وشبهه في كتاب الله تعالى فهو تأويله قبل تنزيله ومثله في القرآن كثير في مواضع شتى.

وأما ما تأويله بعد تنزيله

فهي الأمور التي أخبر الله عز وجل رسوله(ﷺ) أنها ستكون بعده مثل ما أخبر به من أمور القاسطين والمارقين والخوارج وقتل عمار جرى ذلك المجرى وأخبار الساعة والرجعة وصفات القيامة مثل قوله تعالى:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ ﴿الأعراف:٥٣﴾.

﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ ﴿الأنعام:١٥٨﴾. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ ﴿الأعراف:٥٣﴾ الآية وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ﴿الأنبياء:١٠٥﴾ وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ❖ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ ﴿القصص:٥-٦﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ ﴿النور:٥٥﴾ إلى آخر الآية وقوله: ﴿الم ❖ غُلِبَتِ الرُّومُ ❖ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ❖ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ ﴿الروم:١-٤﴾.

فنزلت هذه ولم يكن غلبت بعد ذلك.

ومثله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ ﴿الإسراء:٤﴾ فهذه الآيات وأشباههما نزلت قبل تأويلها وكل ذلك تأويله بعد تنزيله.

وأما ما تأويله مع تنزيله

فمثل قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿التوبة:١١٩﴾ فيحتاج من سمع هذا التنزيل عن رسول الله أن يعرف هؤلاء الصادقين الذين أمروا بالكينونية معهم ويجب على الرسول أن يدل عليهم ويجب على الأمة حينئذ امتثال الأمر ومثله قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ﴿النساء:٥٩﴾ فلم يستغن الناس في هذا المعنى بالتنزيل دون التفسير كما استغنوا بالآيات المتقدمة التي ذكرت في آيات ما تأويله في تنزيله اللاتي ذكرناها في الآيات المتقدمة إلا حين بين لهم رسول الله(ﷺ) أن الولاة للأمر الذي فرض الله طاعتهم من عترته المنصوص عليهم.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ﴿البقرة:٤٣﴾ فلم يستغن الناس عن بيان ذلك من رسول الله(ﷺ) وحدود الصلاة كيف يصلونها وعددها وركوعها وسجودها ومواقيتها وما يتصل بها وكذلك الزكاة والصوم وفرائض الحج وسائر الفرائض إنما أنزلها الله وأمر بها في كتابه مجملة غير مشروحة للناس في معنى التنزيل وكان رسول الله(ﷺ) هو المفسر لها والمعلم للأمة كيف يؤدونها وبهذه الطريقة وجب عليه(ﷺ) تعريف الأمة الصادقين عن الله عز وجل:

﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ ﴿الإسراء:٦٠﴾.

ومثله قوله سبحانه في سورة التوبة:

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ ﴿التوبة:٦١﴾.

ومثله قوله تعالى :

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ﴿التوبة:٤٩﴾.

ومثله قوله عز وجل:

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ ﴿التوبة:١٠١﴾.

ومثل قوله عز وجل:

﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ ﴿الممتحنة:١٣﴾.

فوجب على الأمة أن يعرفوا هؤلاء المنزل فيهم هذه الآيات من هم ومن غضب الله عليهم ليعرفوا بأسمائهم حتى يتبرءوا منهم ولا يتولوهم.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ ﴿القصص:٤١﴾ ومثل ذلك كثير في كتاب الله تعالى من الأمر بطاعة الأصفياء ونعتهم والتبري ممن خالفهم وقد خرج رسول الله(ﷺ) مما وجب عليه ولم يمض من الدنيا حتى بيّن للأمة حال الأولياء من أولي الأمر ونص عليهم وأخذ البيعة على الأمة بالسمع لهم والطاعة وأبان لهم أيضاً أسماء من نهاهم عن ولايتهم فما أقل من أطاع في ذلك وما أكثر من عصى فيه ومال إلى الدنيا وزخرفها فالويل لهم.

وأما ما تأويله حكاية في نفس تنزيله

وشرح معناه فمن ذلك قصة أهل الكهف وذلك أن قريشاً بعثوا ثلاثة نفر نضر بن حارث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط وعاص بن وائل[1] إلى رث[2] وإلى نجران ليتعلموا من اليهود والنصارى مسائل يلقونها على رسول الله(ﷺ) فقال لهم علماء اليهود والنصارى سلوه عن مسائل فإن أجابكم عنها فهو النبي المنتظر الذي أخبرت

---

١) النضر بن الحارث بن كلدة العبدري ، من بني عبد الدار بن قصي : كان من شياطين قريش ، وكان يؤذي رسول الله(ﷺ) وينصب له العداوة وكان من أشد قريش في تكذيب النبي(ﷺ) والأذى له ولأصحابه ، وكان يغني بالعود ، وهو من أسرى المشركين في معركة بدر ، وضَرَب عنقه مع عقبة وطعيمة بن عدي الرسول الأكرم(ﷺ) بعد عودته منها في موضع قرب المدينة يسمى الأُثيل ، وقيل الصفراء وقد نزلت عدت آيات في ذمه. سيرة ابن هشام ، ج٢ ، ص٥٢٧.

وعقبة بن أبي معيط : اسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس : كان من أشد الناس أذى لرسول الله(ﷺ) وعداوة له وللمسلمين ، تزوج أروى بنت كريز أم عثمان ، بعد أبيه عفان ، فأولاده منها ، الوليد الفاسق ، وعمارة ، وأم كلثوم ، أخوة لعثمان من أمه ، وكان خماراً وكان من أسرى المشركين في معركة بدر ، وضرب النبي(ﷺ) عنقه بعد عودته منها في موضع قرب المدينة يقال له ((عرق الضبية)) وقيل الصفراء . سيرة ابن هشام ، ج٢ ، ص٤٧١.

عاص بن وائل : أبو عمرو وهشام ، العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد : سعد القرشي السهمي: كان يعالج الخيل والإبل ، وهو من الخمسة المستهزئين بالرسول الأكرم(ﷺ) ، الذين نزلت فيهم ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ﴿الحجر:٩٥﴾.. كان قد خرج في حاجة له إلى موضع فتدهده تحته حجر فسقط ، فتقطع قطعة قطعة فمات وهو يقول : قتلني رب محمد ، وهو الذي نزلت فيه سورة الكوثر ، إذ كان يقول: لما مات ابن النبي(ﷺ) القاسم(عليه السلام) ، إن محمد أبتر ، لا يعيش له ولد ذكر. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ﴿الكوثر:٣﴾ ، وفي ذمه نزلت آيات ، منها آية ٧٧ من سورة مريم ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾. سيرة بن هشام ، ج١ ، ص٢٦٥ و ج٢ ص٢٧٧.

٢) رث : الرُّثية : تصغير روثة واحدة روث الدواب ، أو روثة الأنف وهو طرفه ، قال ابن الكلبي : لما رجع تُبّع من قتال أهل المدينة يريد مكة نزل رويثة وقد أبطأ في مسيره فسماها الرويثة من راث يريث إذا أبطأ ، وهي على ليلة من المدينة ، وقال ابن السكيت: الرويثة معشى بين العرج والروحاء قال السلفي: الرويثة لبني عجل بين طريق الكوفة والبصرة إلى مكة. معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٤٩.

به التوراة ثم تسألوه عن مسألة أخرى فإن ادعى علمها فهو كاذب لأنه لا يعلم علمها غير الله فقالوا وما هذه الثلاث مسائل قالوا سلوه عن فتية كانوا في الزمن الأول غابوا ثم ناموا كم مقدار ما ناموا إلى أن انتبهوا وكم كان عددهم ولما انتبهوا ما الذي صنعوا وصنعه قومهم وكم لهم من حيث انتبهوا إلى يومنا هذا وما كانت قصتهم وسلوه عن موسى بن عمران كيف كان حاله مع العالم حين اتبعه وفارقه وسلوه عن طائف طاف الشرق والغرب من مطلع الشمس إلى مغربها من كان وكيف كان حاله ثم كتبوا لهم شرح حال الثلاث مسائل على ما عندهم في التوراة.

قالوا لهم فما المسألة الأخرى قال فسلوه عن قيام الساعة.

فقدم الثلاثة نفر بالمسائل إلى قريش وهم قاطعون أن لا علم لديه منها فمشت قريش إلى رسول الله(ﷺ) وهو في الحجر وعنده عمه أبو طالب فقالوا يا أبا طالب إن ابن أخيك محمداً خالف قومه وسفه أحلامهم وعاب آلهتهم وسبها وأفسد الشباب من رجالهم وفرق جماعتهم وزعم أن أخبار السماء تأتيه وقد جئنا بمسائل فإن أخبرنا بها علمنا أنه صادق وإن لم يخبرنا بها علمنا أنه كاذب فقال لهم أبو طالب دونكم فسلوه عما بدا لكم تجدوه مليا.

فقالوا يا محمد أخبرنا عن فئة كانوا في الزمان الأول ثم غابوا ثم ناموا وانتبهوا كم عددهم وكم ناموا وما كان خبرهم مع قومهم ، وأخبرنا عن موسى بن عمران والعالم الذي اتبعه كيف كانت قصته معه وأخبرنا عن طائف طاف الشرق والغرب من مطلع الشمس إلى مغربها وكيف كان خبره.

فقال لهم رسول الله(ﷺ) إني لا أخبركم بشيء إلا من عند ربي وإنما أنتظر الوحي ثم أخبركم بهذا غداً ولم يستثن إن شاء الله فاحتبس الوحي عنه أربعين يوماً حتى شك جماعة من أصحابه واغتم رسول الله(ﷺ) وفرحت قريش بذلك وأكثر المشركون القول فلما كان بعد أربعين صباحاً نزل عليه بسورة الكهف وفيها قصص ثلاث مسائل والمسألة الأخرى فتلاها عليهم.

فلما سمعوا بهرهم ما سمعوه وقالوا قد بينت فأحسنت إلا أن المسألة المفردة ما فهمنا الجواب عنها فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا

عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿الأعراف:١٨٧﴾.

ومثل قصة عبد الله بن أُبي بن سلول وذلك أن رسول الله(ﷺ) لما خرج في غزاة تبوك نزل في منصرفه منزلاً قليل الماء وكان عبد الله بن أُبي بن سلول رجلاً شريفاً مطاعاً في قومه وكان يضرب قبته وسط العسكر فيجتمع إليه قومه من الخزرج ومن كان على رأيه من المنافقين.

فاجتمع الناس على بئر كانت في ذلك المنزل قليلة الماء وكان في العسكر رجل من المهاجرين يقال له ((جهجهان بن وبر)) فأدلى دلوه وأدلى معه رجل يقال له ((سنان بن عبد الله)) من الأنصار فتعلق دلوه بدلو جهجان فتواثبا وأخذ جهجهان شيئاً فضرب به رأس سنان[1] فشجه شجة موضحة وصاح جهجهان إلى قريش والمهاجرين.

فسمع عبد الله بن أُبي بن سلول نداء المهاجرين فقال ما هذا قالوا جهجهان ينتدب المهاجرين وقريشاً على الخزرج والأوس فقال أو قد فعلوها قالوا نعم قال أما والله لقد كنت كارهاً لهذا المسير ثم أقبل على قومه فقال لهم قد قلت لا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا ويخرجوا عنكم أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

ولما سمع زيد بن أرقم ذلك جاء إلى رسول الله(ﷺ) وكان ابن أرقم أصغرهم سناً فيمن كان في مجلس عبد الله بن أُبي بن سلول فقال زيد يا رسول الله قد علمت حال عبد الله بن أُبي بن سلول فينا وشرفه ولا يمنعني ذلك أن أخبرك بما سمعت ثم أخبره بالخبر.

فأمر رسول الله(ﷺ) بالمسير فقال أصحابه والله ما هذا وقت مسير وإن ذلك لأمر حدث ولما بلغ الأنصار ما قاله زيد بن أرقم لرسول الله(ﷺ) لحق به ((سعد بن عبادة)) وقال يا رسول الله إن زيد بن أرقم كذب على عبد الله بن أُبي بن سلول

---

١) في الأصل : رأس ابن سنان.

وإن كان عبد الله قال شيئاً من هذا فلا تلمه فإنا كنا نظمنا له الجزع اليماني تاجاً له لنتوجه فيكون ملكا علينا فلما وافيت يا رسول الله رأى أنك غلبته على أمر قد كان استتب له.

ثم أقبل سعد على زيد فقال يا زيد عمدت إلى شريفنا فكذبت عليه فلما نزل رسول الله(ﷺ) المنزل الثاني مشى قوم عبد الله بن أُبي بن سلول إليه فقالوا له امض إلى رسول الله(ﷺ) حتى يستغفر لك فلوى عبد الله بن أُبي بن سلول عنقه واستهزأ فلم يزالوا به حتى صار معهم إلى رسول الله(ﷺ) فحلف لرسول الله(ﷺ) أنه لم يقل من ذلك شيئاً وأن زيد بن أرقم كذب عليه.

فأنزل الله سبحانه وتعالى:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ❖ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ﴿المنافقون:١-٦﴾ إلى آخر السورة وهذا أبواب التنزيل والتأويل.

وأما الرد على من أنكر خلق الجنة والنار فقال الله تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ❖ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ ﴿النجم:١٤-١٥﴾ ، وقال رسول الله(ﷺ) دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً من ياقوت أحمر يرى داخله من خارجه وخارجه من داخله من نوره فقلت يا جبرئيل لمن هذا القصر فقال لمن أطاب الكلام وأدام الصيام وأطعم الطعام وتهجد بالليل والناس نيام.

فقلت يا رسول الله وفي أمتك من يطيق هذا فقال لي ادن مني فدنوت فقال ما تدري ما إطابة الكلام فقلت الله ورسوله أعلم فقال هو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، أتدري ما إدامة الصيام فقلت الله ورسوله أعلم فقال من صام شهر رمضان ولم يفطر منه يوماً ، أتدري ما إطعام الطعام فقلت الله ورسوله أعلم ، فقال من طلب لعياله ما يكف به وجوههم أتدري ما التهجد بالليل والناس نيام فقلت الله ورسوله أعلم ، فقال من لا ينام حتى يصلي العشاء الآخرة ويريد بالناس هاهنا اليهود والنصارى لأنهم ينامون بين الصلاتين.

وقال(ﷺ) لما أُسري بيّ إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها قيعان ورأيت ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة وربما أمسكوا فقلت لهم ما بالكم قد أمسكتم فقالوا حتى تجيئنا النفقة فقلت وما نفقتكم قالوا قول المؤمن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإذا قال بنينا وإذا سكت أمسكنا.

وقال(ﷺ) لما أُسري بيّ إلى سبع سماواته وأخذ جبرئيل بيدي وأدخلني الجنة وأجلسني على درنوك[1] من درانيك الجنة وناولني سفرجلة فانفلقت نصفين وخرجت حوراء منها فقامت بين يدي وقالت السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا رسول الله فقلت وعليك السلام من أنت فقالت أنا الراضية المرضية خلقني الجبار من ثلاث أنواع أعلائي من الكافور ووسطي من العنبر وأسفلي من المسك عجنت بماء الحيوان قال لي ربي كوني فكنت وهذا ومثله دليل على خلق الجنة وبالعكس من ذلك الكلام في النار[2].

وأما من أنكر البداء فقد قال الله في كتابه: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ ﴿الذاريات:٥٤﴾ وذلك أن الله سبحانه أراد أن يهلك الأرض في ذلك الوقت ثم تداركهم برحمته فبدا له في هلاكهم وأنزل على رسوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الذاريات:٥٥﴾.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿الأنفال:٣٣﴾ ثم بدا له: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ﴿الأنفال:٣٤﴾ وكقوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿الأنفال:٦٥﴾ ثم بدا له تعالى فقال: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿الأنفال:٦٦﴾ وهكذا يجري الأمر في الناسخ والمنسوخ وهو يدل على تصحيح

---

١) الدرنوك : ضرب من البسط ذو خمل ، الصحاح.

٢) تفسير القمي. المقدمة ، ج١.

البداء وقوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ﴿الرعد:٣٩﴾ فهل يمحوا إلا ما كان وهل يثبت إلا ما لم يكن ومثل هذا كثير في كتاب الله عز وجل.

أقول: البداء الذي تقول به الشيعة الإمامية هو الذي يقع في القضاء الغير محتوم لأن المشيئة تتعلق بما تعلق به القضاء ، وأعلم أن القضاء على أنحاء ثلاث:

◆ **الأول :** قضاء الله الذي لم يطلع عليه أحداً من خلقه. والمخزون من العلم الذي استأثر به لنفسه ، ولا شك أن البداء هنا لا يقع ، حيث وردت روايات كثيرة عن أهل البيت(عليهم السلام) أن البداء ينشأ من هذا العلم.

في عيون أخبار الرضا: عن الحسن بن محمد النوفلي أن الرضا(عليه السلام) قال: لسليمان المروزي: ((رويت عن أبي عن أبي عبد الله(عليه السلام) أنه قال: إن لله عز وجل، علمين علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء، وعلماً علمه ملائكته ورسله، فالعلماء من أهل بيت نبيك يعلمونه)) [1].

◆ **الثاني :** قضاء الله الذي أخبر نبيه وملائكته بأنه سيقع حتماً ، ولا ريب في أن هذا القسم أيضاً لا يقع فيه البداء، وان افترق عن القسم الأول بأن البداء لا ينشأ منه.

وروى العياشي عن الفضيل، قال: سمعت أبا جعفر(عليه السلام) يقول:

((من الأمور أمور محتومة جائية لا محالة. ومن الأمور أمور موقوفة عند الله يقدم منها ما يشاء ، ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، لم يطلع على ذلك أحداً يعني الموقوفة فأما ما جاءت به الرسل فهي كائنة لا يكذب نفسه، ولا نبيه ولا ملائكته)) [2].

◆ **الثالث:** قضاء الله الذي أخبر نبيه وملائكته بوقوعه في الخارج إلا أنه موقوف على أن لا تتعلق مشيئة الله بخلافه وهذا القسم هو الذي يقع فيه البداء:

﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ﴿الرعد:٣٩﴾.

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ ﴿الروم:٤﴾.

---

١) عيون أخبار الرضا ، ج٢ ، ص١٥٩. البيان ، للخوئي ، ص٣٨٥.

٢) البيان ، للخوئي ، ص٣٨٦ عن الكافي ، ج١ ، ص١٤٧.

وقد دلت على ذلك روايات كثيرة منها:

ما في ((تفسير علي بن إبراهيم)) عن عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال:

((إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكتبة إلى سماء الدنيا فيكتبون ما يكون من قضاء الله تعالى في تلك السنة ، فإذا أراد الله أن يقدم شيئاً أو يؤخره ، أو ينقض شيئاً أمر الملك أن يمحو ما يشاء ، ثم أثبت الذي أراده. قلت: وكل شيء هو عند الله مثبت في كتاب ؟ قال نعم: قلت: فأي شيء يكون بعده؟ قال: سبحان الله، ثم يحدث الله أيضاً ما يشاء تبارك وتعالى)) [1].

وفي الاحتجاج للطبرسي: عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أن قال:

((لو لا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الآية:﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ﴿الرعد:٣٩﴾ [2])).

ثم قال أبي عبد الله(عليه السلام):

((من زعم أن الله عز وجل يبدو له في شيء اليوم لم يعلمه أمس فابرؤوا منه)) [3].

وأما الرد على من أنكر الثواب والعقاب في الدنيا وبعد الموت قبل القيامة فيقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ❖ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ❖ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ ﴿هود:١٠٥-١٠٧﴾ الآية ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ﴿هود:١٠٨﴾ يعني السماوات والأرض قبل القيامة فإذا كانت القيامة بدلت السماوات والأرض.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿المؤمنون:١٠٠﴾.

---

١) البيان نقلاً عن البحار ، ج٤ ، ص٩٩.

٢) البيان نقلاً عن الاحتجاج ، ص١٣٧.

٣) إكمال الدين ، ص٧٠.

وهو أمر بين أمرين وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة.

ومثل قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ ﴿غافر:٤٦﴾ والغدو والعشي لا يكونان في القيامة التي هي دار الخلود وإنما يكونان في الدنيا.

وقال الله تعالى في أهل الجنة: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ﴿مريم:٦٢﴾ والبكرة والعشي إنما يكونان من الليل والنهار في جنة الحياة قبل يوم القيامة قال الله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ﴿الإنسان:١٣﴾.

ومثله قوله سبحانه:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ❖ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿آل عمران:١٦٩-١٧٠﴾.

وأما الرد على من أنكر المعراج فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ❖ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ❖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ❖ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ إلى قوله: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ ﴿النجم:٧-١٥﴾ فسدرة المنتهى في السماء السابعة ثم قال سبحانه:

﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ ﴿الزخرف:٤٥﴾ ، وإنما أمر رسوله أن يسأل الرسل في السماء ، ومثله قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ﴿يونس:٩٤﴾. يعني الأنبياء(عليهم السلام) هذا كله ليلة المعراج.

وأما الرد على المجبرة وهم الذين زعموا أن الأفعال إنما هي منسوبة إلى العباد مجازاً لا حقيقة وإنما حقيقتها لله لا للعباد وتأولوا في ذلك آيات من كتاب الله تعالى لم يعرفوا معناها كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ ﴿الأنعام:١٠٧﴾ فرد عليهم أهل الحق فقالوا لهم إن في قولكم ذلك بطلان الثواب والعقاب إذا نسبتم أفعالكم إلى الله تعالى عما يصفون وكيف يعاقب مخلوقاً على غير فعل منه.

قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ﴿البقرة:٢٨٦﴾ لا يجوز إلا على الحقيقة لفعلها وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ❖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿الزلزلة:٧-٨﴾ وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ﴿المدثر:٣٨﴾ وقوله: ﴿لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿النحل:٩٣﴾ وقوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿العنكبوت:٤٠﴾.

ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى وفيه بطلان ما ادعوه ونسبوه إلى الله تعالى أن يأمر خلقه بما لا يقدرون أو ينهاهم عما ليس فيهم صنع ولا اكتساب.

وخالفهم فرقة أخرى في قولهم فقالوا إن الأفعال نحن نخلقها عند فعلنا لها وليس فيها صنع ولا اكتساب ولا مشية ولا إرادة ويكون ما يشاء إبليس ولا يكون ما لا يشاء فضادوا المجبرة في قولهم وادعوا أنهم خلاقون مع الله واحتجوا بقوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ﴿المؤمنون:١٤﴾. فقالوا قوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ يثبت خالقين غيره فجهلوا هذه اللفظة ولم يعرفوا ولم يعرفوا معنى الخلق وعلى كم وجه هو.

فسئل (عليه السلام) عن ذلك وقيل له هل فوض الله تعالى إلى العباد ما يفعلون فقال الله أعز وأجل من ذلك قيل فهل يجبرهم على ما يفعلون قال الله سبحانه أعدل من أن يجبرهم على فعل ثم يعذبهم عليه قيل أبين هاتين المنزلتين منزلة ثالثة فقال نعم كما بين السماء والأرض فقيل ما هي قال سر من أسرار الله.

وأما الرد على من أنكر الرجعة فقول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ﴿النمل:٨٣﴾ أي إلى الدنيا ، وأما معنى حشر الآخرة فقوله عز وجل: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿الكهف:٤٧﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿الأنبياء:٩٥﴾ في الرجعة ، فأما في القيامة فإنهم يرجعون.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ ﴿آل عمران:٨١﴾ وهذا لا

يكون إلا في الرجعة ومثله ما خاطب الله تعالى به الأئمة ووعدهم من النصر والانتقام من أعدائهم فقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾﴿النور:٥٥﴾ ، وهذا إنما يكون إذا رجعوا إلى الدنيا ومثله قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿القصص:٥﴾ وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ ﴿القصص:٨٥﴾ أي رجعة الدنيا.

ومثله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ ﴿البقرة:٢٤٣﴾ ثم ماتوا، وقوله عز وجل: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ ﴿الأعراف:١٥٥﴾ فردهم الله تعالى بعد الموت إلى الدنيا وشربوا ونكحوا مثله خبر عزير.

وأما من أنكر فضل رسول الله(ﷺ) فالدليل على بطلان قوله قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ ﴿الأعراف:١٧٢﴾ ، فأول من سبق من الرسل إلى بلى محمد رسول الله(ﷺ) لأن روحه أقرب الأرواح إلى ملكوت الله تعالى والدليل على ذلك قول جبرئيل(عليه السلام) لما أسري برسول الله(ﷺ) إلى السماء السابعة قال يا محمد تقدم فإنك قد وطئت موطئاً لم يطأه قبلك ملك مقرب ولا نبي مرسل فلو لا أن روحه كانت من ذلك المكان لم يقدر أن يتجاوزه وذلك أنه إذا أمر الله تعالى فأول ما يصل أمره إلى رسول الله(ﷺ) لقربه إلى ملكوته ثم سائر الأنبياء على طبقاتهم ويزيد ذلك بياناً قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ ﴿الأحزاب:٧﴾ فأفضل الأنبياء الخمسة وأفضل الخمسة محمد صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ❖ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ❖ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ ﴿التكوير:١٩-٢١﴾.

والدليل على أنه أفضل الأنبياء أن الله سبحانه أخذ ميثاقه على سائر الأنبياء فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿آل عمران:٨١﴾ فهذا بيان فضل رسول الله(صلى الله عليه وآله) على سائر المرسلين والنبيين ونطق به الكتاب.

ولما أُسري برسول الله(صلى الله عليه وآله) إلى السماء الرابعة ودخل إلى البيت المعمور جمع الله عز وجل له من النبيين من آدم فهلمّ حتى صلى بهم قال الله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ ﴿الزخرف:٤٥﴾ وفي هذا مقنع لمن تأوله.

وأما عصمة الأنبياء والمرسلين والأوصياء(عليهم السلام) فقد قيل في ذلك أقاويل تختلف قال بعض الناس هو مانع من الله تعالى يمنعهم عن المعاصي فيما فرض الله عليهم من التبليغ عنه إلى خلقه وهو فعل الله دونهم وقال آخرون العصمة من فعلهم لأنهم لا يحمدون عليها وقال آخرون يجوز على الأنبياء والمرسلين والأوصياء ما يجوز على غيرهم من الذنوب كلها والأول باطل لقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ﴿آل عمران:١٠٣﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ ﴿يوسف:٣٢﴾ أي امتنع لأن العصم هو المنع وقد غلط من أجرى الرسل والأنبياء مجرى العباد يقع منهم الأفعال الذميمة من أربعة وجوه:

- ❖ من الحسد.
- ❖ والحرص.
- ❖ والشهوة.
- ❖ والغضب.

فجميع تصرفات الناس التي هي من قبل الأجساد لا يحدث إلا من أحد هذه الوجوه الأربعة.

والأنبياء والرسل والأوصياء(عليهم السلام) لا يقع منهم فعل من جهة الحسد لأن الحاسد إنما يحسد من هو فوقه وليس فوق الأنبياء والرسل والأوصياء أحد منزلته أعلى من

منازلهم فيحسدوه عليها ولا يجوز أن يقع فعل من جهة الحرص في الدنيا على شيء من أحوالها لأن الحرص مقرون به الأمل وحال الأمل منقطعة عنهم لأنهم يعرفون مواضعهم من كرامة الله عز وجل.

وأما الشهوة فجعلها الله تعالى فيهم لما أراده من بقائهم في الدنيا وانقطاع الخلائق لهم وفاقتهم إليهم فلولا موضع الشهوة لما أكلوا فبطل قوة أجسامهم عن تكليفاتهم ويبطل حال النكاح فلا يكون لهم نسل ولا ولد وما جرى مجرى ذلك فالشهوة مركبة فيهم لذلك وهم معصومون مما يعرض لغيرهم من قبيح الشهوات.

ويكون الاصطبار وترك الغضب فيهم، فهم لا يغضبون إلا في طاعة الله تعالى قال الله سبحانه: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ ﴿التوبة:١٢٣﴾.

فالفصل يقع بين الأنبياء والرسل والأوصياء من جهة الغضب ولا يكون غضبهم إلا لله تعالى وفي الله سبحانه فهذا معنى عصمة الله تعالى والأنبياء والرسل والأوصياء فهم صلوات الله عليهم يجتمعون مع العباد في الشهوة والغضب على الأسماء ويباينونهم في المعنى.

وأما الرد على المشبهة فقول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ ﴿النجم:٤٢﴾ فإذا انتهى إلى الله فأمسكوا وتكلموا فيما دون ذلك من العرش فما دونه.

وارجعوا إلى الكلام في مخاطبة النبي(ﷺ) والمراد غيره فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ﴿الإسراء:٣٩﴾ ﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ ﴿الإسراء:٣٩﴾ والمخاطبة لرسول الله(ﷺ) والمراد بالخطاب الأمة ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ ﴿الطلاق:١﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ﴿الأحزاب:١﴾ ، والمخاطبة له والمراد بالخطاب بأمته.

أما ما نزل في كتاب الله تعالى مما هو مخاطبة لقوم والمراد به قوم آخرون فقال الله عز وجل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿الإسراء:٤﴾ والمعنى والخطاب مصروف إلى أمة محمد(ﷺ) وأصل التنزيل لبني إسرائيل.

وأما الاحتجاج على من أنكر الحدوث مع ما تقدم فهو أنا لما رأينا هذا العالم المتحرك متناهية أزمانه وأعيانه وحركاته وأكوانه وجميع ما فيه ووجدنا ما غاب عنا من ذلك يلحقه النهاية ووجدنا العقل يتعلق بما لا نهاية ولو لا ذلك لم يجد العقل دليلاً يفرق ما بينهما ولم يكن لنا بد من إثبات ما لا نهاية له معلوماً معقولاً أبدياً سرمدياً ليس بمعلوم أنه مقصور القوى ولا مقدور ولا متجزئ ولا منقسم فوجب عند ذلك أن يكون ما يتناهى مثل ما يتناهى.

وإذ قد ثبت لنا ذلك فقد ثبت في عقولنا أن ما لا يتناهى هو القديم الأزلي وإذا ثبت شيء قديم وشيء محدث فقد استغنى القديم البارئ للأشياء عن المحدث الذي أنشأه وبرأه وأحدثه وصح عندنا بالحجة العقلية أنه المحدث للأشياء وأنه لا خالق إلا هو فتبارك الله المحدث لكل محدث الصانع لكل مصنوع والمبتدئ للأشياء من غير شيء.

وإذا صح أني لا أقدر أن أحدث مثلي استحال أن يحدثني مثلي فتعالى المحدث للأشياء عما يقول الملحدون علواً كبيراً.

ولما لم يكن إلى إثبات صانع العالم طريق إلا بالعقل لأنه لا يحس فيدركه العيان أو شيء من الحواس فلو كان غير واحد بل اثنين أو أكثر لأوجب العقل عدة صناع كما أوجب إثبات الصانع الواحد ولو كان صانع العالم اثنين لم يجر تدبيرهما على نظام ولم ينسق أحوالهما على إحكام ولا تمام لأنه معقول من الاثنين الاختلاف في دواعيهما وأفعالهما.

ولا يجوز أن يقال إنهما متفقان ولا يختلفان لأن كل من جاز عليه الاتفاق جاز عليه الاختلاف ألا ترى إن المتفقين لا يخلوا أن يقدر كل منهما على ذلك أو لا يقدر

كل منهما على ذلك فإن قدرا كانا جميعاً عاجزين وإن لم يقدرا كانا جاهلين والعاجز والجاهل لا يكون إلهاً ولا قديماً.

وأما الرد على من قال بالرأي والقياس والاستحسان والاجتهاد ومن يقول أن الاختلاف رحمة فاعلم أنا لما رأينا من قال بالرأي والقياس قد استعمل شبهات الأحكام لما عجزوا عن عرفان إصابة الحكم قال ما من حادثة إلا ولله فيها حكم ولا يخلو الحكم من وجهين إما أن يكون نصاً أو دليلاً وإذ رأينا الحادثة قد عدم نصها فزعنا أي رجعنا إلى الاستدلال عليها بأشباهها ونظائرها لأنا متى لم نفرغ إلى ذلك أخليناها من أن يكون لها حكم ولا يجوز أن يبطل حكم في حادثة من الحوادث لأنه سبحانه يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿الأنعام:٣٨﴾ ولما رأينا الحكم لا يخلو والحدث لا ينفك من الحكم التمسناه من النظائر لكي لا تخلو الحادثة من الحكم بالنص أو بالاستدلال وهذا جائز عندنا.

قالوا وقد رأينا الله تعالى قاس في كتابه بالتشبيه والتمثيل فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ❖ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ ﴿الرحمن:١٤- ١٥﴾ فشبه الشيء بأقرب الأشياء به شبهاً.

قالوا وقد رأينا النبي استعمل الرأي والقياس بقوله للمرأة الخثعمية حين سألت عن حجها عن أبيها فقال أرأيت لو كان على أبيك دين لكنت تقضينه عنه فقد أفتاها بشيء لم تسأل عنه وقوله لمعاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن أرأيت يا معاذ إن نزلت بك حادثة لم تجد لها في كتاب الله عز وجل أثراً ولا في السنة ما أنت صانع قال استعمل رأيي فيها فقال الحمد لله الذي وفق رسوله إلى ما يرضيه.

قالوا وقد استعمل الرأي والقياس كثير من الصحابة ونحن على آثارهم مقتدون ولهم احتجاج كثير في مثل هذا فقد كذبوا على الله تعالى في قولهم إنه احتاج إلى القياس وكذبوا على رسول الله(ﷺ) قالوا عنه ما لم يقل من الجواب المستحيل.

فنقول لهم رداً عليهم إن أصول أحكام العبادات وما يحدث في الأمة من النوازل والحوادث لما كانت موجودة عن السمع والنطق والنص المختص في الكتاب ففروعها مثلها وإنما أردنا بالأصول في جميع العبادات والمفترضات التي نص الله عز وجل

عليها وأخبرنا عن وجوبها وعن النبي(ﷺ) وعن وصيه المنصوص عليه بعده في البيان من أوقاتها وكيفيتها وأقدارها في مقاديرها عن الله عز وجل مثل فرض الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وحد الزنا وحد السرقة وأشباهها مما نزل في الكتاب مجملاً بلا تفسير فكان رسول الله(ﷺ) هو المفسر والمعبر عن جمل الفرائض فعرفنا أن فرض صلاة الظهر أربع ووقتها بعد زوال الشمس يفصل مقدار ما تقرأ الإنسان ثلاثين آية وهذا الفرق بين صلاة الزوال وبين صلاة الظهر ووقت العصر آخر وقت الظهر إلى وقت مهبط الشمس وأن المغرب ثلاث ركعات ووقتها حين الغروب إلى إدبار الشفق والحمرة وأن وقت صلاة العشاء الآخرة وهي أربع ركعات وأوسع الأوقات أول وقتها حين اشتباك النجوم وغيبوبة الشفق وانبساط الكلام وآخر وقتها ثلث الليل وروي نصفه والصبح ركعتان ووقته طلوع الفجر إلى إسفار الصبح.

وان الزكاة يجب في مال دون مال ومقدار دون مقدار ووقت دون أوقات وكذلك جميع الفرائض التي أوجبها الله سبحانه على عباده بمبلغ الطاقات وكنه الاستطاعات.

فلو لا ما ورد النص به من تنزيل كتاب الله تعالى وما أبان رسوله وفسره لنا وإبانة الأثر وصحيح الخبر لقوم آخرين لم يكن لأحد من الناس المأمورين بأداء الفرائض أن يوجب ذلك بعقله وإقامة معاني فروضه وبيان مراد الله تعالى في جميع ما قدمنا ذكره على حقيقة شروطه ولا تصح إقامة فروضه بالقياس والرأي ولا أن يهتدي العقول على انفرادها ولو انفرد لا يوجب فرض صلاة الظهر أربعاً دون خمس أو ثلاث ولا يفصل أيضاً بين قبل الزوال وبعده ولا تقدم السجود على الركوع والركوع على السجود أو حد زنا المحصن والبكر ولا بين العقارات والمال النقد في وجوب الزكاة ولو خلينا بين عقولنا وبين هذه الفرائض لم يصح فعل ذلك كله بالعقل على مجرده ولم يفصل بين القياس وما فصلت الشريعة والنصوص إذ كانت الشريعة موجودة عن السمع والنطق الذي ليس لنا أن نتجاوز حدودها ولو جاز ذلك وصح لاستغنينا عن إرسال الرسل إلينا بالأمر والنهي منه تعالى ولما كانت الأصول لا تجب على ما هي من بيان فرضها إلا بالسمع والنطق فكذلك الفروع

والحوادث التي تنوب وتطرق منه تعالى لم يوجب الحكم فيها بالقياس دون النص بالسمع والنطق.

وأما احتجاجهم واعتلالهم بأن القياس هو التشبيه والتمثيل وأن الحكم جائز به ورد الحوادث أيضاً إليه فذلك محال بَيّن ومقام شنيع لأنا نجد شيئاً قد وفق الله تعالى بين أحكامها وإن كانت متفرقة ونجد أشياء وقد فرق الله بين أحكامها وان كانت مجتمعة فدلنا ذلك من فعل الله تعالى على أن اشتباه الشيئين غير موجب لاشتباه الحكمين كما ادعاه مستحلوا القياس بالرأي.

وذلك أنهم لما عجزوا عن إقامة الأحكام على ما أنزل في كتاب الله تعالى وعدلوا عن أخذها من أهلها ممن فرض الله سبحانه طاعتهم على عباده ممن لا يزل ولا يخطئ ولا ينسى الذين أنزل الله كتابه عليهم وأمر الأمة برد ما اشتبه عليهم من الأحكام إليهم وطلبوا الرئاسة رغبة في حطام الدنيا وركبوا طرائق أسلافهم ممن ادعى منزلة أولياء الله لزمهم العجز فادعوا أن الرأي والقياس واجب فبان لذوي العقول عجزهم وإلحادهم في دين الله تعالى ، وذلك أن العقل على مجرده وانفراده لا يوجب ولا يفصل بين أخذ شيء بغصب ونهب وبين أخذه بسرقة وإن كانا مشتبهين والواحد منهما يوجب القطع والآخر لا يوجبه.

ويدل أيضاً على فساد ما احتجوا به من رد الشيء في الحكم إلى اعتبار نظائره أنا نجد الزنا من المحصن والبكر سواء وأحدهما يوجب الرجم والآخر يوجب الجلد فعلمنا أن الأحكام مأخذها من السمع والنطق على حسب ما يرد به التوقيف دون اعتبار النظائر والأعيان وهذه دلالة واضحة على فساد قولهم ولو كان الحكم في الدين بالقياس لكان باطن القدمين أولى بالمسح من ظاهرهما.

قال الله تعالى حكاية عن إبليس في قوله بالقياس:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿الأعراف:١٢﴾ فذمه الله لما لم يدر ما بينهما وقد ذم رسول الله(ﷺ) والأئمة (عليهم السلام) القياس .يرث ذلك بعضهم عن بعض ويرويه عنهم أوليائهم.

وأما الرد على من قال بالاجتهاد فإنهم يزعمون أن كل مجتهد مصيب على أنهم لا يقولون مع اجتهادهم أصابوا معنى حقيقة الحق عند الله عز وجل لأنهم في حال اجتهادهم ينتقلون من اجتهاد إلى اجتهاد واحتجاجهم أن الحكم به قاطع ، قول باطل منقطع منتقض فأي دليل أدل من هذا على ضعف اعتقاد من قال بالاجتهاد والرأي إذ كان حالهم تئول إلى ما وصفناه.

وزعموا أيضاً أنه محال أن يجتهدوا فيذهب الحق من جماعتهم وقولهم بذلك فاسد لأنهم إن اجتهدوا فاختلفوا فالتقصير واقع بهم وأعجب من هذا أنهم يقولون مع قولهم بالاجتهاد والرأي أن الله تعالى بهذا المذهب لم يكلفهم إلا بما يطيقونه وكلام النبي(ﷺ) واحتجوا بقول الله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ ﴿البقرة:١٤٤﴾ وهو بزعمهم وجه الاجتهاد وغلطوا في هذا التأويل غلطاً بيناً.

قالوا ومن قول الرسول ما قاله لمعاذ بن جبل وادّعوا أنه أجاز ذلك والصحيح أن الله سبحانه لم يكلف العباد اجتهاداً لأنه نصّب لهم أدّلة وأقام لهم أعلاماً وأثبت عليهم الحجة فمحال أن يضطرهم إلى ما لا يطيقون بعد إرساله إليهم الرسل بتفصيل الحلال والحرام ولم يتركهم سدى ومهما عجزوا عنه ردوه إلى الرسل والأئمة صلوات الله عليهم وهو يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿الأنعام:٣٨﴾ ويقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ ﴿المائدة:٣﴾ ويقول سبحانه فيه: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ﴿النحل:٨٩﴾.

ومن الدليل على فساد قولهم في الاجتهاد والرأي والقياس أنه لن يخلوا الشيء أن يكون تمثيلاً على أصل أو يستخرج البحث عنه فإن كان بحث عنه فإنه لا يجوز في عدل الله تعالى تكليف العباد ذلك وإن كان تمثيلاً على أصل فلن يخلو الأصل أن يكون حرم لمصلحة الخلق أو المعنى في نفسه خاص فإن كان حرم لمعنى في نفسه خاص فقد كان قبل ذلك حلالاً ثم حرم بعد ذلك لمعنى فيه بل لو كان العلة المعنى لم يكن التحريم له أولى من التحليل ولما فسد هذا الوجه من دعواهم علمنا أنه لمعنى أن الله تعالى إنما حرم الأشياء لمصلحة الخلق لا للعلة التي فيها ونحن إنما ننفي القول

بالاجتهاد لأن الحق عندنا مما قدمنا ذكره في الأصول التي نصبها الله تعالى والدلائل التي أقامها لنا كالكتاب والسنة والإمام الحجة ولن يخلو الخلق عندنا من أحد هذه الأربعة وجوه التي ذكرناها وما خالفها فباطل وأما اعتلالهم بما اعتلوا به من شطر المسجد الحرام والبيت فمستحيل بيّن الخطأ لأن معنى شطره نحوه فبطل الاجتهاد فيه وزعموا أن على الذي لم يهتد إلى الأدلة والأعلام المنصوصة للقبلة أن يستعمل رأيه حتى يصيب بغاية اجتهاده ولم يقولوا حتى يصيب نحو توجهه إليه.

وقال الله عز وجل: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ ﴿البقرة:١٤٤﴾ يعني تعالى على نصب من العلامات والأدلة وهي التي نص على حكمها بذكر العلامات والنجوم في ظاهر الآية ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ﴿البقرة:١٤٤﴾ ولم يقل وإن الذين اضطروا إلى الاجتهاد.

فدل على أن الله تعالى أوجب عليهم استعمال الدليل في التوجه وعند الاشتباه عليهم لإصابة الحق فمعنى شطره نحوه يعني تعالى نحو علاماته المنصوصة عليه ومعنى شطره نحوه إن كان مرئياً وبالدلائل والأعلام إن كان محجوباً.

فلو علمت القبلة الواجب استقبالها والتولي والتوجه إليها ولم يكن الدليل عليها موجوداً حتى استوى الجهات كلها له حينئذ أن يصلي بحال اجتهاد وحيث أحب واختار حتى يكون على يقين من بيان الأدلة المنصوبة والعلامات المبثوثة فإن مال عن هذا الموضع ما ذكرناه حتى يجعل الشرق غرباً والغرب شرقاً زال معنى اجتهاده وفسد اعتقاده.

وقد جاء عن النبي(ﷺ) خبر منصوص مجمع عليه أن الأدلة المنصوبة على بيت الله الحرام لا يذهب بكليتها بحادثة من الحوادث مَنّاً من الله عز وجل على عباده في إقامة ما افترضه عليهم.

وزعمت طائفة ممن يقول بالاجتهاد أنه إذا أشكل عليه من جهة حتى يستوي عنده الجهات كلها تحرى واتبع اجتهاده حيث بلغ به فإن ذلك جائز بزعمهم وإن كان لم يصب وجه حقيقة القبلة وزعموا أيضاً أنه إذا كان على هذا السبيل مائة

رجل لم يجز لأحد منهم أن يتبع اجتهاد الآخر فهم بهذه الأقوال ينقضون أصل اعتقادهم.

وزعموا أن الضرير والمكفوف له أن يقتدي بأحد هؤلاء المجتهدين فله أن ينتقل عن قول الأول منهم إلى قول الآخر فجعلوا مع اجتهادهم كمن لم يجتهد فلم يئول بهم الاجتهاد إلا إلى حال الضلال والانتقال من حال إلى حال فأي دين أبدع وأي قول أشنع من هذه المقالة أو أبيّن عجزاً ممن يظن أنه من أهل الإسلام وهو على مثل هذا الحال نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى واتباع الهوى وإياه نستعين على ما يقرب منه إنه سميع مجيب[1].

وقد جاء في تفسير العياشي: عن الفضيل بن يسار قال سألت أبا جعفر(عليه السلام) عن هذه الرواية ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن وما فيه حرف إلا وله حد ولكل حد مطلع ما يعني بقوله لها ظهر وبطن قال ظهره وبطنه تأويله منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد يجري كما تجري الشمس والقمر كلما جاء منه شيء وقع قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ﴿آل عمران:٧﴾[2] نحن نعلمه.

التناقض الذي ادعي في القرآن وأمثاله [3]

جاء بعض الزنادقة إلى أمير المؤمنين(عليه السلام) وقال لو لا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت في دينكم. فقال له عليّ(عليه السلام) وما هو. قال قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ ﴿التوبة:٦٧﴾ ، وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ ﴿الأعراف:٥١﴾ وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿مريم:٦٤﴾، وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ ﴿النبأ:٣٨﴾ وقوله: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿الأنعام:٢٣﴾ ، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ

---

١) بحار الأنوار ، ج٩٣ ، ص٩٧.

٢) تفسير العياشي ، ج١ ، ص٢٤ ، الحديث٥. منشورات الأعلمي الطبعة الثانية ٢٠١٠م.

٣) الاحتجاج ينقل عنه صاحب البحار في الجزء ٩٣ ، ص٩٨.

بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ ﴿العنكبوت:٢٥﴾ ، وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ ﴿ص:٦٤﴾ وقوله: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ ﴿ق:٢٨﴾، وقوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿يس:٦٥﴾ ، وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ❖ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿القيامة:٢٢-٢٣﴾ ، وقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ﴿الأنعام:١٠٣﴾ ، وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ﴿النجم:١٣﴾ وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ ﴿طه:١٠٩﴾ الآيتين وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ ﴿الشورى:٥١﴾ وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ﴿المطففين:١٥﴾ وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ ﴿الأنعام:١٥٨﴾ وقوله: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿السجدة:١٠﴾ وقوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ ﴿التوبة:٧٧﴾ وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ ﴿الكهف:١١٠﴾ وقوله: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ ﴿الكهف:٥٣﴾ وقوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿الأنبياء:٤٧﴾ وقوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿الأعراف:٨﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿الأعراف:٩﴾.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام) فأما قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ يعني إنما نسوا الله في دار الدنيا لم يعملوا بطاعته فنسيهم في الآخرة أي لم يجعل لهم من ثوابه شيئاً فصاروا منسيين من الخير وكذلك تفسير قوله عز وجل: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ يعني بالنسيان أنه لم يثبهم كما يثيب أولياءه الذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به وبرسوله وخافوه بالغيب.

وأما قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ فإن ربنا تبارك وتعالى علواً كبيراً ليس بالذي ينسى ولا يغفل بل هو الحفيظ العليم وقد يقول العرب قد نسينا فلان فلا بذكرنا أي إنه لا يأمر لهم بخير ولا يذكرهم به.

قال(عليه السلام): وأما قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ وقوله:

﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ وقوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ وقوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فإن ذلك في موطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة.

والمراد بكفر أهل المعاصي بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً والكفر في هذه الآية البراءة يقول يتبرأ بعضهم من بعض ونظيرها في سورة إبراهيم(عليه السلام) قول الشيطان ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ ﴿إبراهيم:٢٢﴾ ، وقول إبراهيم خليل الرحمن ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ ﴿الممتحنة:٤﴾ يعني تبرأنا منكم.

ثم يجتمعون في موطن آخر يبكون فيها فلو أن تلك الأصوات بدت لأهل الدنيا لزالت جميع الخلق عن معايشهم وانصدعت قلوبهم إلا ما شاء الله ولا يزالون يبكون حتى يستنفدوا الدموع ويفضوا إلى الدماء.

ثم يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون فيه فيقولون ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وهؤلاء خاصة هم المقرون في دار الدنيا بالتوحيد فلم ينفعهم إيمانهم بالله مع مخالفتهم رسله وشكهم فيما أتوا به عن ربهم ونقضهم عهودهم في أوصيائهم واستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير فكذبهم الله بما انتحلوا من الإيمان بقوله: ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿الأنعام:٢٤﴾ فيختم الله على أفواههم وتستنطق الأيدي والأرجل والجلود فيشهد بكل معصية كانت منهم ثم يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ﴿فصلت:٢١﴾.

ثم يجتمعون في موطن آخر فيفر بعضهم من بعض لهول ما يشاهدونه من صعوبة الأمر وعظم البلاء فذلك قول الله عز وجل:

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ❖ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ❖ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ ﴿عبس:٣٤-٣٦﴾.

ثم يجتمعون في موطن آخر ويستنطق فيه أولياء الله وأصفياؤه فلا يتكلم أحد إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً فتقام الرسل فيسألون عن تأدية الرسالات التي حملوها إلى أممهم فأخبروا أنهم قد أدوا ذلك إلى أممهم ويسأل الأمم فتجحد كما قال

الله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿الأعراف:٦﴾ فيقولون ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ ﴿المائدة:١٩﴾ فتستشهد الرسل رسول الله(ﷺ) فيشهد بصدق الرسل وتكذيب من يجحدها من الأمم فيقول لكل أمة منهم بلى ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿المائدة:١٩﴾ ، أي مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرسل إليكم رسالاتهم.

وكذلك قال الله تعالى لنبيه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿النساء:٤١﴾ ، فلا يستطيعون رد شهادته خوفاً من أن يختم الله على أفواههم وأن تشهد عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون ويشهد على منافقي قومه وأمته وكفارهم بإلحادهم وعنادهم ونقضهم عهده وتغييرهم سنته واعتدائهم على أهل بيته وانقلابهم على أعقابهم وارتدادهم على أدبارهم واحتذائهم في ذلك سنة من تقدمهم من الأمم الظالمة الخائنة لأنبيائها فيقولون بأجمعهم: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ ﴿المؤمنون:١٠٦﴾.

ثم يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمد(ﷺ) وهو المقام المحمود فيثني على الله عز وجل بما لم يثن عليه أحد قبله ثم يثني على الملائكة كلهم فلا يبقى ملك إلا أثنى عليه محمد(ﷺ) ثم يثني على الأنبياء بما لم يثن عليهم أحد مثله ثم يثني على كل مؤمن ومؤمنة يبدأ بالصديقين والشهداء ثم بالصالحين فتحمده أهل السموات وأهل الأرضين فذلك قوله عز وجل: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ ﴿الإسراء:٧٩﴾.

فطوبى لمن كان له في ذلك المقام حظ ونصيب وويل لمن لم يكن له في هذا المقام حظ ولا نصيب.

ثم يجتمعون في موطن آخر يلجمون فبه ويتبرأ بعضهم من بعض وهذا كله قبل الحساب فإذا أخذ في الحساب شغل كل إنسان بما لديه نسأل الله بركة ذلك اليوم.

قال علي(عليه السلام): وأما قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ❖ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ذلك في موضع ينتهي فيه أولياء الله عز وجل بعد ما يفرغ من الحساب إلى نهر يسمى نهر الحيوان فيغتسلون منه ويشربون من آخر فتبيض وجوههم فيذهب عنهم كل أذى

وقذى[١] ووعث[٢] ثم يؤمرون بدخول الجنة فمن هذا المقام ينظرون إلى ربهم كيف يثيبهم ومنه يدخلون الجنة فذلك قوله عز وجل في تسليم الملائكة عليهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ﴿الزمر:٧٣﴾ فعند ذلك أثيبوا بدخول الجنة والنظر إلى ما وعدهم الله عز وجل فذلك قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ والناظرة في بعض اللغة هي المنتظرة ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿النمل:٣٥﴾ أي منتظرة بم يرجع المرسلون.

وأما قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ❖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ ﴿النجم:١٣-١٤﴾ يعني محمداً(صلى الله عليه وآله) حين كان عند سدرة المنتهى حيث لا يجاوزها خلق من خلق الله عز وجل وقوله في آخر الآية: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ❖ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ﴿النجم:١٧-١٨﴾ رأى جبرئيل(عليه السلام) في صورته مرتين هذه المرة ومرة أخرى وذلك أن خلق جبرئيل(عليه السلام) خلق عظيم فهو من الروحانيين الذين لا يدرك خلقهم ولا صفتهم إلا رب العالمين.

قال علي(عليه السلام): وأما قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿الشورى:٥١﴾ كذلك قال الله تعالى قد كان الرسول يوحي إليه رسل السماء فتبلغ رسل السماء إلى رسل الأرض وقد كان الكلام بين رسل أهل الأرض وبينه من غير أن يرسل بالكلام مع رسل أهل السماء.

وقد قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) يا جبرئيل هل رأيت ربك عز وجل فقال جبرئيل(عليه السلام) إن ربي عز وجل لا يرى فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله) من أين تأخذ الوحي قال آخذه من إسرافيل قال ومن أين يأخذه إسرافيل قال يأخذه من ملك من فوقه من الروحانيين قال فمن أين يأخذه ذلك الملك قال يقذف في قلبه قذفاً فهذا الوحي وهو كلام الله عز وجل وكلام الله عز وجل ليس بنحو واحد منه ما كلم الله عز وجل به الرسل ومنه

---

١) القذى في العين وفي الشراب ما يسقط فيه. الصحاح.

٢) الوعث هو الرمل ، النهاية.

ما قذف في قلوبهم ومنه برؤيا يراها الرسل ومنه وحي وتنزيل يتلى ويقرأ فهو كلام الله عز وجل.

قال علي (عليه السلام) وأما قوله : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ﴿المطففين:١٥﴾ فإنما يعني به يوم القيامة عن ثواب ربهم لمحجوبون وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ ﴿الأنعام:١٥٨﴾ يخبر محمداً (صلى الله عليه وآله) عن المشركين والمنافقين الذين لم يستجيبوا لله ولرسوله فقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ يعني بذلك العذاب يأتيهم في دار الدنيا كما عذب القرون الأولى فهذا خبر يخبر به النبي (صلى الله عليه وآله) عنهم.

ثم قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ ﴿الأنعام:١٥٨﴾ يعني لم تكن آمنت من قبل أن تجيء هذه الآية وهذه الآية هي طلوع الشمس من مغربها وقال في آية أخرى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ ﴿الحشر:٢﴾ يعني أرسل عليهم عذاباً وكذلك إتيانه بنيانهم حيث قال: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ ﴿النحل:٢٦﴾ يعني أرسل عليهم العذاب.

قال علي (عليه السلام) وأما قوله عز وجل : ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿السجدة:١٠﴾ وقوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ ﴿البقرة:٤٦﴾ وقوله: ﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ ﴿التوبة:٧٧﴾ وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ ﴿الكهف:١١٠﴾ يعني البعث فسماه الله لقاء وكذلك قوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ ﴿العنكبوت:٥﴾ يعني من كان يؤمن أنه مبعوث فإن وعد الله لآت من الثواب والعقاب فاللقاء هاهنا ليس بالرؤية واللقاء هو البعث وكذلك: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ ﴿الأحزاب:٤٤﴾ يعني أنه لا يزول الإيمان عن قلوبهم يوم يبعثون.

وقال علي (عليه السلام) وأما قوله عز وجل: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ ﴿الكهف:٥٣﴾ يعني تيقنوا أنهم داخلوها وكذلك قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ ﴿الحاقة:٢٠﴾.

وأما قوله عز وجل للمنافقين: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ ﴿الأحزاب:١٠﴾ فهو ظن شك وليس ظن يقين والظن ظنان ظن شك وظن يقين فما كان من أمر المعاد من الظن فهو ظن يقين وما كان من أمر الدنيا فهو ظن شك.

قال(عليه السلام) وأما قوله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ ﴿الأنبياء:٤٧﴾ فهو ميزان العدل تؤخذ به الخلائق يوم القيامة يديل[1] الله تبارك وتعالى الخلائق بعضهم من بعض ويجزيهم بأعمالهم ويقتص للمظلوم من الظالم.

ومعنى قوله: ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿الأعراف:٨﴾ ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿الأعراف:٩﴾ فهو قلة الحساب وكثرته والناس يومئذ على طبقات ومنازل فمنهم من يُحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً ومنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب لأنهم لم يتلبسوا من أمر الدنيا بشيء وإنما الحساب هناك على من تلبس بها هاهنا ومنهم من يحاسب على النقير والقطمير ويصير إلى عذاب السعير ومنهم أئمة الكفر وقادة الضلالة فأولئك لا يقيم لهم يوم القيامة وزناً ولا يعبأ بهم لأنهم لم يعبئوا بأمره ونهيه ويوم القيامة هم: ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ❖ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ ﴿المؤمنون:١٠٣-١٠٤﴾.

ومن سؤال هذا الزنديق أن قال أجد الله يقول: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ ﴿السجدة:١١﴾ و ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ ﴿الزمر:٤٢﴾ و ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ ﴿النحل:٣٢﴾ وما أشبه ذلك فمرة يجعل الفعل لنفسه ومرة لملك الموت ومرة للملائكة.

وأجده يقول: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ ﴿الأنبياء:٩٤﴾ ويقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ ﴿طه:٨٢﴾ أعلم في الآية الأولى أن الأعمال الصالحة لا تكفر وأعلم في الآية الثانية أن الإيمان والأعمال الصالحة لا ينفع إلا بعد الاهتداء.

---

١) يديل : أدال فلان وغيره على فلان ، ومنه : نصره ، وغلب عليه ، وأظفره به. البرهان في تفسير القرآن نقلاً عن المعجم الوسيط.

وأجده يقول: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ ﴿الزخرف:٤٥﴾ يسأل الحي الأموات قبل البعث والنشور.

وأجده يقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ﴿الأحزاب:٧٢﴾ فما هذه الأمانة ومن هذا الإنسان وليس من صفة العزيز الحكيم التلبيس على عباده.

وأجده قد شهر هفوات أنبيائه بقوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ﴿طه:١٢١﴾ وتكذيبه نوحاً لما قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ ﴿هود:٤٥﴾ بقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ ﴿هود:٤٦﴾ وبوصفه إبراهيم بأنه عبد كوكباً مرة ومرة قمراً ومرة شمساً وبقوله في يوسف(عليه السلام): ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ﴿يوسف:٢٤﴾ وبتهجينه موسى حيث قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ ﴿الأعراف:١٤٣﴾ الآية وببعثه على داود(عليه السلام) جبرئيل وميكائيل حيث تسورا المحراب إلى آخر القصة وبحبسه يونس(عليه السلام) في بطن الحوت حيث ذهب مغاضباً مذنباً.

فأظهر خطأ الأنبياء وزللتم ثم وارى أسماء من اغتر وفتن خلقه وضل وأضل وكنى عن أسمائهم في قوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ❖ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ❖ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ ﴿الفرقان:٢٧-٢٩﴾ فمن هذا الظالم الذي لم يذكر من اسمه ما ذكر من أسماء الأنبياء.

وأجده يقول: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ﴿الفجر:٢٢﴾ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ ﴿الأنعام:١٥٨﴾ ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ ﴿الأنعام:٩٤﴾ فمرة يجيئهم ومرة يجيئونه.

وأجده يخبر أنه يتلو نبيه شاهد منه وكان الذي تلاه عبد الأصنام برهة من دهره وأجده يقول: ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ﴿التكاثر:٨﴾ فما هذا النعيم الذي يسأل العباد عنه. وأجده يقول ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ﴿هود:٨٦﴾ ما هذه البقية.

وأجده يقول: ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ ﴿الزمر:٥٦﴾ و ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ﴿البقرة:١١٥﴾ و ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ﴿القصص:٨٨﴾ و ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ ﴿الواقعة:٢٧﴾ و ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ ﴿الواقعة:٤١﴾ ، ما معنى الجنب والوجه واليمين والشمال فإن الأمر في ذلك ملتبس جداً.

وأجده يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿طه:٥﴾ ويقول: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿الملك:١٦﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ ﴿الزخرف:٨٤﴾ و ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ﴿الحديد:٤﴾ و ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿ق:١٦﴾ و ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ ﴿المجادلة:٧﴾ الآية .

وأجده يقول: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ﴿النساء:٣﴾ وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء ولا كل النساء أيتام فما معنى ذلك.

وأجده يقول: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿الأعراف:١٦٠﴾ كيف يظلم الله ومن هؤلاء الظلمة وأجده يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ ﴿سبأ:٤٦﴾ فما هذه الواحدة.

وأجده يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿الأنبياء:١٠٧﴾ وقد أرى مخالفي الإسلام معتكفين على باطلهم غير مقلعين عنه وأرى غيرهم من أهل الفساد مختلفين في مذاهبهم يلعن بعضهم بعضاً فأي موضع للرحمة العامة المشتملة عليهم.

وأجده قد بيّن فضل نبيه على سائر الأنبياء ثم خاطبه في أضعاف ما أثنى عليه في الكتاب من الأزراء عليه وانخفاض محله وغير ذلك من تهجينه وتأنيبه ما لم يخاطب به أحداً من الأنبياء مثل قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿الأنعام:٣٥﴾ وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۞ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ ﴿الإسراء:٧٤-٧٥﴾ .

وقوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ ﴿الأحزاب:٣٧﴾ وقوله: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ ﴿الأحقاف:٩﴾ وهو يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿الأنعام:٣٨﴾ و ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ ﴿يس:١٢﴾.

فإذا كانت الأشياء تحصى في الإمام وهو وصي النبي فالنبي أولى أن يكون بعيداً عن الصفة التي قال فيها ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ ﴿الأحقاف:٩﴾ وهذه كلها صفات مختلفة وأحوال متناقضة وأمور مشككة فإن يكن الرسول والكتاب حقاً فقد هلكت لشكي في ذلك وإن كانا باطلين فما عليّ من بأس.

فقال أمير لمؤمنين عليّ صلوات الله عليه سبوح قدوس رب الملائكة والروح تبارك الله وتعالى وهو الحي الدائم القائم على كل نفس بما كسبت هات أيضاً ما شككت فيه قال حسبي ما ذكرت يا أمير المؤمنين قال سأنبئك بتأويل ما سألت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وعليه فليتوكل المؤمنون.

فأما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ ﴿الزمر:٤٢﴾ وقوله: ﴿يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ ﴿السجدة:١١﴾ و ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ ﴿الأنعام:٦١﴾ و ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ ﴿النحل:٣٢﴾ و ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿النحل:٢٨﴾ فهو تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يتولى ذلك بنفسه وفعل رسله وملائكته فعله لأنهم بأمره يعملون فاصطفى جل ذكره من الملائكة رسلاً وسفرة بينه وبين خلقه وهم الذين قال الله فيهم: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ ﴿الحج:٧٥﴾.

فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة ، ومن كان من أهل المعصية تولى قبض روحه ملائكة النقمة ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة يصدرون عن أمره وفعلهم فعله وكل ما يأتونه منسوب إليه وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت ففعل ملك الموت فعل الله لأنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء وإن فعل أمناؤه فعله كما قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ﴿الإنسان:٣٠﴾ وأما قوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ

وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ ﴿الأنبياء:٩٤﴾ وقوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ ﴿طه:٨٢﴾ ، فإن ذلك كله لا يغني إلا مع الاهتداء وليس كل من وقع عليه اسم الإيمان حقيقاً بالنجاة مما هلك به الغواة ولو كان ذلك كذلك لنجت اليهود مع اعترافها بالتوحيد وإقرارها بالله ونجا سائر المقرين بالوحدانية من إبليس فمن دونه مع الكفر وقد بين الله ذلك بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿الأنعام:٨٢﴾ وبقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ ﴿المائدة:٤١﴾.

وللإيمان حالات ومنازل يطول شرحها ومن ذلك أن الإيمان قد يكون على وجهين إيمان بالقلب وإيمان باللسان كما كان إيمان المنافقين على عهد رسول الله(ﷺ) لما قهرهم السيف وشملهم الخوف فإنهم آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم فالإيمان بالقلب هو التسليم للرب ومن سلم الأمور لمالكها لم يستكبر عن أمره كما استكبر إبليس عن السجود لآدم واستكبر أكثر الأمم عن طاعة أنبيائهم فلم ينفعهم التوحيد كما لم ينفع إبليس ذلك السجود الطويل فإنه سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام لم يرد بها غير زخرف الدنيا والتمكين من النظرة.

فكذلك لا تنفع الصلاة والصدقة إلا مع الاهتداء إلى سبيل النجاة وطريق الحق وقد قطع الله عذر عباده بتبيين آياته وإرسال رسله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولم يخل أرضه من عالم بما يحتاج الخليقة إليه ومتعلم على سبيل نجاة أولئك هم الأقلون عدداً.

وقد بيّن الله ذلك في أمم الأنبياء وجعلهم مثلاً لمن تأخر مثل قوله في قوم نوح ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿هود:٤٠﴾ وقوله فيمن آمن من أمة موسى ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿الأعراف:١٥٩﴾ وقوله في حواري عيسى حيث قال لسائر بني إسرائيل ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿آل عمران:٥٢﴾ يعني أنهم يسلمون لأهل الفضل لفضلهم ولا يستكبرون عن أمر ربهم فما أجابه منهم إلا الحواريون.

وقد جعل الله للعلم أهلاً وفرض على العباد طاعتهم بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ﴿النساء:٥٩﴾ وبقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ ﴿النساء:٨٣﴾ وبقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿التوبة:١١٩﴾ وبقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ﴿آل عمران:٧﴾ وبقوله: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ ﴿البقرة:١٨٩﴾ والبيوت هي بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء وأبوابها أوصياؤهم.

فكل عمل من أعمال الخير يجري على غير أيدي أهل الأصطفاء وعهودهم وحدودهم وشرائعهم وسنتهم ومعالم دينهم مردود غير مقبول وأهله بمحل كفر وان شملتهم صفة الإيمان ألم تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ ﴿التوبة:٥٤﴾.

فمن لم يهتد من أهل الإيمان إلى سبيل النجاة لم يغن عنه إيمانه بالله مع دفعه حق أوليائه وحبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين.

وكذلك قال الله سبحانه: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ ﴿غافر:٨٥﴾ وهذا كثير في كتاب الله عز وجل.

والهداية هي الولاية كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿المائدة:٥٦﴾ و ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ في هذا الموضع هم المؤتمنون على الخلائق من الحجج والأوصياء في عصر بعد عصر.

وليس كل من أقر أيضاً من أهل القبلة بالشهادتين كان مؤمناً إن المنافقين كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويدفعون عهد رسول الله(ﷺ) بما عهد به من دين الله وعزائمه وبراهين نبوته إلى وصيه ويضمرون من الكراهة لذلك والنقض لما أبرمه منه عند إمكان الأمر لهم فيه فيما قد بينه الله لنبيه بقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿النساء:٦٥﴾ وبقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ ﴿آل عمران:١٤٤﴾.

ومثله قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ ﴿الانشقاق:١٩﴾ أي لتسلكن سبيل من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء وهذا كثير في كتاب الله عز وجل.

وقد شق على النبي(ﷺ) ما يئول إليه عاقبة أمرهم واطلاع الله إياه على بوارهم فأوحى الله عز وجل ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ ﴿فاطر:٨﴾ ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿المائدة:٦٨﴾.

وأما قوله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ ﴿الزخرف:٤٥﴾ فهذا من براهين نبينا (ﷺ) التي آتاه الله إياها وأوجب به الحجة على سائر خلقه لأنه لما ختم به الأنبياء وجعله الله رسولاً إلى جميع الأمم وسائر الملل خصه الله بالارتقاء إلى السماء عند المعراج وجمع له يومئذ الأنبياء فعلم منهم ما أرسلوا به وحملوه من عزائم الله وآياته وبراهينه وأقروا أجمعين بفضله وفضل الأوصياء والحجج في الأرض من بعده وفضل شيعة وصيه من المؤمنين والمؤمنات الذين سلموا لأهل الفضل فضلهم ولم يستكبر عن أمرهم وعرف من أطاعهم وعصاهم من أممهم وسائر من مضى ومن غبر أو تقدم أو تأخر وأما هفوات الأنبياء(عليهم السلام) وما بيّنه الله في كتابه ووقوع الكناية عن أسماء من اجترم أعظم مما اجترمته الأنبياء ممن شهد الكتاب بظلمهم فإن ذلك من أول الدلائل على حكمة الله عز وجل الباهرة وقدرته القاهرة وعزته الظاهرة لأنه علم أن براهين الأنبياء تكبر في صدور أممهم وأن منهم من يتخذ بعضهم إلهاً كالذي كان من النصارى في ابن مريم فذكرها دلالة على تخلفهم عن الكمال الذي تفرد به عز وجل ألم تسمع إلى قوله في صفة عيسى(عليه السلام) حيث قال فيه وفي أمه ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ ﴿المائدة:٧٥﴾ يعني من أكل الطعام كان له ثقل ومن كان له ثقل فهو بعيد مما ادعته النصارى لابن مريم.

ولم يكن عن أسماء الأنبياء تجبراً وتعززاً بل تعريفاً لأهل الاستبصار أن الكناية عن أسماء ذوي الجرائر العظيمة من المنافقين في القرآن ليست من فعله تعالى وأنها من فعل المغيرين والمبدلين الذي جعلوا القرآن عضين واعتاضوا الدنيا من الدين.

وقد بيّن الله تعالى قصص المغيرين بقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ﴿البقرة:٧٩﴾.

وبقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ ﴿آل عمران:٧٨﴾ وبقوله: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ ﴿النساء : ١٠٨﴾ بعد فقد الرسول ما يقيمون أود[1] باطلهم حسب ما فعلته اليهود والنصارى بعد فقد موسى وعيسى(عليهما السلام) من تغيير التوراة والإنجيل وتحريف الكلم عن مواضعه.

وبقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ ﴿التوبة:٣٢﴾ يعني أنهم أثبتوا في الكتاب ما لم يقله الله ليلبسوا على الخليقة فأعمى الله قلوبهم حتى تركوا فيه ما يدل على ما أحدثوه فيه وحرفوا منه وبيّن عن إفكهم وتلبيسهم وكتمان ما علموه منه ولذلك قال لهم ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ ﴿آل عمران:٧١﴾ وضرب مثلهم بقوله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿الرعد:١٧﴾ فالزبد في هذا الموضع كلام الملحدين الذي أثبتوه في القرآن فهم يضمحل ويبطل ويتلاشى عند التحصيل والذي ينفع الناس منه فالتنزيل الحقيقي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقلوب تقبله والأرض في هذا الموضع هي محل العلم وقراره.

وليس يسوغ مع عموم التقية التصريح بأسماء المبدلين ولا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب لما في ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل والكفر والملل المنحرفة عن قبلتنا وإبطال هذا العلم الظاهر الذي قد استكان له الموافق والمخالف بوقوع الاصطلاح على الإيتمار لهم والرضا بهم ولأن أهل الباطل في القديم والحديث أكثر عدداً من أهل الحق ولأن الصبر على ولاة الأمر مفروض لقول الله عز وجل لنبيه(صلى الله عليه وآله) ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ ﴿الأحقاف:٣٥﴾

---

١) أودَ الشيء – بالكسر – أي أعوج. الصحاح ، ج١ ، ص٤٤٢.

وإيجابه مثل ذلك على أوليائه وأهل طاعته بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ﴿الأحزاب:٢١﴾.

فحسبك من الجواب في هذا الموضع ما سمعت فإن شريعة التقية تحظر التصريح بأكثر منه.

وأما قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ﴿الفجر:٢٢﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ ﴿الأنعام:٩٤﴾ وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ ﴿الأنعام:١٥٨﴾ فذلك كله حق وليست جيئته جل ذكره كجيئة خلقه فإنه رب كل شيء.

ومن كتاب الله عز وجل ما يكون تأويله على غير تنزيله

ولا يشبه تأويله كلام البشر ولا فعل البشر وسأنبئك بمثال لذلك تكتفي به إن شاء الله وهو حكاية الله عز وجل عن إبراهيم(عليه السلام) حيث قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ ﴿الصافات:٩٩﴾ فذهابه إلى ربه توجهه إليه في عبادته واجتهاده ألا ترى أن تأويله غير تنزيله.

وقال: ﴿أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ ﴿الزمر:٦﴾ وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿الحديد:٢٥﴾ فإنزاله ذلك خلقه إياه وكذلك قوله: ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ ﴿الزخرف:٨١﴾ أي الجاحدين فالتأويل في هذا القول باطنه ومضاد لظاهره.

ومعنى قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ ﴿الأنعام:١٥٨﴾ ، فإنما هي خطاب نبينا(صلى الله عليه وآله) هل ينظرون المنافقون والمشركون إلا أن تأتيهم الملائكة فيعاينوهم أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يعني بذلك أمر ربك والآيات هي العذاب في الدار الدنيا كما عذب الأمم السالفة والقرون الخالية وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ

أَطْرَافِهَا﴾ ﴿الرعد:٤١﴾ يعني بذلك ما يهلك من القرون فسماه إتياناً وقال: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿التوبة:٣٠﴾ أي لعنهم الله أنى يؤفكون فسمى اللعنة قتالاً وكذلك قال: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ ﴿عبس:١٧﴾ أي لعن الإنسان وقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ ﴿الأنفال:١٧﴾ فسمى فعل النبي فعلاً له ألا ترى تأويله على غير تنزيله.

ومثل قوله: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿السجدة:١٠﴾ فسمى البعث لقاء وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ ﴿البقرة:٤٦﴾ أي يوقنون أنهم مبعوثون ومثله قوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ❖ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿المطففين:٤و٥﴾ أي أليس يوقنون أنهم مبعوثون واللقاء عند المؤمن البعث وعند الكافر المعاينة والنظر وقد يكون بعض ظن الكافر يقيناً وذلك قوله: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ ﴿الكهف:٥٣﴾ أي أيقنوا أنهم مواقعوها.

وأما قوله في المنافقين: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ ﴿الأحزاب:١٠﴾ فليس ذلك بيقين ولكنه شك فاللفظ واحد في الظاهر ومخالف في الباطن وكذلك قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿طه:٥﴾ يعني استوى تدبيره وعلا أمره وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ ﴿الزخرف:٨٤﴾ وقوله: ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ﴿الحديد:٤﴾ وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ ﴿المجادلة:٧﴾ فإنما أراد بذلك استيلاء أمنائه بالقدرة التي ركبها فيهم على جميع خلقه وأن فعلهم فعله فافهم عني ما أقول لك فإني إنما أزيدك في الشرح لأثلج[1] في صدرك وصدر من لعله بعد اليوم يشك في مثل ما شككت فيه فلا يجد مجيباً عما يسأل عنه لعموم الطغيان والافتتان ولاضطرار أهل العلم بتأويل الكتاب إلى الاكتتام والاحتجاب خيفة من أهل الظلم والبغي.

---

١) أثلج : أصاب / القاموس المحيط. ثَلجت نفسي بالشيء ثَلَجاً ، وثَلَجت تثلُجُ وتَثْلَجُ ثُلُوجاً : اشتفت به واطمأنت إليه : وقيل عَرفته وسُرِّت به : ثلجتُ بما خَبَّرتني أي اشتفيت به وسكن قلبي إليه ، ومنه : ثَلَجَ صدرك. لسان العرب.

أما إنه سيأتي على الناس زمان يكون الحق فيه مستوراً والباطل ظاهراً مشهوراً وذلك إذا كان أولى الناس به أعداهم له واقترب الوعد الحق وعظم الإلحاد وظهر الفساد هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ونخلهم الكفار أسماء الأشرار فيكون جهد المؤمن أن يحفظ مهجته من أقرب الناس إليه ثم يتيح الله الفرج لأوليائه فيظهر صاحب الأمر على أعدائه.

وأما قوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ ﴿هود:١٧﴾ فذلك حجة الله أقامها على خلقه وعرّفهم أنه لا يستحق مجلس النبي(صلى الله عليه وآله) إلا من يقوم مقامه ولا يتلوه إلا من يكون في الطهارة مثله منزلة لئلا يتسع لمن ماسه رجس الكفر في وقت من الأوقات انتحال الاستحقال لمقام رسول الله وليضيق العذر على من يعينه على إثمه وظلمه إذ كان الله قد حظر على من ماسه الكفر تقلد ما فوضه إلى أنبيائه وأوليائه بقوله لإبراهيم ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿البقرة:١٢٤﴾ أي المشركين لأنه سمى الشرك ظلماً بقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿لقمان:١٣﴾ فلما علم إبراهيم(عليه السلام) أن عهد الله تبارك اسمه بالإمامة لا ينال عبدة الأصنام قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ﴿إبراهيم:٣٥﴾.

واعلم أن من آثر المنافقين على الصادقين والكفار على الأبرار فقد افترى على الله إثماً عظيماً إذا كان الله قد بيّن في كتابه الفرق بين المحق والمبطل والطاهر والنجس والمؤمن والكافر وأنه لا يتلوا النبي(صلى الله عليه وآله) عند فقده إلا من حل محله صدقاً وعدلاً وطهارة وفضلاً.

وأما الأمانة التي ذكرتها فهي الأمانة التي لا تجب ولا يجوز أن تكون إلا في الأنبياء وأوصيائهم لأن الله تبارك وتعالى إئتمنهم على خلقه وجعلهم حججاً في أرضه ، فبالسامري ومن اجتمع معه وأعانه من الكفار على عبادة العجل عند غيبة موسى ما تم انتحال محل موسى(عليه السلام) من الطغام[1] والاحتمال لتلك الأمانة التي لا

---

١) الطغام: أوغاد الناس / الصحاح. وفي مقاييس اللغة : الطاء والغين والميم كلمة ما أحسبها من أصل كلام العرب : يقولون لأوغاد الناس : طغام.

ينبغي إلا الطاهر من الرجس فاحتمل وزرها ووزر من سلك في سبيله من الظالمين وأعوانهم.

ولذلك قال النبي(ﷺ) من استنّ سنة حق كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن استنّ سنة باطل كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ولهذا القول عن النبي(ﷺ) شاهد من كتاب الله وهو قول الله عز وجل في قصة قابيل قاتل أخيه ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ﴿المائدة:٣٢﴾. وللأحياء في هذا الموضع تأويل في الباطن ليس كظاهره وهو من هداها لأن الهداية هي حياة الأبد ومن سماه الله حياً لم يمت أبداً إنما ينقله من دار محنه إلى دار راحة ومنحة.

وأما ما أراك من الخطاب بالانفراد مرة وبالجمع مرة من صفة البارئ جل ذكره فإن الله تبارك وتعالى على ما وصف به نفسه بالانفراد والوحدانية هو النور الأزلي القديم الذي ليس كمثله شيء لا يتغير ويحكم ما يشاء ويختار ولا معقب لحكمه ولاراد لقضائه ولا ما خلق زاد في ملكه وعزه ولا نقص منه ما لم يخلقه وإنما أراد بالخلق إظهار قدرته وإبداء سلطانه وتبيين براهين حكمته فخلق ما شاء كما يشاء وأجرى فعل بعض الأشياء على أيدي من اصطفى من أمنائه فكان فعلهم فعله وأمرهم أمره كما قال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ ﴿النساء:٨٠﴾.

وجعل السماء والأرض وعاء لمن شاء من خلقه ليميز الخبيث من الطيب مع سابق علمه بالفريقين من أهلها وليجعل ذلك مثالاً لأوليائه وأمنائه وعرّف الخليقة فضل منزلة أوليائه وفرض عليهم من طاعتهم مثل الذي فرضه منه لنفسه وألزمهم الحجة بأن خاطبهم خطاباً يدل على انفراده وتوحده وبأن له أولياء تجري أفعالهم وأحكامهم مجرى فعله فهم العباد المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

هم الذين أيّدهم بروح منه وعرّف الخلق اقتدارهم على علم الغيب بقوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا◆إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ ﴿الجن:٢٦-

٢٧﴾ وهم النعيم الذي يسأل العباد عنه لأن الله تبارك وتعالى أنعم بهم على من اتبعهم من أوليائهم.

قال السائل من هؤلاء الحجج قال(عليه السلام) هم رسول الله(صلى الله عليه وآله) ومن حلّ محله من أصفياء الله الذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه وهم ولاة الأمر الذين قال الله فيهم:

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ﴿النساء:٥٩﴾ وقال فيهم: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ ﴿النساء:٨٣﴾.

قال السائل ما ذلك الأمر قال علي(عليه السلام) الذي تنزل به الملائكة في الليلة التي يفرق فيها كُلُّ أمر حكيم من خلق ورزق وأجل وعمل وحياة وموت وعلم غيب السماوات والأرض والمعجزات التي لا تنبغي إلا لله وأصفيائه والسفرة بينه وبين خلقه وهم وجه الله الذي قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ﴿البقرة:١١٥﴾ هم بقية الله يعني المهدي الذي يأتي عند انقضاء هذه النظرة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ومن آياته الغيبة والاكتتام عند عموم الطغيان وحلول الانتقام ولو كان هذا الأمر الذي عرفتك نبأه للنبي دون غيره لكان الخطاب يدل على فعل ماض غير دائم ولا مستقبل ولقال نزلت الملائكة وفرق كل أمر حكيم ولم يقل: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ﴿القدر:٤﴾ و ﴿يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ﴿الدخان:٤﴾ وقد زاد جل ذكره في التبيان وإثبات الحجة بقوله في أصفيائه وأوليائه: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ ﴿الزمر:٥٦﴾ تعريفاً للخليقة قربهم ألا ترى أنك تقول فلان إلى جنب فلان إذا أردت أن تصف قربه منه.

وإنما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه وحججه في أرضه لعلمه بما يحدثه في كتابه المبدلون من إسقاط أسماء حججه منه وتلبيسهم ذلك على الأمة ليعينوهم على باطلهم فأثبت فيه الرموز وأعمى قلوبهم وأبصارهم لما عليهم في تركها وترك غيرها من الخطاب الدال على ما أحدثوه فيه وجعل أهل الكتاب المقيمين به والعالمين بظاهره وباطنه ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ

وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ❖تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ ﴿إبراهيم:٢٤-٢٥﴾ أي يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت وجعل أعداءها أهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

ولو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بينت لك تأويلها لأسقطوها مع ما أسقطوا منه ولكن الله تبارك اسمه ماض حكمه بإيجاب الحجة على خلقه كما قال: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ ﴿الأنعام:١٤٩﴾ أغشى أبصارهم وجعل على قلوبهم أكنة عن تأمل ذلك فتركوه بحاله وحجبوا عن تأكيد الملبس بإبطاله فالسعداء يتثبتون عليه والأشقياء يعمون عنه ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

ثم إن الله جل ذكره بسعة رحمته ورأفته بخلقه وعلمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كتابه قسم كلامه ثلاثة أقسام فجعل ❖قسماً منه يعرفه العالم والجاهل. ❖وقسماً لا يعرفه إلا من صفا ذهنه ولطف حسه وصح تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام. ❖وقسماً لا يعرفه إلا الله وأمناؤه الراسخون في العلم.

وإنما فعل ذلك لئلا يدعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله(ﷺ) من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم وليقودهم الاضطرار إلى الأيتمار لمن ولاه أمرهم فاستكبروا عن طاعته تعززاً وافتراء على الله عز وجل واغتراراً بكثرة من ظاهرهم وعاونهم وعاند الله جل اسمه ورسوله(ﷺ).

فأما ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله(ﷺ) من كتاب الله وهو قوله سبحانه: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ ﴿النساء:٨٠﴾ وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿الأحزاب:٥٦﴾ ولهذه الآية ظاهر وباطن فالظاهر قوله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ والباطن قوله: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي سلموا لمن وصاه واستخلفه عليكم فضله وما عهد إليه تسليماً وهذا مما أخبرتك أنه لا يعلم تأويله إلا من لطف حسه وصفا ذهنه وصح تمييزه.

وكذلك قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ ﴿الصافات:١٣٠﴾ لأن الله سمى النبي (ﷺ) بهذا الاسم حيث قال: ﴿يس❖وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ❖إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿يس:١-٣﴾ لعلمه بأنهم يسقطون قول سلام على آل محمد كما أسقطوا غيره وما زال رسول الله(ﷺ) يتآلفهم ويقربهم ويجلسهم عن يمينه وشماله حتى أذن الله عز وجل له في إبعادهم بقوله: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ ﴿المزمل:١٠﴾ وبقوله: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ❖عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ❖أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ❖كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿المعارج:٣٦-٣٩﴾ وكذلك قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ ﴿الإسراء:٧١﴾ ولم يسم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم.

وأما قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ﴿القصص:٨٨﴾ فإنما أنزلت كل شيء هالك إلا دينه لأنه من المحال أن يهلك منه كل شيء ويبقى الوجه هو أجل وأعظم وأكرم من ذلك إنما يهلك من ليس منه ألا ترى أنه قال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ❖وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ﴿الرحمن:٢٦-٢٧﴾ ففصل بين خلقه ووجهه.

وأما ظهورك على تناكر قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ﴿النساء:٣﴾ وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء ولا كل النساء أيتاماً فهو مما قدمت ذكره من إسقاط المنافقين من القرآن وبين القول في اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن وهذا وما أشبهه مما ظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النظر والتأمل ووجد المعطلون وأهل الملل المخالفة مساغاً إلى القدح في القرآن ولو شرحت لك كل ما أسقط وحرّف وبدل مما يجري هذا المجرى لطال وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء.

وأما قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿البقرة:٥٧﴾ فهو تبارك اسمه أجل وأعظم من أن يظلم ولكنه قرن أمناءه على خلقه بنفسه وعرّف الخليقة جلالة قدرهم عنده وأن ظلمهم ظلمه بقوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ ببغضهم أولياءنا

ومعونة أعدائهم عليهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ إذ حرموها الجنة وأوجبوا عليها خلود النار.

وأما قوله: ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ ﴿سبأ:٤٦﴾ ، فإن الله جل ذكره أنزل عزائم الشرائع وآيات الفرائض في أوقات مختلفة كما خلق السماوات والأرض في ستة أيام ولو شاء أن يخلقها في أقل من لمح البصر لخلق ولكنه جعل الأناة والمداراة مثالاً لأمنائه وإيجاباً للحجة على خلقه فكان أول ما قيدهم به الإقرار بالوحدانية والربوبية والشهادة بأن لا إله إلا الله.

فلما أقروا بذلك تلا بالإقرار لنبيه (ﷺ) بالنبوة والشهادة له بالرسالة فلما انقادوا لذلك فرض عليهم الصلاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد ثم الزكاة ثم الصدقات ما يجري مجراها من مال الفيء.

فقال المنافقون هل بقي لربك علينا بعد الذي فرضته علينا شيء آخر يفترضه فتذكره لتسكن أنفسنا أنه لم يبق غيره فأنزل الله في ذلك ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ ﴿سبأ:٤٦﴾ يعني الولاية فأنزل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ﴿المائدة:٥٥﴾ وليس في الأمة خلاف أنه لم يؤت الزكاة يومئذ أحد وهو راكع غير رجل واحد لو ذكر اسمه في الكتاب لأسقط مع ما أسقط من ذكره وهذا وما أشبهه من الرموز التي ذكرت لك ثبوتها في الكتاب ليجهل معناه المحرفون فيبلغ إليك وإلى أمثالك وعند ذلك قال الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ﴿المائدة:٣﴾.

وأما قوله لنبيه(ﷺ) : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿الأنبياء:١٠٧﴾ فإنك ترى أهل الملل المخالفة للإيمان ومن يجري مجراهم من الكفار مقيمين على كفرهم إلى هذه الغاية وأنه لو كان رحمة عليهم لاهتدوا جميعاً ونجوا من عذاب السعير فإن الله

تبارك وتعالى اسمه إنما يعني بذلك أنه جعله سبيلاً لإنظار أهل هذه الدار ولأن الأنبياء قبله بعثوا بالتصريح لا بالتعريض[1].

فكان النبي(صلى الله عليه وآله) فيهم إذا صدع بأمر الله وأجابه قومه سلموا وسلم أهل دارهم من سائر الخليقة وإن خالفوه هلكوا وهلك أهل دارهم بالآفة التي كانت نبيهم يتوعدهم بها ويخوفهم حلولها ونزولها بساحتهم من خسف أو قذف أو رجز أو ريح أو زلزلة أو غير ذلك من أصناف العذاب التي هلكت بها الأمم الخالية وإن الله علم من نبينا ومن الحجج في الأرض الصبر على ما لم يطق من تقدمهم من الأنبياء الصبر على مثله فبعثه الله بالتعريض لا بالتصريح وأثبت حجة الله تعريضاً لا تصريحاً بقوله في وصية من كنت مولاه فهذا مولاه وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

وليس من خليقة النبي ولا من شيمته أن يقول قولاً لا معنى له فيلزم الأمة أن تعلم أنه لما كانت النبوة والأخوة موجودتين في خلقة هارون ومعدومتين فيمن جعله النبي(صلى الله عليه وآله) بمنزلته أنه قد استخلفه على أمته كما استخلف موسى هارون حيث قال: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ ﴿الأعراف:١٤٢﴾ ولو قال لهم لا تقلدوا الإمامة إلا فلاناً بعينه وإلا نزل بكم العذاب لأتاهم العذاب الأليم وزال باب الأنظار والإمهال.

وبما أمر بسد باب الجمع وترك بابه ثم قال ما سددت ولا تركت ولكنني أمرت فأطعت فقالوا سددت بابنا وتركت لأحدثنا سناً فأما ما ذكروه من حداثة سنه فإن الله لم يستصغر يوشع بن نون حيث أمر موسى أن يعهد بالوصية إليه وهو في سن سبع سنين ولا استصغر يحيى وعيسى لما استودعهما عزائمه وبراهين حكمته وإنما فعل جل ذكره لعلمه بعاقبة الأمور وأن وصيه لا يرجع بعده ضالاً ولا كافراً.

وبأن عمد النبي(صلى الله عليه وآله) إلى سورة براءة فدفعها إلى من علم أن الأمة تؤثره على وصيه وأمره بقراءتها على أهل مكة فلما ولى من بين أيديهم أتبعه بوصيه وأمره بارتجاعها منه والنفوذ إلى مكة ليقرأها على أهلها وقال أن الله عز وجل أوحى إلي

---

١) والتعْريضُ : خلاف التصريح. والمعاريض : التّورية بالشيء عن الشيء. لسان العرب.

أن لا يؤدي عني إلا رجل مني دلالة منه على خيانة من علم أن الأمة يختاره على وصيه.

ثم شفع ذلك بضم الرجل الذي ارتجع سورة براءة منه ومن يوازره في تقدم المحل عند الأمة إلى علم النفاق عمر بن العاص في غزاة ذات السلاسل وولاهما عمر وحرس عسكره وختم أمرهما بأن ضمهما عند وفاته إلى مولاه أسامة بن زيد وامرهما بطاعته والتصريف بين أمره ونهيه وكان آخر ما عهد به في أمر أمته قوله أنفذوا جيش أسامة يكرر ذلك على أسماعهم إيجاباً للحجة عليهم في إيثار المنافقين على الصادقين ، ولو عددت كل ما كان من رسول الله(ﷺ) في إظهار معايب المستولين على تراثه لطال وأن السابق منهم إلى تقلد ما ليس له بأهل قام هاتفاً على المنبر لعجزه عن القيام بأمر الأمة ومستقيلاً مما تقلده لقصور معرفته عن تأويل ما كان يسأل عنه وجهله بما يأتي ويذر.

ثم أقام على ظلمه ولم يرض باحتقاب عظيم الوزر في ذلك حتى عقد الأمر من بعده لغيره فأتى التالي له بتسفيه رأيه والقدح والطعن على أحكامه ورفع السيف عمن كان صاحبه وضعه عليه ورد النساء اللاتي كان سباهن على أزواجهن وبعضهن حوامل وقوله نهيته عن قتال أهل القبلة فقال لي أنك لحدب[1] على أهل الكفر وكان هو في ظلمه لهم أولى باسم الكفر منهم.

ولم يزل يخطئه ويظهر الازراء عليه ويقول على المنبر كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه وكان يقول قبل ذلك قولاً ظاهراً أنه حسنة من حسناته ويود أنه كان شعرة في صدره وغير ذلك من القول المتناقض المؤكد بحجج الدافعين لدين الإسلام.

وأتى من أمر الشورى وتأكيده بها عقد الظلم والإلحاد والبغي والفساد حتى تقرر على إرادته ما لم يخف على ذي لب موقع ضرره ولم تطق الأمة الصبر على ما أظهره الثالث من سوء الفعل فعاجلته بالقتل واتسع بما جنوه من ذلك لمن وافقهم على ظلمهم وكفرهم ونفاقهم محاولة مثل ما أتوه من الاستيلاء على أمر الأمة كل

---

١) حدب عليه وتحدب عليه ، أي تعطف عليه / الصحاح.

ذلك لتتم النظرة التي أوجبها الله تبارك وتعالى لعدوه إبليس إلى أن يبلغ الكتاب أجله ويحقَ القول على الكافرين ويقترب الوعد الذي بينه الله في كتابه بقوله:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ﴿النور:٥٥﴾.

وذلك إذا لم يبق من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه وغاب صاحب الأمر بإيضاح العذر له في ذلك لاشتمال الفتنة على القلوب حتى يكون أقرب الناس إليه أشدهم عداوة له وعند ذلك يؤيده الله بجنود لم تروها ويظهر دين نبيه(ﷺ) على يديه على الدين كله ولو كره المشركون.

وأما ما ذكرته من الخطاب الدال على تهجين النبي(ﷺ) والازراء به والتأنيب له مع ما أظهره الله تبارك وتعالى في كتابه من تفضيله إياه على سائر الأنبياء فلأن الله عز وجل جعل لكل نبي عدواً من المشركين كما قال في كتابه وبحسب جلالة منزلة نبينا(ﷺ) عند ربه كذلك عظم محنته لعدوه والذي عاد منه في حال شقاقه ونفاقه وكل أذى ومشقة لدفع نبوته وتكذيبه إياه وسعيه في مكارهه وقصده لنقض كل ما أبرمه واجتهاده ومن مالأه على كفره وفساده ونفاقه وإلحاده في إبطال دعواه وتغيير ملته ومخالفة سنته ولم ير شيئاً أبلغ في تمام كيده من تنفيرهم من موالاة وصيه وإيحاشهم منه وصدهم عنه وإغرائهم بعداوته والقصد لتغيير الكتاب الذي جاء به وإسقاط ما فيه من فضل ذوي الفضل وكفر ذوي الكفر منه وممن وافقه على ظلمه وبغيه وشركه.

ولقد علم الله ذلك منهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ ﴿فصلت:٤٠﴾ وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ ﴿الفتح:١٥﴾ ولقد أحضروا الكتاب كملاً مشتملاً على التأويل والتزيل والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ لم يسقط منه حرف ألف ولا لام فلما وقفوا على ما بينه الله من أسماء أهل الحق والباطل وأن ذلك إن ظهر نقض ما عقدوه قالوا لا حاجة لنا فيه ونحن مستغنون عنه بما عندنا ولذلك قال:

﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾﴿آل عمران:١٨٧﴾.

ثم دفعهم الاضطرار بورود المسائل عليهم عما لا يعلمون تأويله إلى جمعه وتأليفه وتضمينه من تلقائهم ما يقيمون به دعائم كفرهم فصرخ من كان عنده شيء من القرآن فليأتنا به ووكلوا تأليفه ونظمه إلى بعض من وافقهم على معاداة أولياء الله فألفه على اختيارهم وما يدل للمتأمل له على اختلال تمييزهم وتقريبهم وتركوا منه ما قدروا أنه لهم وهو عليهم وزادوا تناكره وتنافره.

وعلم الله أن ذلك يظهر ويبين فقال: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ﴿النجم:٣٠﴾ وانكشف لأهل الاستبصار عوارهم وافتراؤهم والذي بدا في الكتاب من الأزراء على النبي(ﷺ) من فرية الملحدين ولذلك قال جلّ ذكره: ﴿لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ ﴿المجادلة:٢﴾.

فيذكر لنبيه(ﷺ) من ما يحدثه عدوه في كتابه من بعده بقوله:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ ﴿الحج:٥٢﴾.

يعني أنه ما من نبي تمنى مفارقة ما يعاينه من نفاق قومهم وعقوقهم والانتقال عنهم إلى دار الإقامة إلا ألقى الشيطان المعرض بعداوته عند فقده في الكتاب الذي أنزل عليه ذمه والقدح فيه والطعن عليه فينسخ الله ذلك من قلوب المؤمنين فلا تقبله ولا تصغى إليه غير قلوب المنافقين والجاهلين ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ ﴿الحج:٥٢﴾ بأن يحمي أولياءه من الضلال والعدوان ومشايعة أهل الكفر والطغيان الذين لم يرض الله أن يجعلهم كالأنعام حتى قال: ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿الفرقان:٤٤﴾ فافهم هذا واعمل به.

واعلم إنك ما قد تركت مما يجب عليك السؤال عنه أكثر مما سألت وإني قد اقتصرت على تفسير يسير من كثير لعدم حملة العلم وقلة الراغبين في التماسه وفي دون ما بينت لك بلاغ لذوي الألباب.

قال السائل حسبي ما سمعت يا أمير المؤمنين شكر الله لك استنقاذي من عماية الشك وطخية[1] الإفك وأجزل على ذلك مثوبتك أنه على كل شيء قدير وصلى الله الله أولاً وآخراً على أنوار الهدايات وأعلام البرايات محمد وآله أصحاب الدلالات[2].

◆ **في التوحيد :** القطان عن بن زكريا القطان عن ابن حبيب عن أحمد بن يعقوب بن مطر عن محمد بن الحسن بن عبد العزيز الأحدب الجنديسابوري قال وجدت في كتاب أبي بخطه حدثنا طلحة بن يزيد عن عبيد الله عبيد عن أبي معمر السعداني أن رجلاً أتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) فقال يا أمير المؤمنين إني قد شككت في كتاب الله المنزل قال له علي(عليه السلام) ثكلتك أمك وكيف شككت في كتاب الله المنزل قال لأني وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً فكيف لا أشك فيه فقال علي بن أبي طالب(عليه السلام) إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً ولكنك لم ترزق عقلاً تنتفع به فهات ما شككت فيه من كتاب الله عز وجل.

قال له الرجل إني وجدت الله يقول ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ ﴿الأعراف:٥١﴾ وقال أيضاً ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ ﴿التوبة:٦٧﴾ وقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿مريم:٦٤﴾ فمرة يخبر أنه ينسى ومرة يخبر أنه لا ينسى فأنى ذلك يا أمير المؤمنين قال هات ما شككت فيه أيضاً قال وأجد الله يقول: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ﴿النبأ:٣٨﴾ وقال وقد استنطقوا فقالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿الأنعام:٢٣﴾ وقال: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ ﴿العنكبوت:٢٥﴾ وقال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ ﴿ص:٦٤﴾ وقال: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ ﴿ق:٢٨﴾ وقال: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿يس:٦٥﴾ فمرة يخبر أنهم يتكلمون ومرة أنهم لا

---

١) الطُخاء : ثقل وغشاء وغشي ، وأصل الطخاء والطخية الظلمة والغي وفي الحديث : إن للقلب طخاء كطخاء القمر أي شيئاً يغشاه كما يغشى القمر. لسان العرب.

٢) البحار ، ج٩٣ ، ص١٢٧ نقلاً عن الاحتجاج ، ج١ ، ص٥٦١-٦٠٩.

يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ومرة يخبر أن الخلق لا ينطقون ويقول عن مقالتهم ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿الأنعام:٢٣﴾ ومرة يخبر أنهم يختصمون فأنى ذلك يا أمير المؤمنين وكيف لا أشك فيما تسمع قال هات ويحك ما شككت فيه.

قال وأجد الله عز وجل يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ❖ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿القيامة:٢٢-٢٣﴾ ويقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿الأنعام:١٠٣﴾ ويقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى❖عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ ﴿النجم:١٣-١٤﴾ ويقول: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ❖ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ﴿طه:١٠٩-١١٠﴾ ومن أدركته الأبصار فقد أحاط به العلم فأنى ذلك يا أمير المؤمنين وكيف لا أشك فيما تسمع قال هات أيضاً ويحك ما شككت فيه.

قال وأجد الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿الشورى:٥١﴾ وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ﴿النساء:١٦٤﴾ وقال: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ ﴿الأعراف:٢٢﴾ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ ﴿الأحزاب:٥٩﴾ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ﴿المائدة:٦٧﴾ فأنى ذلك يا أمير المؤمنين وكيف لا أشك فيما تسمع قال هات ويحك ما شككت فيه.

وجاء بالشكوك المارة الذكر كاملة وقال فأنى ذلك يا أمير المؤمنين وكيف لا أشك فيها ما تسمع وقد هلكت إن لم ترحمني وتشرح لي صدري فيما عسى أن يجري ذلك على يديك فإن كان الرب تبارك وتعالى حقاً والكتاب حقاً والرسل حقاً فقد هلكت وخسرت وان تكن الرسل باطلاً فما عليّ بأس وقد نجوت.

فقال عليّ(عليه السلام) قدوس ربنا قدوس تبارك وتعالى علواً كبيراً نشهد أنه هو الدائم الذي لا يزول ولا نشك فيه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير وأن الكتاب حق والرسل حق وأن الثواب والعقاب حق فإن رزقت زيادة إيمان أو حرمته فإن ذلك بيد الله إن شاء الله رزقك وان شاء حرمك ذلك ولكن سأعلمك ما شككت فيه ولا

قوة إلا بالله فإن أراد الله بك خيراً أعلمك بعلمه وثبتك وإن يكن شراً ضللت وهلكت.

ثم شرح وفسر الآيات كما مرّ ذكره بما تقدم إلى أن قال في آخر كلامه وليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسره لكل الناس لأن منهم القوي والضعيف ولأن منه ما يطاق حمله ومنه ما لا يطاق حمله إلا أن يسهل الله له حمله وأعانه عليه من خاصة أوليائه وإنما يكفيك أن تعلم أن الله هو المحيي والمميت وأنه يتوفى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكته وغيرهم قال فرجت عني يا أمير المؤمنين أنفع الله بك المسلمين.

فقال علي(عليه السلام) للرجل لئن كنت قد شرح الله صدرك بما قد بينت لك فأنت والذي فلق الحبة وبرأ النسمة من المؤمنين حقاً فقال الرجل يا أمير المؤمنين كيف لي بأن أعلم أني من المؤمنين حقاً قال لا يعلم ذلك إلا من أعلمه الله على لسان نبيه(صلى الله عليه وآله) وشهد له رسول الله(صلى الله عليه وآله) بالجنة أو شرح الله صدره ليعلم ما في الكتب التي أنزلها الله عز وجل على رسله وأنبيائه.

قال يا أمير المؤمنين ومن يطيق ذلك قال من شرح الله صدره ووفقه له فعليك بالعمل لله في سر أمرك وعلانيتك فلا شيء يعدل العمل[1].

❖ وفي العلل : لمحمد بن علي بن إبراهيم العلة في قوله إياك أعني واسمعي يا جارة ((هذا مثل يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئاً غيره ، وان أول من قال ذلك سهل بن مالك الفزاري ما ذكره الميداني في مجمع الأمثال الجزء الأول)) ، قول الله لنبيه(صلى الله عليه وآله) ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ﴿الإسراء:٢٢﴾ ﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ ﴿الإسراء:٣٩﴾ وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ ﴿الطلاق:١﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ❖لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ﴿الحاقة:٤٤-٤٥﴾ ومثله كثير مما هو مخاطبة لرسول(صلى الله عليه وآله) والمعنى على أمته فذلك علة قولك إياك أعني واسمعي يا جارة.

---

١) التوحيد ، ص٢٥٤ -٢٦٩ ، الباب ٣٦ ، الحديث رقم٥.

ومنه قال علة إسقاط بسم الله الرحمن الرحيم من سورة براءة أن بسم الله الرحمن الرحيم أمان والبراءة كانت إلى المشركين فأسقط منها الأمان.

ومنه: قال كنية النبي(ﷺ) في القرآن قوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿الحجر:٧٢﴾ وأقسم الله به في القرآن في قوله عز وجل ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ ﴿النجم:١﴾ يعني رسول الله(ﷺ).

هذا النص كما ترى فيه عدة مباحث تتضمن مواضيع مختلفة متعددة ، تمثل بمجموعها ما يندرج تحت عنوان : علوم القرآن ، محورها آيات الذكر الحكيم ، فهو يذكر لكل نوع من هذه العلوم ما يكون دليلاً عليه من آيات القرآن ، وشمل مطالب منها : آيات من الترغيب ، والترهيب ، والجدل ، والقصص ، والمثل ، الناسخ والمنسوخ ، المحكم والمتشابه ، الخاص والعام ، والتنزيل والتأويل ، ثم الاحتجاجات في القرآن الكريم على الملحدين وعبدت الأوثان ، والثنوية والزنادقة وما شابه ذلك من المواضيع العقائدية وهذا النص نسبت روايته إلى عدة من أعاظم مشايخ الشيعة ، وهم :

١. شيخ الطائفة أبي القاسم سعد بن عبد الله بن أبي خلف الاشعري القمي ، توفي سنة ٢٩٩هـ أو ٣٠٠ هـ .

٢. الشيخ الثقة الجليل علي بن إبراهيم بن هاشم القمي صاحب التفسير ، توفي سنة ٣٠٧هـ.

٣. الشيخ الحافظ العلامة أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي السبيعي الشهير بابن عقدة ، توفي سنة ٣٣٣هـ.

٤. الشيخ الثقة الأجل أبي عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني المعروف بابن زينب أو الكاتب النعماني ، توفي سنة ٣٦٠هـ.

٥. السيد الشريف المرتضى علم الهدى علي بن الحسين الموسوي البغدادي ، توفي سنة ٤٣٦هـ.

فهؤلاء الذين نسبت إليهم روايته مع الاختلاف في بعض الألفاظ وترتيبه[1].

---

١) أعيان الشيعة ، الذريعة ، ج٤ ، ص٢٧٦.

اللهم اجعلنا ممن يتمسك بسنته وبما أوصى في التمسك بالثقلين بالقرآن والعترة الطاهرة، وان نحفظه في وصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) اجعلنا يا رب من العاملين لوجهك جل جلالك في السر والإعلان.

عزيزي القارئ هذه الإطالة لا تخلوا من فائدة من أجل الوقوف على القول الحق في الناسخ والمنسوخ ولا يوجد قول حق مثل قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) كما مرّ في شرحه وبيانه وتفسيره للزنديق الذي اهتدى على يديه سلام الله عليه.

وقد عد سيد الوصيين(عليه السلام) ستة عشر آية من الناسخ والمنسوخ ثم بيّن المحكم والمتشابه وما معناه الخبر والقصص والأمثال وغير ذلك من الأمر والنهي حيث أنزل الله سبحانه الكتاب فيه تفصيل لكل شيء مما يحتاجه العباد في عباداتهم ومعاملاتهم وحلالهم وحرامهم وما يستجد من الأمور التي يرجع بها الجاهل للعالم في بيان مرادات الله في قرآنه وبما أورث النبي(صلى الله عليه وآله) الأمناء من آله كي لا يكون للناس على الله حجة بل له الحجة البالغة حيث بيّن لخلقه تمام مراده.

لكن مع هذا البيان القرآني الفريد الذي فسرته السنة النبوية الطاهرة وشرحه الأوصياء وعلماء الأمة لكن الاختلاف بقي يتسع هذا الاختلاف الذي هو نتيجة لما اتفقوا عليه من كلمة التوحيد بإن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ومع هذا الاتفاق المأخوذ في الميثاق فإن عامة المسلمين اختلفوا في خالقهم الواحد الأحد ألا وهو الله سبحانه وتعالى فمنهم من ذهب إلى أنه يشغل حيزاً ومنهم من ذهب إلى أن له وجه ويدين وانه ينزل إلى السماء الدنيا ، تعالى الله علواً كبيراً عما يقول المشركون.

وكذلك اختلفوا في نبيهم(صلى الله عليه وآله) حيث انحرفوا عن وصيته وسنته وهذا لم يكن غريباً فإن الله سبحانه قال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ ﴿آل عمران:١٤٤﴾ فانقلاب الأمة أمر كائن ليمحص الله الذين آمنوا وبهذا الانقلاب كان التمادي على مقدسات الأمة في الكتاب والعترة ومن هنا نجد أن مساحة الناسخ

والمنسوخ أخذ مساحة واسعة لم يكن بُد من أن نذعن أنه أمر واقع بتصريح القرآن لكن علينا أن لا نتمادى لنجعل هذا الأمر مدعاة للتحريف وزيادة ونقصان في القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وان الله سبحانه وتعالى جعله محفوظاً حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿الحجر:٩﴾ هذا الحفظ الإلهي لا يمكن أن يخترق ليضاف عليه أو يُنقص منه حرف أو كلمة أو آية كيف وهو تحدى به البشر بأن يأتوا بآية مثله وعجزوا عن ذلك.

وكيف ما كان فإنهم ذكروا لنا أعداداً تفوق الخيال فمنهم من قال أن المواضع المنسوخة ٢٤٦ موضعاً وجملة النواسخ ٧٧ موضعاً ومنهم من قال أن الناسخ والمنسوخ ٢٨٢ ومنهم من زاد وقد مر عليك مثل هذا الإحصاء في مطاوي البحث مع أنها لا تتجاوز بضع عشرات مع أنه هناك من أنهى الآيات المنسوخة إلى أكثر من المائتين وهذا غاية في المبالغة لأنهم عندما تكلموا عن هذا الموضوع تكلموا عن النسخ بمعناه العام الشامل للتخصيص والتقييد وهذا تعداد للآيات بحسب كل سورة:

١. في سورة البقرة ٢٦ آية.
٢. في سورة آل عمران ٥ آيات.
٣. في سورة النساء ٢٢ آية.
٤. في سورة المائدة ٩ آيات.
٥. في سورة الأنعام ١٣ آية.
٦. في سورة الأعراف ٢ آية.
٧. في سورة الأنفال ٦ آية.
٨. في سورة التوبة ٨ آية.
٩. في سورة يونس ٨ آية.
١٠. في سورة هود ٤ آية.
١١. في سورة الرعد ٢ آية.
١٢. في سورة إبراهيم ١ آية.
١٣. في سورة الحجر ٥ آية.

١٤. في سورة النحل ٥ آية.
١٥. في سورة الإسراء ٣ آية.
١٦. في سورة الكهف ١ آية.
١٧. في سورة مريم ٤ آية.
١٨. في سورة طه ٣ آية.
١٩. في سورة لأنبياء ٢ آية.
٢٠. في سورة الحج ٥ آية.
٢١. في سورة المؤمنون ٢ آية.
٢٢. في سورة النور ٦ آية.
٢٣. في سورة الفرقان ٢ آية.
٢٤. في سورة الشعراء ١ آية.
٢٥. في سورة النمل ١ آية.
٢٦. في سورة القصص ١ آية.
٢٧. في سورة العنكبوت ٢ آية.
٢٨. في سورة الروم ١ آية.
٢٩. في سورة لقمان ١ آية.
٣٠. في سورة السجدة ١ آية.
٣١. في سورة الأحزاب ٢ آية.
٣٢. في سورة سبأ ١ آية.
٣٣. في سورة يس ١ آية.
٣٤. في سورة الصافات ٤ آية.
٣٥. في سورة ص ٣ آية.
٣٦. في سورة الزمر ٧ آية.
٣٧. في سورة المؤمن ٣ آية.
٣٨. في سورة فصلت ١ آية.

٣٩. في سورة الشورى ٨ آية.
٤٠. في سورة الزخرف ٣ آية.
٤١. في سورة الدخان ١ آية.
٤٢. في سورة الجاثية ١ آية.
٤٣. في سورة الأحقاف ٢ آية.
٤٤. في سورة محمد ٢ آية.
٤٥. في سورة ق ٢ آية.
٤٦. في سورة الذاريات ٢ آية.
٤٧. في سورة الطور ٢ آية.
٤٨. في سورة النجم ٢ آية.
٤٩. في سورة القمر ١ آية.
٥٠. في سورة الواقعة ١ آية.
٥١. في سورة المجادلة ١ آية.
٥٢. في سورة الممتحنة ٣ آية.
٥٣. في سورة القلم ٢ آية.
٥٤. في سورة المعارج ٢ آية.
٥٥. في سورة المزمل ٧ آية.
٥٦. في سورة المدثر ١ آية.
٥٧. في سورة القيامة ١ آية.
٥٨. في سورة الدهر ٢ آية.
٥٩. في سورة عبس ١ آية.
٦٠. في سورة التكوير ١ آية.
٦١. في سورة الطارق ١ آية.
٦٢. في سورة الغاشية ١ آية.
٦٣. في سورة التين ١ آية.

٦٤. في سورة العصر ١ آية.

٦٥. في سورة الكافرون ١ آية.

فمجموعها ضمن هذا العدد ٢٢٨ آية منسوخة[١].

وأما السيد الخوئي (قدس سره) فعد الآيات المنسوخة بـ (٣٦) آية في كتابه البيان في تفسير القرآن ، ثم إنه (قدس سره) ناقش الآيات المدّعى نسخها :

١- ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿البقرة:١٠٩﴾.

فعن ابن عباس وقتادة والسدي ، أنها منسوخة بآية السيف ، واختاره أبو جعفر النحاس ، وآية السيف هو قوله :

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ﴿التوبة:٢٩﴾.

يقول (قدس) : الالتزام بالنسخ يتوقف على الالتزام بأمرين فاسدين :

❖ الأول : أن يكون أهل الكتاب أيضاً ممن أُمر النبي(صلى الله عليه وآله) بقتالهم ، وذلك باطل ، فإن الآيات القرآنية الآمرة بالقتال إنما وردت في جهاد المشركين ودعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر.

❖ وأما أهل الكتاب فلا يجوز قتالهم إلا مع وجود سبب آخر من قتالهم للمسلمين ، ويورد آيات حول ذلك إلى أن يقول وحاصل ذلك: أن الأمر في الآية المباركة بالعفو والصفح عن الكتابيين لأنهم يودّون أن يردّوا المسلمين كفاراً وهذا لازمٌ عادي لكفرهم لا ينافيه الأمر بقتالهم عند وجود سبب آخر يقتضي ، على أن متوهم النسخ في الآية الكريمة قد حمل لفظ الأمر من قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ ﴿البقرة:١٠٩﴾ على الطلب فتوهم أن لله أمرٌ بالعفو عن الكفار إلى أن يأمر المسلمين بقتالهم فحمله على النسخ. فراجع البيان ص٢٨٨.

---

١) التمهيد في علوم القرآن ، للعلامة محمد هادي معرفة ، ج٢ ، ص٣٠٧-٣٧٧.

٢- ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿البقرة:١١٥﴾.

فقد نسب إلى جماعة منهم : ابن عباس ، وأبو العالية ، والحسن ، وعطاء ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي ، وزيد بن أسلم ، أن الآية منسوخة واختلف في ناسخها فذكر ابن عباس أنها منسوخة بقوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ ﴿البقرة:١٥٠﴾.

وذهب قتادة إلى أن الناسخ قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ﴿البقرة:١٥٠﴾ وكذلك ذكر القرطبي في تفسيره ، وذكروا في وجه النسخ أن النبي(ﷺ) وجميع المسلمين كانوا مخيرين في الصلاة إلى أية جهة شاؤوا وإن كان رسول الله (ﷺ) قد اختار من الجهات جهة بيت المقدس فنسخ ذلك في الأمر بالتوجه إلى خصوص بيت الله الحرام ولا يخفى ما في هذا القول من الوهن والسقوط ، ثم يناقش باب التوجه إلى بيت المقدس كان لمصلحة تقتضي ذلك إلى أن يقول والصحيح أن يقال في الآية الكريمة : إنها دالة على عدم اختصاص جهة خاصة بالله تعالى ، فإنه لا يحيط به مكان ، إلى أن قال (قدس): أن دعوى النسخ في الآية الكريمة يتوقف بثبوتها على أمرين :

الأول : أن تكون واردة في خصوص صلاة الفريضة ، وهذا معلوم بطلانه.

الثاني : أن يكون نزولها قبل نزول الآية الآمرة بالتوجه إلى الكعبة وهذا أيضاً غير ثابت وعلى ذلك فدعوى النسخ في الآية باطلة جزماً ، نعم قد يرد من النسخ معنىً عاماً وشاملاً للتقييد ، فإذا أريد به ذلك في المقام فلا مانع منه ، ولا يبعد أن يكون هذا هو مراد ابن عباس من النسخ فيها[1].

٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ ﴿البقرة:١٧٨﴾.

فقد ادعي أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ ﴿المائدة:٤٥﴾ ويناقش

---

١) االبيان ، ص٢٨٩ نقلاً عن تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص١٥٧.

(قدس) أقوال أهل السنة إلى أن يقول : إن الآية الكريمة لم يثبت نسخها بشيء ، وإن دعوى النسخ إنما هي بملاحظة فتوى جماعة من الفقهاء ، وكيف يمكن أن ترفع اليد عن قول الله تعالى بملاحظة قول زيد أو عمرو ؟ ومما يبعث على العجب أن جماعة يفتون بخلاف القرآن مع إجماعهم على أن القرآن لا ينسخ بخبر الواحد.

٤- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿البقرة:١٨٠﴾.

فقد ادعى جمعٌ أنها منسوخة بآية المواريث ، وادعى آخرون أنها منسوخة بما جاء عن النبي(ﷺ) من قوله : ((لا وصية لوارث)).

والحق أن الآية ليست منسوخة. أما القول بنسخها بآية المواريث ، فيرده أن الآيات قد دلت على أن الميراث مترتبٌ على عدم الوصية ، وعدم الدين ، ومع ذلك فكيف يعقل كونها ناسخة لحكم الوصية ؟ وقد قيل في وجه النسخ للآية: إن الميراث في أول الإسلام لم يكن ثابتاً على الكيفية التي جُعلت في الشريعة بعد ذلك ، وإنما كان الإرثُ يدفع جميعه للولد ، وما يعطى الوالدان من المال فهو بطريق الوصية فنسخ ذلك بآية المواريث وهذا القول مدفوع :

أولاً : بان هذا غير ثابت ، وإن كان مروياً في صحيح البخاري لأن النسخ لا يثبت بخبر الواحد إجماعاً.

ثانياً : إنه موقوفٌ على تأخر آية المواريث عن هذه الآية ، وأنى للقائل بالنسخ إثبات ذلك ؟ أما دعوى القطع بذلك من بعض الحنفية فعهدتها على مدعيها.

ثالثاً : إن هذا لا يتم في الأقربين ، فإنه لا إرث لهم مع الولد ، فكيف يعقل أن تكون آية المواريث ناسخة لحكم الوصية للأقربين ؟ وعلى كلٍ فإن آية المواريث من حيث ترتبها على عدم الوصية تكون مؤكدة لتشريع الوصية ونفوذها فلا معنى لكونها ناسخة لها.

٥- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿البقرة:١٨٣﴾.

فقد ادعيّ أن منسوخة بقوله تعالى: ﴿حِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ ﴿البقرة:١٨٧﴾.

وذكروا في وجه النسخ : أن الصوم الواجب على الأمة في بداية الأمر كان مماثلاً للصوم الواجب على الأمة السالفة ، وأن من أحكامه أن الرجل إذا نام قبل أن يتعشى في شهر رمضان لم يجز له أن يأكل بعد نومه في ليلته تلك ، وإذا نام أحدهم بعد المساء حَرُمَ عليه الطعام والشراب والنساء ، فنسخ ذلك بقوله تعالى :

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ ﴿البقرة:١٨٧﴾.

وبقوله : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ ﴿البقرة:١٨٧﴾.

وقد اتفق علماء أهل السنة على أن آية التحليل ناسخة ثم اختلفوا فقال بعضهم: هي ناسخة للآية السابقة ، فإنهم استفادوا منها أن الصوم الواجب في هذه الشريعة مماثل للصوم الواجب على الأمم السالفة ، وقال بذلك أبو العالية ، وعطاء ، ونسبه أبو جعفر النحاس للسدي.

وقال بعضهم : إن آية التحليل ناسخة لفعلهم الذي كانوا يفعلونه.

ولا يخفى أن النسخ للآية الأولى موقوفٌ على إثبات تقدمها على الآية الثانية في النزول ، ولا يستطيع القائل بالنسخ إثباته.

٦- ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ ﴿البقرة:١٨٤﴾.

فادعيٌ أنه منسوخة بقوله تعالى :

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ﴿البقرة:١٨٥﴾.

ودعوى النسخ في الآية الكريمة واضحة الثبوت لو كان المراد من الطوق ((الطاقة)) السعة والقدرة ، فإن مفاد الآية على هذا : أن من يستطيع الصوم فله أن لا يصوم ويعطي الفدية : طعام مسكين بدلاً عنه ، فتكون منسوخة.

ولكن من البين أن المراد من الطاقة ، القدرة مع المشقة العظيمة ، وحاصل المراد من الآية : أن الله تعالى بعد أن أوجب الصوم وجوباً تعيينياً في الآية السابقة ، وأسقطه عن المسافر والمريض ، وأوجب عليهما عدة من أيام أُخر بدلاً عنه ،أراد أن

يبين حكماً آخر لصنف آخر من الناس وهم الذين يجدون في الصوم مشقة عظيمة وجهداً بالغاً ، كالشيخ الهرم وذي العطاش ، والمريض الذي استمر مرضه إلى شهر رمضان الآخر ، فأسقط عنهم وجوب الصوم أداءً وقضاءً ، وأوجب عليهم الفدية ، فالآية المباركة حين دلت على تعيين وجوب الصوم على المؤمنين في الأيام المعدودات وعلى تعين وجوبه قضاءً في أيام أُخر على المريض والمسافر ، كانت ظاهرةٌ في أن وجوب الفدية تعييناً إنما هو على غير هذين الصنفين اللذين تعين عليهما الصوم ومع هذا فكيف يدعى أن المستفاد من الآية هو الوجوب التخييري بين الصوم والفدية لمن تمكن من الصوم... إلى أن يقول (قدس) فالآية الكريمة محكمة لا نسخ لها ، ومدلولها حكمٌ مغاير لحكم من وجب عليه الصوم أداءً وقضاءً... إلى أن قال ... بأن المشايخ والعجائز لا شيء عليهم إذا افطروا تكون الآية منسوخة – على قول النحاس – ولكن الشأن في صحة هذا القول ، والآية الكريمة حجة على قائله.

٧- ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿البقرة:١٩١﴾.

ويذكر (قدس) قول أبي جعفر النحاس أن الآية منسوخة وأن المشركين يُقاتَلُونَ في الحرم وغيره ، ونسب القول بالنسخ إلى قتادة أيضاً.

والحق : أن الآية محكمة ليست منسوخة ، فإن ناسخ الآية إن كان هو قول الله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ ﴿التوبة:٥﴾.

فهذا القول ظاهر البطلان لأن الآية الأولى خاصة والخاص يكون قرينة على بيان المراد من العام ، وإن عُلِمَ تقدمه عليه في الورود ، فكيف إذا لم يُعلَم ذلك ؟ إلى أن يقول : فلا وجه للقول بنسخ الآية إلا متابعةً لفتاوى جماعةٍ من الفقهاء ، والآية حجة عليهم.

٨- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ ﴿البقرة:٢١٧﴾.

ذكر (قدس) رأي أبي جعفر النحاس بأن الآية منسوخة بالاجماع ، وان قتال المشركين في الشهر الحرام مباح ، غير عطاء فإنه قال: الآية محكمة ولا يجوز القتال في

الأشهر الحرم ، وأما الشيعة الإمامية فلا خلاف بينهم نصاً وفتوى على أن التحريم باق صرح بذلك في التبيان وجواهر الكلام وهذا هو الحق.

٩- ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ ﴿البقرة:٢٢١﴾.

فادعي أنها منسوخة بقوله تعالى :

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ ﴿المائدة:٥﴾.

ذهب إليه ابن عباس ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن سعيد ، وعبد الرحمن بن عمر ، والأوزاعي وذهب إليه عبد الله بن عمر إلى أن الآية الثانية منسوخة بالآية الأولى فحرم نكاح الكتابية هذا ما نقله عن أبي جعفر النحاس.

وقال (قدس) والحق : أنه لا نسخ في شيء من الآيتين فإن المشركة التي حرمت الآية الأولى نكاحها ، إن كان المراد منها التي تعبد الأصنام والأوثان – كما هو الظاهر – فإن حرمة نكاحها لا تنافي نكاح الكتابية التي دلت عليها الآية الثانية ، لتكون إحداهما ناسخة والثانية منسوخة ، وإن كان المراد من المشركة ما هو أعم من الكتابية – كما توهمه القائلون بالنسخ – كانت الآية الثانية مخصصة للآية الأولى ويكون حاصل معنى الآيتين جواز نكاح الكتابية دون المشركة.

نعم المعروف بين علماء الشيعة الإمامية أن نكاح الكتابية لا يجوز إلا متعة ، إما لتقييد إطلاق آية الإباحة بالروايات الدالة على تحريم النكاح الدائم ، وإما لدعوى ظهور الآية الكريمة في المتعة دون العقد الدائم ، ونقل الحسن والصدوقين جواز الدائم أيضاً.

١٠- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ ﴿البقرة:٢٥٦﴾.

فقد قال جماعة : إنها منسوخة بقوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ﴿التوبة:٧٣﴾.

وذهب بعضهم إلى أنها مخصوصة بأهل الكتاب ، فإنهم لا يقاتلون لكفرهم ، وقد عرفت ذلك فيما تقدم.

والحق : أن الآية محكمة وليست منسوخة ، ولا مخصوصة ، وتوضيح ذلك : أن الكره في اللغة يستعمل في معنيين.

أحدهما : ما يقابل الرضا ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ﴿البقرة:٢١٦﴾.

وثانيهما : ما يقابل الاختيار ومنه قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ ﴿الأحقاف:١٥﴾.

فإن الحمل والوضع يكونان في الغالب عن رضىً ، ولكنهما خارجان عن الاختيار ، والقول بالنسخ أو بالتخصيص يتوقف على أن الإكراه في الآية قد استعمل في المعنى الأول ، وهو باطل ويذكر (قدس) وجوه ثلاثة إلى أن يقول: وحاصل معنى الآية أن الله تعالى لا يجبر أحداً من خلقه على إيمان ولا طاعة ، ولكنه يوضح الحق يبينه من الغي.

وقد فعل ذلك ، فمن آمن بالحق فقد آمن به عن اختيار ، ومن اتبع الغي فقد اتبعه عن اختيار والله سبحانه وإن كان قادراً على أن يهدي البشر جميعاً لكن الحكمة اقتضت لهم أن يكونوا غير مجبورين على أعمالهم بعد إيضاح الحق لهم وتمييزه عن الباطل. واستشهد بقوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿المائدة:٤٨﴾.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿الأنعام:١٤٩﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿النحل:٣٥﴾.

١١- ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ❖ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ﴿النساء:١٥-١٦﴾.

فذهب بعضهم ، ومنهم عكرمة وعبادة بن الصامت في رواية الحسن عن الرقاشي عنه أن الآية الأولى منسوخة بالثانية والثانية منسوخة في البكر من الرجال والنساء إذا زنى بأن يجلد مائة جلدة ، وينفى عاماً ، وفي الثيّب منهما أن يجلد مائة ، ويرجم حتى الموت ، وذهب بعضهم كقتادة ومحمد بن جابر إلى أن الآية الأولى مخصوصة بالثيّب ، والثانية بالبكر ، وقد نسخت كلتاهما بحكم الجلد والرجم.

وذهب ابن عباس ومجاهد ومن تبعهما ، كأبي جعفر النحاس إلى أن الآية الأولى مختصة بزناء النساء من ثيّب أو بكر ، والآية الثانية مختصة بزناء الرجال ثيّباً كان أو بكراً ، وقد نسخت كلتاهما بحكم الرجم والجلد – نقلاً عن أبي جعفر النحاس – .

والحق : أنه لا نسخ في الآيتين جميعاً ، وبيان ذلك : أن المراد من لفظ الفاحشة ما تزايد قبحه وتفاحش ، وذلك قد يكون بين امرأتين فيكون مساحقة وقد يكون بين ذكرين فيكون لواطاً ، وقد يكون بين ذكر وأنثى فيكون زنى ، ولا ظهور للفظ الفاحشة في خصوص الزنا لا وضعاً ولا انصرافاً ، ثم يشرع بشرح ما يتوقف عليه الالتزام بالنسخ.

إلى أن يقول (قدس) :

وجملة القول : أنه لا موجب للالتزام بالنسخ في الآيتين ، غير التقليد المحض أو الاعتماد على أخبار الآحاد والتي لا تفيد علماً ولا عملاً.

١٢- ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ ﴿النساء:٢٤﴾.

فقد قيل إنها منسوخة بما دلّ من السنة على تحريم غير من ذكر في الآية من النساء ، وثبوت هذه الدعوى موقوف على أن يكون الخاص المتأخر ناسخاً للعام المتقدم لا مخصصاً.

والحق : أن الخاص يكون مخصصاً للعام تقدم عليه أو تأخر عنه ، ولا يكون ناسخاً له ، ولأجل ذلك يكتفى بخبر الواحد الجامع لشرائط الحجية في تخصيص العام، ولو كان الخاص المتأخر ناسخاً لم يصح ذلك ، لأن النسخ لا يثبت بخبر الواحد ، أضف إلى ذلك أن الآية ليس لها عموم لفظي ، وإنما هو ثابت بالإطلاق

ومقدمات الحكمة ، فإذا ورد من الأدلة ما يصلح لتقييدها حكم بأن الإطلاق فيها غير مراد في الواقع.

١٣- ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ ﴿النساء:٢٤﴾.

فقد اشتهر بين علماء أهل السنة أن حليّة المتعة قد نسخت ، وثبت تحريمها إلى يوم القيامة ، وقد أجمعت الشيعة الإمامية على بقاء حليّة المتعة وأن الآية المباركة لم تنسخ ، ووافقهم على ذلك جماعة من الصحابة والتابعين ، ويذكر (قدس) روايات قد مر عليك ذكرها إلى أن قال :

وحاصل ما تقدم : أن آية التمتع لا ناسخ لها ، وأن تحريم عمر ، وموافقة جمع من الصحابة له على رأيه طوعاً أو كرهاً إنما كان اجتهاد في مقابل النص ، وقد اعترف بذلك جماعة ، وأنه لا دليل على تحريم المتعة غير نهي عمر ، إلا أنهم رأوا أن اتباع سنة الخلفاء كاتباع سنة النبي(ﷺ).

وعلى أيٍّ فما أجود ما قاله عبد الله بن عمر :

((أرسول الله(ﷺ) أحق أن تتبع سنته أم سنة عمر)).

١٤- ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ ﴿النساء:٣٣﴾.

قد اختلفت الآراء في مدلول الآية المباركة :

فمنهم من حمل ذيل الآية المباركة ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ على بيان حكم مستقل عن سابقه ، فجعله جملة مستأنفة ، وفسّر كلمة (نصيبهم) بالنصر ، والفتح ، والرفادة ، والعون ، والعقل ، والمشورة ، وعلى ذلك : فالآية محكمة غير منسوخة.

وهذا القول منسوب إلى ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومنهم من جعله معطوفاً على ما قبله ، وفسّر كلمة (نصيبهم) بما يستحقه الوارث من التركة.

ثم إن هؤلاء قد اختلفوا : فذهب بعضهم إلى ان المراد بعقد اليمين في الآية المباركة عقد المؤخاة ، وما يشبهه من العقود التي كانت يتوارث بسببها في الجاهلية ، وقد أقر الإسلام ذلك إلى أن نزلت آية المواريث :

﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ ﴿الأنفال:٧٥﴾.

وعلى ذلك : فالآية منسوخة.

ثم يناقش الآية (قدس) نقاش طويل من جملته :

والحق : إن المراد بالآية ، ما هو ظاهرها الذي يفهم منها ، وهو ثبوت الإرث بالمعاقدة ، ومع ذلك فلا نسخ لمدلول الآية.

راجع ذلك في البيان.

١٥- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ ﴿النساء:٤٣﴾.

فقد ذهب أكثر العلماء إلى أنها منسوخة ولكن وقع الكلام في ناسخها ، فعن قتادة ، ومجاهد أنها منسوخة بتحريم الخمر. وحكي هذا القول عن الحسن أيضاً.

وعن ابن عباس انها منسوخة بقوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ﴿المائدة:٦﴾.

وكلا هذين القولين ظاهر الفساد ، ثم يذكر الروايات حول ذلك.

إلى أن يقول (قدس) : وعلى كل فلا سبب يوجب الالتزام بالنسخ في الآية.

١٦- ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ ﴿النساء:٩٠﴾.

فقد ذكروا أن الآية منسوخة بالأمر بنبذ ميثاق المشركين ، وبالأمر بقتالهم سواء أكانوا اعتزلوا المسلمين أم لم يعتزلوهم فيكون في الآية موردان للنسخ.

ثم يناقش الموردان إلى أن يقول (قدس):

وعلى كلٍّ فلا إشكال في سقوط حكم القتل بالتوبة ، كما صرح به في الروايات المأثورة عن الطريقين ، وبعد ذلك فلا تكون الآية منسوخة.

١٧- ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿المائدة:٤٢﴾.

وقد اختلفت الأقوال في هذه الآية الكريمة ، فقيل :

إنها محكمة لم تنسخ وقد أجمعت الشيعة الاثني عشرية على ذلك ، فالحاكم مخير حين يتحاكم إليه الكتابيون ، بين أن يحكم بينهم بمقتضى شريعة الإسلام ، وبين أن يعرض عنهم ويتركهم وما التزموا به في دينهم.

ثم يذكر (قدس) روايات تؤكد أن الحاكم مخير أن يحكم بما شاء وترك ما شاء إلى أن يقول إن هذه السورة آخر ما نزل من القرآن وإن شيئاً من آياتها لم ينسخ.

١٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ ﴿المائدة:١٠٦﴾.

وقد ذهب الشيعة الإمامية إلى أن الآية محكمة ، فتجوز شهادة أهل الكتاب على المسلمين في السفر إذا كانت الشهادة على الوصية ، وإليه ذهب جمع من الصحابة والتابعين ، منهم عبد الله بن قيس ، وابن عباس ، وشريح ، سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، وعبيدة، ومحمد بن سيرين ، والشعبي ويحيى بن يعمر ، والسدي.

وقال به من الفقهاء : سفيان الثوري ومال إليه أبو عبيد لكثرة من قال به ، وذهب زيد بن أسلم ، ومالك بن أنس ، والشافعي ، وأبو حنيفة إلى أن الآية منسوخة وانه لا تجوز شهادة كافر بحال ، نقلاً عن أبي جعفر النحاس والتحقيق بطلان القول بالنسخ في الآية المباركة.

ثم يذكر (قدس) وجوهاً ثلاثة إلى ان يقول :

وجملة القول لا سند لدعوة النسخ في الآية غير تقليد جماعة من الفقهاء المتأخرين.

١٩- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿الأنعام:١٤١﴾.

فقد ذهب أكثر علماء أهل السنة إلى ان الآية منسوخة ، ولهم في بيان نسخها وجوه:

ذكر منها ثلاثة إلى أن قال :

والحق : بطلان القول بالنسخ في مدلول الآية الكريمة وذكر وجوه ثلاثة أيضاً إلى أن قال إن دعوى النسخ في الآية المباركة تتوقف على إثبات وجوب حق آخر ، إلى أن قال وعليه فلا نسخ لمدلول الآية الكريمة.

٢٠- ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿الأنعام:١٤٥﴾.

قال جماعة : إن الآية منسوخة بتحريم النبي(ﷺ) بعد ذلك لبعض الأشياء غير المذكورة في الآية والحق : عدم النسخ لأن مفاد الآية الإخبار عن عدم وجدان محرم غير ما ذكر فيها ، إلى أن يقول: ومع ذلك فلا نسخ في مدلول الآية.

٢١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ❖ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿الأنفال:١٦﴾.

فقد ذهب بعضهم إلى أن هذا الحكم منسوخ بقوله تعالى :

﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿الأنفال:٦٦﴾.

فإن المسلمين إذا قل عددهم عن نصف عدد الكفار جاز لهم ترك القتال والفرار من الزحف ومن القائلين بهذا القول : عطاء بن أبي رباح – نقلاً عن أبي جعفر النحاس – .

إلى أن قال (قدس) وذهب ابن عباس وجميع الشيعة الإمامية ، وكثير من علماء أهل السنة إلى أن الآية محكمة ، وحكمها مستمر إلى يوم القيامة ، وهذا هو القول الصحيح وذكر لذلك روايات.

٢٢- ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ ﴿الأنفال:٦١﴾.

فذهب ابن عباس ، ومجاهد ، وزيد بن أسلم ، وعطاء ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة إلى أنها منسوخة بآية السيف.

والحق إنها محكمة غير منسوخة.

٢٣- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿الأنفال:٦٥﴾.

﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿الأنفال:٦٦﴾.

فقد ذكروا أن حكم الآية الأولى قد نسخ بالآية الثانية ، وإن الواجب في أول الأمر على المسلمين أن يقاتلوا الكفار ، ولو كانوا عشرة أضعافهم ، ثم خفف الله عن المسلمين فجعل وجوب القتال مشروطاً بأن لا يزيد الكفار ضعف عدد المسلمين.

والحق : أنه لا نسخ في حكم الآية ، والقول بالنسخ يتوقف على إثبات الفصل بين الآيتين نزولاً.

٢٤- ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿التوبة:٣٩﴾.

فعن ابن عباس ، والحسن ، وعكرمة ، أنها منسوخة بقوله تعالى :

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ ﴿التوبة:١٢٢﴾.

ثم قال أن تخصيص العام ببعض أفراده ليس من النسخ بل الآية (١٢٢) دليل على عدم النسخ ، فإنه دل على أن النفر لم يكن واجباً على جميع المسلمين من بداية الأمر فكيف يكون ناسخاً للآية المذكورة.

٢٥- ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ❖ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ❖ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ ﴿التوبة:٤٣-٤٥﴾.

فعن ابن عباس ، والحسن ، وعكرمة ، وقتادة: أن هذه الآيات منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ ﴿النور:٦٢﴾.

والحق : أن الآيات الثلاث لا نسخ فيها..... إلى أن يقول :

وإذن لا منافة بين الآيتين لتكون أحداهما ناسخة للأخرى.

٢٦- ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ ﴿التوبة:١٢٠﴾.

فعن ابن زيد : إنها منسوخة – نقلاً عن أبي جعفر النحاس – بقوله تعالى :

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ ﴿التوبة:١٢٢﴾.

والحق : أنه لا نسخ فيها ، فإن الآية الثانية قرينة متصلة بالآية الأولى ، وحاصل المراد منها إن وجوب النفر إنما هو على البعض من المسلمين على نحو الكفاية ، فلا تكون ناسخة.

٢٧- ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿يونس:١٠٩﴾.

فعن ابن زيد : إن هذه الآية منسوخة بالأمر بالجهاد ، والغلظة على الكفار – نقلاً عن أبي جعفر النحاس – .

وبطلان هذا القول يظهر مما قدمناه في إبطال دعوى النسخ في الآية الأولى من الآيات التي نبحث على نسخها ، وعليه فلا وجه لدعوى النسخ فيها.

٢٨- ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ ﴿الحجر:٨٥﴾.

فعن ابن عباس ، وسعيد ، وقتادة : إنها منسوخة بآية السيف.

إلى أن يقول (قدس) : وقد أسلفنا أن تشريع الأحكام الإسلامية كان على التدريج وهذا ليس من نسخ الحكم الثابت بالكتاب في شيء.

٢٩- ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ ﴿النحل:٦٧﴾.

فعن قتادة ، وسعيد بن جبير ، والشعبي ، ومجاهد ، وإبراهيم ، وأبي رزين:

إن هذه الآية منسوخة بتحريم الخمر.

والحق : إن الآية محكمة ، فإن القول بالنسخ فيها يتوقف على إثبات أمرين يذكرهما (قدس).

إلى أن يقول : ومن البيّن أنه ليس معنى ذلك إن الخمر كان مباحاً في الشريعة ثم نسخت حرمته.

٣٠- ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿النور:٣﴾.

فعن سعيد بن المسيب ، وأكثر العلماء إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿النور:٣٢﴾.

فدخلت الزانية في أيامى المسلمين – نقلاً عن أبي جعفر النحاس – .

والحق : إن الآية غير منسوخة. فإن النسخ فيها يتوقف على أن يكون المراد من لفظ النكاح هو التزويج ، ولا دليل يثبت ذلك.

٣١- ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ ﴿الجاثية:١٤﴾.

فذهبت جماعة ، إلى أن هذه الآية الكريمة منسوخة بآية السيف ، وقالوا: عن هذه الآية مكية ، وقد نزلت في عمر بن الخطاب حين شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة ، فأراد عمر أن يبطش به ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ثم نسخت بقوله تعالى :

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ ﴿التوبة:٥﴾.

إلى أن قال والحق : إن الآية المباركة محكمة غير منسوخة.

٣٢- ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ ﴿محمد:٤﴾.

فذهبت جماعة إلى أن الآية منسوخة بآية السيف ، وذهب آخرون على أنها ناسخة لها.

والحق : انها ليست ناسخة ولا منسوخة وتحقيق ذلك يحتاج إلى مزيد من البسط في الكلام.

ويذكر أحكام الكافر المقاتل.

٣٣- ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ ﴿الذاريات:١٩﴾.

٣٤- ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ❖ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ ﴿المعارج:٢٤-٢٥﴾.

ويذكر (قدس) كلاماً حول الصدقة والزكاة .

إلى أن يقول : وتبع ابن عباس على ذلك جملة من المفسرين.

وعلى هذا فلا نسخ في الآية المباركة.

٣٥- آية النجوى : مرّ الكلام فيها.

٣٦- ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ ﴿الحشر:٧﴾.

فقد نقل عن قتادة إنها منسوخة ، ثم نسخ الله ذلك في سورة الأنفال:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ ﴿الأنفال:٤١﴾.

فلا تنافي بين الآيتين لتنسخ إحداهما الأخرى ، إن سورة الأنفال نزلت قبل سورة (الحشر) ومما لا ريب فيه إن الناسخ لابد من تأخره عن المنسوخ ، فإذاً الاختلاف الحاصل بين الأعلام هو نتيجة للاتفاق وهو أن المسلمين كافة يقولون بأن هناك ناسخ ومنسوخ ولكن اختلفوا في عدد الآيات المنسوخة.

وهو بيان يكتفي به الباحث عن الناسخ والمنسوخ ويتخلص من الإطالة حيث إن الإمام أوجز فيه معالجة شافية نافعة.

وكان في نيتي الإطالة أكثر من هذا في موضوع الناسخ والمنسوخ إلا أني سأحاول ان استوفي ما أريد في ذكر أقوال المفسرين وما حوته جملة من التفاسير من الخاص والعام في الآيات الناسخة والآيات المنسوخة وأسأل الله العلي القدير أن يتقبل هذا الجهد المتواضع خدمة للدين وإحياءً لشريعة سيد المرسلين وتمسكاً بولاية سيد الوصيين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم ، حيث سيأتي الجزء السادس وفيه أقوال المفسرين من أتباع مدرسة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين ومن ثم الجزء السابع الذي يتضمن أقوال المفسرين من أبناء العامة.

اللهم أعنا على إنجازه واجعله عملاً خالصاً لوجهك الكريم يا أرحم الراحمين واجعله يا رب ذخراً لمن شجعني للبحث في هذا الموضوع ومن دعمني

الدعم المعنوي من أجل انجازه ليرى النور هدية لسيد المرسلين

ولخليفة الله في أرضه الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه

الشريف وجعلنا من المقتدين به والمحيين لسنة جده

المصطفى(صلى الله عليه وآله) آمين يا رب العالمين.

قد تم الفراغ ليلة الأحد ١٧ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ الساعة ١١,١٥ قبل منتصف الليل في ضريح سيدي ومولاي أمير المؤمنين (عليه السلام) المصادف ٢٠١٣/٣/٣٠ م في مدينة النجف الأشرف والحمد لله رب العالمين...

الفقير إلى رحمة ربه

السيد صباح مهدي عبد الحسيني

١٧ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ الساعة ١١,١٥

ضريح الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)

المصادر والمراجع[1]

القرآن الكريم.....كتاب الله ومعجزة الرسول الباقية

١. معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن.....سميح عاطف زين

٢. صحيح البخاري.....البخاري

٣. تاج العروس من جواهر القاموس.....السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي

٤. مجمل اللغة..... لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا

٥. المعجم الوسيط.....

٦. الحدائق النظرة.....

٧. النهاية في غريب الحديث.....

٨. سنن ابن ماجة.....

٩. نيل الأوطار.....

١٠. كنز العمال.....

١١. شرح التجريد.....علاء الدين القوشجي

١٢. الانصاف في مسائل الخلاف..... للسبحاني

١٣. مقاتل الطالبيين.....لأبي الفرج الأصفهاني

١٤. صحيح مسلم.....مسلم

١٥. الدر المنثور.....

١٦. نور الثقلين.....

١٧. الاعتقادات.....للصدوق

١٨. الخصال.....للصدوق

١٩. الاحتجاج.....للطبرسي

٢٠. أعلام النبلاء.....للذهبي

٢١. الإصابة.....لابن حجر

٢٢. المناقب.....لابن شهر آشوب

٢٣. حياة الحيوان..... للدميري

---

١) المصدر ما قبل السيد ابن طاووس قبل ٧٠٠ هـ. المرجع ما بعد السيد ابن طاووس بعد ٧٠٠هـ.

المصادر والمراجع

٢٤. الايضاح..... الفضل بن شاذان
٢٥. مسند أحمد.....
٢٦. الكافي..... للكليني
٢٧. بصائر الدرجات.....
٢٨. تفسير العياشي.....
٢٩. تفسير البيان..... للخوئي
٣٠ بحار الأنوار..... للعلامة محمد باقر المجلسي
٣١ معاني الأخبار .....
٣٢. شؤون قرآنية.....
٣٣. معجم البلدان.....
٣٤ جريدة الحياة..... لسنة ١٩٩٧
٣٥. صحيفة الأهرام..... لسنة ١٩٩٧
٣٦. التفسير الكبير..... للفخر الرازي
٣٧. الأسفار الأربعة..... ملا صدرا الشيرازي
٣٨. مواهب الرحمن ..... للسبزواري
٣٩. من أشعة الإيمان.....
٤٠. اعجاز القرآن ..... الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي
٤١. شرح نهج البلاغة.....
٤٢. مشرق الشمسين..... البهائي
٤٣. قوانين الأصول ..... القمي
٤٤. من لا يحضره الفقيه..... القمي
٤٥. التهذيب.....
٤٦. السيرة الحلبية.....
٤٧. مستدرك الوسائل.....
٤٨. تفسير القمي.....القمي

المصادر والمراجع

٤٩. المنار في علوم القرآن.....محمد علي الحسن
٥٠. بداية المجتهد.....
٥١. كنز العمال.....
٥٢. الذخيرة القرآنية.....تحسين البكاء
٥٣. السنن الكبرى.....
٥٤. مفاتيح الغيب ..... ملا صدرا الشيرازي
٥٥. مجمع الزوائد.....
٥٦. جامع أحاديث الشيعة.....
٥٧. شرائع الإسلام.....
٥٨. البيان ..... للخوئي
٥٩. محاضرات الأدباء.....
٦٠. مناهل العرفان.....
٦١. اعجاز القرآن ..... للبقلاني
٦٢. حقائق هامة حول القرآن.....السيد جعفر مرتضى العاملي
٦٣. التمهيد في علوم القرآن ..... محمد هادي معرفة
٦٤. رسالة الحقوق.....
٦٥. سيرة ابن هشام.....
٦٦. ناسخ القرآن ومنسوخه.....لأبي القاسم سعد بن عبد الله الأشعري القمي
٦٧. المحاسن.....
٦٨. تفسير الطبري.....للطبري
٦٩. الصوت اللغوي..... محمد فريد عبد الله
٧٠. تهذيب المقدمة اللغوية.....عبد الله العلايلي
٧١. أمالي الشيخ الطوسي.....للطوسي
٧٢. كتاب العين..... للفراهيدي
٧٣. معجم مقاييس اللغة..... لأبن الحسين أحمد بن فارس بن زكريا

المصادر والمراجع

٧٤. لسان العرب..... لابن منظور
٧٥. الكافي..... للكليني
٧٦. الملل والنحل.....
٧٧. الذريعة.....
٧٨. أعيان الشيعة.....
٧٩. المجالس للمفيد.....
٨٠. عيون الأخبار.....
٨١. تصحيح اعتقادات الإمامية.....للشيخ المفيد
٨٢. الطبقات..... لابن سعد
٨٣. أسد الغابة .....
٨٤. الاستيعاب.....
٨٥. الكنى والألقاب ..... للقمي
٨٦. الاصابة.....
٨٧. تفسير القمي..... للقمي
٨٨. إكمال الدين.....
٨٩. تفسير البرهان..... للبحراني
٩٠. الصحاح .....
٩١. التبيان ..... للطوسي
٩٢. مجمع البيان..... للطبرسي

المحتويات

الإهــداء ٧
الرد على ٩
بعض ما تقدم..... ٩
تـوطئـة ١١
الجري والانطباق معناه وضوابطه..... ١٣
المصحح لعملية الجري والانطباق ١٣
ضرورة الجري والانطباق ١٤
ما هو ضابط الجري والانطباق ١٦
ما الفائدة إذن من الجري والانطباق ١٧
لـفـظـة آيـــة ٢١
لــفــظ آيتُـك..... ٢٨
لفظ آيتين..... ٢٨
لفظ آيات..... ٢٩
لفظ آياتِكَ ٤١
لفظ آياتــنــا..... ٤٢
لفظ آياته..... ٥١
لفظ آياتها ٥٥
لفظ آياتي ٥٥
الاستعمال القرآني ٥٨
قال الخليل الفراهيدي (ت١٧٥هـ) : ٦٠
في جامع البيان للطبري (ت ٣١٠هـ) :..... ٦٠
في التبيان في تفسير القرآن للطوسي (ت ٤٦٠هـ) :..... ٦٢
وجميع آي القرآن في :..... ٦٧
أما النسخ التلآويني : ٧٦
وعليه يملآن تصنيف الآيات إلى ثلاثة أقسام:..... ٨٣
في نظرية الفلاسفة : ٨٥

النسخ التشريعي :..... ٨٧
إمكانية التشريع : ٨٨
امتناع وقوع النسخ :..... ٨٩
النسخ العام في الشرائع :..... ٩٢
النسخ في القرآن : ٩٣
النسخ في السنة : ٩٤
أقسام النسخ :..... ٩٥
نـــسـخ : ٩٧
النسيان :..... ٩٧
الحديث القدسي والقرآن ١٠٢
جهات الفرق بين القرآن والحديث القدسي ١٠٣
ترك الوصية ١٠٦
التثويب وتاريخه في أذان صلاة الفجر..... ١٠٩
أما متى شرع الأذان ؟..... ١١٠
القرآن معجزة باقية ١٢٢
وجاء في القاموس لاروُس ما يلي:..... ١٣١
ما ذهب من القرآن..... ١٣٧
الداجن وما أكلت..... ١٤١
آية الرجم ليست قرآنا..... ١٤٩
آية البسملة جزئيتها من السورة والجهر بها..... ١٥٤
* البسملة في اللغة والاصطلاح : ١٥٤
فضل البسملة :..... ١٥٦
جزئية البسملة في أقوال الفقهاء:..... ١٥٦
ما هو الطعام في قوله تعالى..... ١٦٣
حرمة الخمر ١٦٧
الزواج المؤقت أو متعة النساء..... ١٧١
الخلع والحفد..... ١٨٠

النسخ في القرآن وما يدور حوله من شبهات..... ٢٠٦
مشكلة القراءات والأحرف السبعة..... ٢١٠
* اللغات الفصيحة:..... ٢١٧
الآيات التي قيل بنسخها..... ٢٢٤
وأما ما تأويله حكاية في نفس تنزيله..... ٣٠٤
التناقض الذي ادعي في القرآن وأمثاله ٣٢٣
ومن كتاب الله عز وجل ما يكون تأويله على غير تنزيله..... ٣٣٧